



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن / الدراسات العليا

المنهج الترجيحي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله

رسالة قدمها الطالب
عبدالله محمد حسن

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات
نيل شهادة الماجستير في علوم القرآن.

بإشراف
أ.د. عامر عمران الخفاجي

٢٠٢٤ م

١٤٤٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾

البند ۹۵:۱

بسم الله الرحمن الرحيم

١ / إقرار المشرف

أشهد أن كتابة هذه الرسالة الموسومة بـ

(.....)

للتأليف (.....) ، جرت بإشرافي في جامعة بابل /

كلية العلوم الإسلامية / قسم علوم القرآن ، وإنها قد استوفيت خطتها بما يؤهلها للمناقشة .

الاسم ،

اللقب العلمي ،

الإمضاء ،

التاريخ ،

توصية رئيس القسم

استناداً إلى التوصيات المتوافرة أرشح هذه الدراسة الموسومة بـ

(.....)

للمناقشة

الاسم ،

اللقب العلمي ،

الإمضاء ،

التاريخ ،

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

عن رئيس لجنة المناقشة وأعضاءها ، نشهد أننا أطلعنا على الرسالة الموسومة بـ
(.....)

التي حكمها الطالب (.....) ، وقد ناقشناه في محتوياتها ، وفيما له
علاقة بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في (علوم القرآن) بتقدير (.....)

الإمضاء :

الإمضاء :

الاسم :

الاسم :

اللقب العلمي :

اللقب العلمي :

جامعة كلية

جامعة كلية

عضواً

عضواً

الإمضاء :

الإمضاء :

الاسم :

الاسم :

اللقب العلمي :

اللقب العلمي :

جامعة كلية

جامعة كلية

رئيساً

عضواً ومشرفاً

مصادقة عميد الكلية

أصادق على ما جاء في قرار لجنة المناقشة

العميد

إِهْدَاء

إلى ... سيد الخلق وحبیب الله حضرة الرسول الأعظم

(صلى الله عليه وآله وسلم)

إلى ... يعسوب الدين وأمام المتقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وذریتہ المنتجبين (عليهم السلام)

إلى ... من أمر الله بالإحسان والبر بهما ، والدي الكريمين (حفظهما الله

لي وأطال الله في عمرهما ، وأدام الله علي فضلهما

إلى ... زوجتي وأبنائي حباً وحناناً

إلى ... العلماء الأبرار وكل من سعى وسهر في طريق العلم والمعرفة

أهدي لهم جميعاً هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، الذي أغرقنا بنعمه التي لاتعد ولا تحصى ، ونحمد الله حمداً كثيراً يليق بجلالة عظمتة ، فهو الذي أرسل ألينا أشرف خلقه ورفع شأننا به نبينا محمد بن عبد عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أرسلنا ألينا بقرآنه المبين ، فبه تعلمنا مالم نعلم ، وأخرجنا من الظلمات إلى نور الإسلام .

لايسعني بعد أن وفقني الله سبحانه وتعالى في إتمام هذا الجهد المتواضع . إلا أن آخر ساجداً لله عزوجل ، أعتزافاً بفضلہ علي ، وأحمدہ بعد إن ألهمنا الصبر والمثابرة في أنجاز هذا العمل المتواضع ، راجياً من الله هدايته ومغفرته ورضوانه

وأتوجه بالشكر والامتنان الى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور (عامر عمران الخفاجي) الذي سعدت بإشرافه على هذا العمل فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أقدم شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور (محمد طالب الحسيني) المحترم الذي منحني الكثير من وقته ، فكان لرحابة صدره ورقى علمه الأثر الأكبر في إتمام الرسالة ، فأسأل الله إن يجزيه خير الجزاء

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور (دريد موسى الأعرجي) المحترم على ما أبداه من ملاحظات علمية قيمة حول الرسالة ، فأسأل الله إن يوفقه في مسيرته العلمية

كما أقدم شكري إلى رئاسة قسم علوم القرآن المتمثلة برئيسه الأستاذ الدكتور (حيدر الشلاه) المحترم على ما بذله من جهد في سير إجراءات الرسالة

كما أقدم شكري وتقديري الى لجميع أساتذتي في مرحلة الدراسة التحضيرية على ما بذلوه من جهد ومثابرة ، فأسأل الله إن يوفقهم ويطيل في أعمارهم خدمة لطلاب العلم

ولا يفوتني ، أن أتقدم بالشكر ، وعظيم الامتنان ، لأساتذتي الأفاضل ، رئيس اللجنة المحترم ، والأعضاء المناقشين ، على قبولهم مناقشة هذه الرسالة ، وإبداء الملحوظات والتوجيهات المفيدة حولها ، فأسأل الله أن ينفع بعلمهم ، وأن يجزيهم الله خير الجزاء.

الباحث

المختصرات والرموز

قائمة ببعض اختصارات الكلمات التقنية في البحث العلمي ما يقابلها من المفردات الكاملة؛ وذلك بسبب كثرة ورودها، ولتفادي تكرارها:

الكلمات المختصرة	ما يقابلها بالعربية
ج	جزء
ص	صفحة
ت	تاريخ
ط	طبعة
د	دون
د.م	دون مكان
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري

فهرس المحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
١.	الآية	أ
٢.	اقرار المشرف	ب
٣.	اقرار لجنة المناقشة	ج
٤.	الاهداء	د
٥.	شكر وثناء	هـ-و
٦.	مختصرات الرموز	ز
٧.	فهرس المحتويات	ح-ي
٨.	المقدمة	٦-١
٩.	الفصل التمهيدي : تحديد مصطلحات العنوان	٢٦ - ٧
١٠.	المبحث الأول (مفهوم المنهج الترجيحي لغة واصطلاحاً)	٨ -
١١.	المطلب الاول : المنهج لغة واصطلاحاً .	١٠ - ٨
١٢.	المطلب الثاني : الترجيح لغة واصطلاحاً .	١٤ - ١٠
١٣.	المطلب الثالث : المنهج الترجيحي .	١٤
١٤.	المبحث الثاني التعريف بتفسير من وحي القرآن	١٧-١٥
١٥.	اولاً : نبذة تعريفية عن تفسير (من وحي القرآن) :	١٦ - ١٥
١٦.	ثانياً: طريقة تناوله للسور	١٧
١٧.	المبحث الثالث تعريف التفسير	١٩- ١٨
١٨.	المبحث الرابع ترجمة لحياة السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله)	٢٦ - ١٩
١٩.	المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.	١٩
٢٠.	المطلب الثاني : ولادته ونشأته .	٢٠
٢١.	المطلب الثالث : دراسته العلمية.	٢٢-٢١
٢٢.	المطلب الرابع: حركته الأدبية والثقافية .	٢٣
٢٣.	المطلب الخامس : اساتذته .	٢٤

٢٥	المطلب السادس : تلامذته	٢٤.
٢٦	المطلب السابع : وفاته	٢٥.
٩٥-٢٧	الفصل الأول منهج السيد محمد حسين فضل الله في تفسير من وحي القرآن	٢٦.
٥٢- ٢٨	المبحث الأول (الظاهر والباطن)	٢٧.
٤٢- ٢٨	- المطلب الأول : ظاهر القرآن	٢٨.
٥٢-٤٢	- المطلب الثاني : باطن القرآن	٢٩.
٨٨ - ٥٣	المبحث الثاني : (التفسير بالمأثور)	٣٠.
٦٤-٥٩	- المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن	٣١.
٧١- ٦٤	- المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة	٣٢.
٧٦-٧١	- المطلب الثالث : تفسير القرآن بقول الصحابي	٣٣.
٨٤ - ٧٦	- المطلب الرابع : تفسير القرآن بأقوال أهل البيت (ع)	٣٤.
٨٨ - ٨٤	- المطلب الخامس : تفسير القرآن بقول التابعي	٣٥.
٩٥ - ٨٩	المبحث الثالث : (الأسلوب الاستيعائي)	٣٦.
١٢٣ - ٩٦	الفصل الثاني مقدمات في قواعد الترجيح	٣٧.
١٠٨ - ٩٧	المبحث الأول (نشأة الترجيح)	٣٨.
٩٨ - ٩٧	المطلب الأول : عهد النبي (ص)	٣٩.
١٠٠ - ٩٨	المطلب الثاني : عهد الصحابة (رض)	٤٠.
١٠٢ - ١٠١	المطلب الثالث : عهد التابعين	٤١.
١٠٤-١٠٢	المطلب الرابع : مرحلة التدوين	٤٢.
١٠٨ - ١٠٤	المطلب الخامس : مرحلة التصنيف	٤٣.
١١٤ - ١٠٩	المبحث الثاني : مفهوم قواعد التفسير والترجيح	٤٤.
١٢١-١١٥	المبحث الثالث : الفرق بين قواعد التفسير والترجيح	٤٥.
١٢٣-١٢٢	المبحث الرابع : أركان الترجيح	٤٦.

٤٧.	الفصل الثالث حالات الترجيح وقواعده عند السيد فضل الله	٣٢٨-١٢٤
٤٨.	المبحث الأول : حالات الترجيح عند السيد فضل الله	١٣٠-١٢٥
٤٩.	المبحث الثاني : قواعد الترجيح عند السيد فضل الله	٢٨٥-١٣١
٥٠.	المطلب الأول : قاعدة الترجيح بالنص القرآني	١٤٥-١٣١
٥١.	المطلب الثاني : قاعدة الترجيح بدلالة ظاهر القرآن	١٦٧-١٤٥
٥٢.	المطلب الثالث : قاعدة الترجيح بالسياق القرآني	١٦٩ - ١٦٨
٥٣.	المطلب الرابع : قاعدة الترجيح بالقراءات القرآنية	٢١٠-١٩٧
٥٤.	المطلب الخامس : قاعدة الترجيح بالنسخ	٢٢١-٢١٠
٥٥.	المطلب السادس : قاعدة الترجيح بالسنة والأثر المروي عن أهل البيت (عليهم السلام)	٢٣٠ - ٢٢١
٥٦.	المطلب السابع : قاعدة الترجيح بأسباب النزول	٢٣٥ - ٢٣٠
٥٧.	المطلب الثامن : قاعدة الترجيح في مبهمات القرآن	٢٤٢-٢٣٥
٥٨.	المطلب التاسع : قاعدة الترجيح بلغة العرب	٢٥٠ - ٢٤٢
٥٩.	المطلب العاشر : قاعدة الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير	٢٥٦ - ٢٥٠
٦٠.	المطلب الحادي عشر : قاعدة الترجيح بالبلاغة	٢٦٦-٢٥٦
٦١.	المطلب الثاني عشر : قاعدة الترجيح ما يتفق مع اتساع المعنى وشموله	٢٧٢-٢٦٦
٦٢.	المطلب الثالث عشر : قاعدة الترجيح بالقرينة	٢٧٨-٢٧٣
٦٣.	المطلب الرابع عشر: ترجيحاته الاجتهادية	٢٨٥-٢٧٩
٦٤.	الخاتمة وأهم النتائج	٢٨٧-٢٨٦
٦٥.	فهرست المصادر والمراجع	٣٠٦-٢٨٨
٦٦.	Abstract	A-B

المقدمة

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والعزة والبقاء ، والرفعة والعلاء حمداً كثيراً ، الذي أنزل الكتاب وأودع فيه أحكاماً وعلومًا قرآنًا عظيمًا ، وذكرًا حكيمًا فيه آياتٌ بينةٌ وحججٌ دامغةٌ وبراهين واضحة ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبيينا خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء محمد ابن عبد الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنتجبين) ، عدد ذرات الصحراء ونجوم السماء ، الهادي للأمة والكاشف عن الغمة ، والناطق بالحكمة المبعوث بالرحمة ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ، وأتم به مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال

أما بعد ...

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وقد أعجز أرباب الفصاحة والبلاغة على أن يأتوا بسورة من مثله ، ولكن لم يُعجز الناس عن فهمه ، إنما جعله الله هدى وتبياناً لكل شيء ، ودعا الى التفكير والتأمل في آياته ، فقد ألفت الكثير من العلوم والدراسات في القرآن الكريم فكانت أشرف هذه العلوم على الإطلاق ، وأرفعها قدراً ومنزلة بين العلوم ، هو علم تفسير كتاب الله العزيز القدير ، فألفت فيه الكثير من الدراسات .

ولهذا كانت المؤلفات في حقول تفسير القرآن من أغزر الحقول التي تناولها المؤلفون والدارسين على مر العصور ، وقد سعى الكثير من الباحثين إلى اكتشاف المعارف والعلوم من القرآن الكريم

وقد سعى العلماء قديماً وحديثاً إلى وضع قواعد وأصول لتفسير القرآن الكريم ، تلافياً للزلل والانحراف ، فكان همهم أن يفهموا خطاب الله لعباده ، ويعرفوا مراده من كتابه الكريم ، فحازوا أفضل العلوم .

كما لايزال المصلحون من علماء هذه الأمة في العصر الحديث يستجلون العلوم والمعارف من القرآن الكريم ، فقد أكدوا ضرورة التمسك بالقرآن الكريم ، ووعي القرآن وعياً

جديداً يتناسب مع مستجدات وقضايا العصر ، والتخلص من الترسبات التي حالت بينه وبين إنارة الوجدان ، فالأطر التقليدية للتفسير بعضاً منها لايتسع لتحولات العصر ومستجداته .

فكان لابد من إعادة النظر في تفسير القرآن الكريم بما يتناسب مع واقع العصر ومستجداته المستقبلية ، ليضع الحلول لكل قضايا الإنسان المسلم المعاصر ، لأن القرآن الكريم لم يجعله الله لزمان دون زمان ، ولا لقوم دون قوم ، بل هو لكل زمانٍ جديد ولكل قوم إلى يوم القيامة .

فكان تفسير (من وحي القرآن) للعلامة المرجع السيد (محمد حسين فضل الله) ، واحداً من هذه التفاسير الحديثة التي أتمت بحرية الفكر وغاية التهذيب في النقد والمحااجة وحسن النظم والترتيب ، فجمع فيه فنوناً عدة ، فهو يعرض معاني المفردات، وأسباب النزول ، وقصص الأنبياء ، ويحتكم إلى اللغة ، بالإضافة إلى ذكره للأحكام الفقهية في المسائل التي يتطرق إليها في تفسير الآيات ، إلى مسائل علوم القرآن ، إضافة إلى الكثير من المسائل الإقتصادية والإجتماعية .

إلا أنني لاحظت أنه لم يسبق لأحد من الباحثين . حسب علمي . أن تتبع ترجيحات السيد فضل الله بصفة مستقلة ، فالسيد فضل الله له قواعد ومنهج معتبر في الترجيح ، ولذا عزمت أمري بعد طول بحثٍ ، أن أبدأ في هذا الموضوع ، وقد أستقر عنوان رسالتي على : (المنهج الترجيحي للسيد محمد حسين فضل في تفسير من وحي القرآن) .

أهمية الموضوع :

تظهر أهمية الموضوع من عدة وجوه يمكن أجمالها فيما يأتي :

- ١ - إن تفسير من وحي القرآن من أجل التفاسير ، كونه تفسيراً أدبياً واجتماعياً ، وقد استفاد منه طلاب العلم كثيراً ، نظراً لكثرة مجالات البحث والدراسة فيه .
- ٢ - كثرة الموضوعات والاستنباطات المختلفة في هذا التفسير .

- ٣ - معرفة المنهج الذي اعتمده السيد فضل الله في الترجيح بين الأقوال التفسيرية .
- ٤ - وجه المفسر النقد الى الكثير من أقوال المفسرين ، بطريقة أدبية وموضوعية .
- ٥ - إن تفسير من وحي القرآن مليء بعرض أقوال المفسرين ، كما إن مؤلفه كثيراً ما يرجح بين هذه الأقوال ما يراه الأقرب للصواب بطرق ترجيحية معتبرة

أسباب اختيار الموضوع :

- ١ . محاولة التعرف على المنهج الترجيحي عند السيد فضل الله في تفسيره .
- ٢ . إن دراسة الترجيحات تساعد الباحث على معرفة الآيات التي وقع بها الخلاف بين المفسرين ، وهذا لايتوفر في بقية الموضوعات ، كون هذا الموضوع يعتمد على المقارنة والموازنة بين أقوال المفسرين ، والترجيح بينها.
- ٣ . إن دراسة الترجيح تساعد الباحث على معرفة مناهج المفسرين ، ومعرفة منهج كل مفسر في بيان معنى الآيات .
- ٤ . أن لكل مفسر منهج ترجيحي يتميز به ، فمنهم من يرجح وفق النص ومنهم من يرجح وفق السياق ومنهم وفق اللغة وغيرها .

الدراسات القريبة :

لم أجد من تطرق إلى المنهج الترجيحي عند السيد فضل الله في تفسيره . حسب اطلاعي . وإنما وجدت بعض الرسائل والكتب حول تفسيره ، وهي كما يلي :

- ١ - النقد التفسيري في تفسير من وحي القرآن ، الباحث سجاد هادي ، جامعة الكوفة ، كلية الفقه .

- ٢ - قضايا المرأة المعاصرة في تفسير (من وحي القرآن) ، هبة علي عباس ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بابل ، بابل ، ٢٠٢٢ م .

٣ - بحث منشور (البعد الحركي في منهج (تفسير من وحي القرآن) للسيد محمد حسين فضل الله) ، حسن محمد علي حسين الحكيم ، مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد : ١ ، العدد : ٢٢١ ، ٣٠ / ٦ / ٢٠١٧ ، جامعة بغداد ، كلية التربية للعلوم الإنسانية / ابن رشد.

٤ - البحث الدلالي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله ، د . جابر محسن عليوي (كتاب) .

٥ - السيد محمد حسين فضل الله مفسراً ، محمد الحسيني (كتاب) .

منهجية الرسالة :

اتبع الباحث في بحثه المنهجية الآتية :

١ - أذكر القاعدة أو المنهجية التي اعتمدها المفسر في الترجيح بين أقوال المفسرين .

٢ - أذكر الكلمة أو الموضع الذي اختلف فيه المفسرون .

٣ - كتابة الآية التي فيها الترجيح ، ومن ثم ذكر الكلمة أو الموضع المراد ترجيحه .

٤ - أذكر أقوال المفسرين في المورد المراد ترجيحه ، ومن وافقه ، ومن خالفه من المفسرين ، مع ذكر أدلتهم .

٥ - أذكر القول الراجح للمفسر من بين تلك الأقوال ، مع ذكر الدليل الذي أعتمده المفسر في الترجيح بين الأقوال

خطة الدراسة :

تتضمن مقدمة وأربعة مباحث تمهيدية وثلاثة فصول وخاتمة مع قائمة المصادر والمراجع ونبينها كما يأتي :

المقدمة : وقد تم ذكرها .

الفصل التمهيدي : بعنوان مصطلحات العنوان ، ويضم أربعة مباحث :

المطلب الأول ركزت فيه على تعريف المنهج لغة واصطلاحاً وتعريف الترجيح لغة وأصطلاحاً وتعريف شامل للمنهج الترجيحي.

أما المبحث الثاني ، فقد تناولت فيه التعريف بتفسير من وحي القرآن ومميزات هذا التفسير وطريقة تناوله للآيات والسور .

بينما عني المبحث الثالث بعنوان تعريف التفسير لغة واصطلاحاً وشرفه والحاجة إليه

بينما سلط المبحث الرابع الضوء على ترجمة لحياة السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله) وتناولت فيه ستة مطالب ، وهي المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته ، والمطلب الثاني : ولادته ونشأته ، والمطلب الثالث : دراسته العلمية ، والمطلب الرابع : حركته الأدبية والثقافية ، والمطلب الخامس : أساتذته ، والمطلب الخامس : تلامذته ، والمطلب السادس : وفاته

أما الفصل الاول : فكان بعنوان (منهج السيد محمد حسين فضل الله في تفسير (من وحي القرآن)) ، ويضم ثلاثة مباحث :

المبحث الأول جاء بعنوان (ظاهر القرآن وباطنه) ، وقسمته على مطلبين ، المطلب الأول كان بعنوان ظاهر القرآن ، فعرفت فيه الظاهر لغة واصطلاحاً وموقف علماء التفسير من ظاهر القرآن ، أما المطلب الثاني فقد جاء بعنوان (باطن القرآن) ، فعرفت فيه الباطن لغة واصطلاحاً ، وذكرت روايات أهل البيت حول باطن القرآن ، وموقف علماء التفسير حول نظرية تفسير بطون القرآن

أما المبحث الثاني ، فقد حمل عنوان : التفسير بالمأثور ، وقسمته الى خمسة مطالب ، المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن ، المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة ، المطلب الثالث : تفسير القرآن بقول الصحابي ، المطلب الرابع : تفسير القرآن بقول أهل البيت (عليهم السلام)، المطلب الخامس : تفسير القرآن بقول التابعي.

أما المبحث الثالث : فقد جاء بعنوان (الأسلوب الاستيعائي) ، وهذا الأسلوب قد تميز به السيد فضل الله في تفسيره للآيات

أما الفصل الثاني ، فقد حمل عنوان (مقدمات في قواعد الترجيح) :

قسمته إلى أربعة مباحث ، فكان المبحث الأول بعنوان (نشأة الترجيح) ، والمبحث الثاني (مفهوم قواعد التفسير والترجيح) ، أما المبحث الثالث ، فكان بعنوان (الفرق بين قواعد التفسير والترجيح) ، والمبحث الرابع ، فقد حمل عنوان (أركان الترجيح)

أما الفصل الثالث : فكان بعنوان (حالات الترجيح وقواعده عند السيد فضل الله)
صعوبات البحث :

أما الصعوبات التي واجهتني في إتمام البحث ، فإنها تكمن في سعة الموضوع ، وتراخي جوانبه ، فضلاً عن قلة مصادر الترجيح ، ولاسيما في مصادر الإمامية ، فلم أجد كتباً لديهم تُعنى بالترجيح ، وكذلك ظروف العمل التي لا بد إن تلقي بظلالها على البحث وأخيراً فلا أدعي أنني قد بلغت الكمال في الكتابة ، فبينها وبين الكمال الفرق الشاسع ، أو جئتُ بالشيء العجيب ، وإنما هي الخطوة الأولى في طريق العلم ، تاركاً تمامها وسد ما فيها من النقص والضعف على ما سيدلي به أساتذتي في لجنة المناقشة ومقومي في هذه الدراسة ، فأنا كلي أمل بأن يدلوا بما يتم نقصها ، ويقوي ضعفها ، ويصحح أغلاطها ، فهم أهل للخير والصواب ، أسأل الله إن يجعلها منفعةً وخالصةً لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

الباحث

الفصل التمهيدي

تحديد مصطلحات العنوان

(المنهج الترجيحي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله)

المبحث الأول (مفهوم المنهج الترجيحي)

المطلب الأول : المنهج لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : الترجيح لغة واصطلاحاً .

المطلب الثالث : المنهج الترجيحي .

المبحث الثاني (التعريف بتفسير من وحي القرآن)

أولاً : نبذة تعريفية عن تفسير (من وحي القرآن) :

ثانياً : طريقة تناوله للسور

المبحث الثالث

تعريف التفسير

المبحث الرابع

ترجمة لحياة السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله)

المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته .

المطلب الثاني : ولادته ونشأته .

المطلب الثالث : دراسته العلمية .

المطلب الرابع : حركته الأدبية والثقافية .

المطلب الخامس : أساتذته .

المطلب السادس : تلامذته .

المطلب الثامن : وفاته .

المبحث الأول (مفهوم المنهج الترجيحي)

المطلب الأول : المنهج لغة واصطلاحاً

- المنهج لغة:

وردت عدة تعريفات في المعاجم اللغوية لتعريف المنهج نذكر منها :

قال سعيد بن مسعدة الاخفش (ت ٢١٥ هـ) : ((المنهاج الطريق منهج ينهج))^(١)

قال الازدي (ت ٣٢١ هـ) : ((النهج والمنهج الطريق الواضح والجمع مناهج))^(٢)

قال الازهري (ت ٣٧٠ هـ) : ((نهج " الطريق نهج وطريق نهجة وقد نهج الأمر وأنهج لغتان إذا وضح ومنهج الطريق وضحه والمنهاج الطريق الواضح))^(٣)

قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ((نهج النون والهاء والجيم أصلان متباينان النهج الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج))^(٤)

قال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ((نهج الطريق الواضح وكذلك المنهج والمنهاج وانهج الطريق أي أستبان وصار نهجاً واضحاً بياناً))^(٥)

١ (معاني القرآن ، الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ت ٢٠١٥ هـ - تح د. عبد الأمير محمد أمين الورد ط ١ - عالم الكتب - بيروت لبنان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م : ٤٧١/٢ ، مادة (نهج)

٢ (جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت ٣٢١ هـ : ح. رمزي منير العلبكي؛ دار العلم - بيروت لبنان - ط ١ ، ١٩٨٧ م - ١٤٣١ هـ : ١ / ٤٩٧ ، مادة (نهج)

٣ (تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري الهروي ت ٣٧٠ هـ : ح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠٠١ م : ٦ / ٤١ ، مادة (نهج)

٤ (معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ ، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، المجمع العلمي العربي : ٥ / ١٨٦ ، مادة (نهج)

٥ (الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية. أبو النصر أسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت ٣٩٣ هـ ، ح احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان - ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م : ١ / ٣٤٦

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) : ((نهج الطريق الواضح ويقال شرعت له طريق والشرع مصدر ثم جعل اسماً للطريق النهج فقليل له : شرع شرعاً شريعة واستعير ذلك للطريقة الالهية ^(١) لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا^(٤٨) ﴿ المائدة: ٨٤ ﴾ ^(٢)))

يقال عن المنهج في اللغة : طرق نهجه وسبيل منهج ومنهج الطريق وضحه والنهج والمنهاج كالمنهج^(٣) والمنهاج هو الطريق الواضح^(٤) .

أن هذه التعارف كلها متفقة من حيث المعنى ونستخلص منها أن المنهج : هو الطريق والشرعية الواضحة البينة المستقيمة

- المنهج في الاصطلاح :

ذكر للمنهج في الاصطلاح معانٍ كثيرة منها :

١. عرفه الفيلسوف الفرنسي ديكارت ، فالمنهج عنده "هو مجموعة القواعد اليقينية والبسيطة التي تضمن لمن يراعيها بدقة الا يفترض أبداً الصدق في ما هو كاذب وأن يصل إلى علم صحيح بكل ما يمكن العلم به " ^(٥).

٢. المنهج : (الطريقة التي يصل بها الإنسان إلى حقيقة) ^(٦)

٣. ((هو طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية)) ^(١)

١ (المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن حمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت ٥٠٢ هـ. ح: صفوان عدنان الداودي ؛ دار القلم ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ : ٤٥

٢ (اساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ : ط ٢ . دار الكتب : بيروت - لبنان ، مادة نهج

٣ (لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١ هـ ، دار صادر بيروت - لبنان : مادة نهج.

٤ (ينظر : مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ترتيب : محمود خاطر ، ط ١ ، دار المعارف ، ١٩٩٠ م : ٦٨١

٥ (مقال في المنهج : الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت ، محمود محمد الخضير ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م : ٩٦

٦ (منهج البحث الأدبي ، د. علي الجواد الطاهر : مكتبة اللغة العربية : ط ٣ ، بغداد ، ١٩٧٤ م ؛ ١٩

٤. المنهج : ((هو الترتيب الصحيح والإحصاء الدقيق لجميع ظروف الشيء المبحوث عنه))
(٢)

٥. عرفه محمد بدوي المنهجية بأنه " علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق للوصول الى المعلومة مع توفير الجهد والوقت وتفيد كذلك معنى ترتيب المادة العلمية وتبويبها وفق احكام مضبوطة.
(٣)

٦. ((هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو عمل شيء أو في تسليم شيء طبقاً لمبادئ معينة ونظام معين بنية الوصول الى غاية معينة))^(٤)

وبهذا يختلف المفهوم الاصطلاحي للمنهج عن المفهوم اللغوي ، لأن بالمفهوم اللغوي أن المنهج يدل وضوح الطريق واستقامته ، أما بالمفهوم الاصطلاحي يركز على الخطة المتبعة للوصول إلى الحقيقة.

ونستخلص من هذه التعاريف أن المنهج : وسيلة للبحث وفق مجموعة من القوانين التي تضبطها حتى نصل الى نتيجة تبين لنا الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية. وكذلك إن المنهج أمر ضروري في الدراسة والبحث ، لأنها تساعد الباحثين في عدم الوقوع في التشتت والتخبط في دراساتهم .

المطلب الثاني : الترجيح لغة واصطلاحاً :

وردت تعاريف كثيرة في المعاجم اللغوية لمعنى الترجيح نذكر منها

١) المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة : محمد علي أسدي ، المجمع العلمي : ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م طهران - إيران : ١٨

٢) مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم : رينيه ديكارت : ترجمة جميل صليبا ، ط ٢ - بيروت - لبنان ، ١٩٧٠ م : ٢١

٣) المنهجية في البحوث والدراسات الإسلامية: محمد بدوي، دار المعارف، سوسه - تونس : ١٩٨٨ م : ٩

٤) المعجم الفلسفي: مراد وهبة وجماعته، ط ٢، دار الثقافة الجديدة، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، القاهرة : ٢٣١

- الترجيح لغة:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥) : ((رجح : الرأء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة وزيادة يقال : رَجَحَ الشيء وهو راجع إذا رزن وهو من الرجحان فأما الأرجوحة فقد ذكرت في مكانها ويقال : أُرِجحت إذا أعطيت راجحاً))^(١)

وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) : ((رجح : الراجح : الوازن ورجح الشيء بيده : رزنه ونظر ما ثقله وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال . و أُرِجحت لفلان ورجحت ترجيحاً إذا اعطيته راجحاً . ورجح الشيء يَرَجُحُ ويَرَجُحُ رجوحاً ورجحاناً ، يَرَجح الميزان يَرَجُحُ ويقال : زن وأرجح وأعط راجحاً، ورجح فيه مجلسه يُرْجَع ثقل ولم يخفف، وهو مثل الرصاصة: الحلم وقوم رُجِحَ حلماء))^(٢)

واختصر الجوهري (ت ٨١٧ هـ) على الفتح والكسر (رَجَحَ الميزان يَرَجُحُ) وَيَرَجَحُ وَيَرَجُحُ (مثلةً) أو (رُجُوحاً) ، وكذلك بالضم (ورجحاناً) ورجح الشيء ومنه: رجحان الميزان إذا مال الى جانب الزيادة.^(٣)

ويقال: زن وأرجح وأعط راجحاً وارجح له ورجح : أعطاه راجحاً وأرجح الميزان أثقله حتى مال^(٤)

كما يقال : ((رَجَحَ الشيء: ثقل زاد وزنه "رجح الحمل" رجح عقله: اكتمل "رجل راجح العقل" رجح رأيه غلب على غيره - رأي راجح رجحت كفته فاق غيره في الأهمية والقيمة.

أَرَجَحَ يَرَجِحُ إِرْجَاحاً فهو مُرْجِحٌ والمفعول مُرْجَحٌ أَرَجَحَ أحدَ الرأيين: فضله ومال إليه))^(٥)

١ (معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ت ٣٩٥ هـ : ٤٨٩/٢ باب رجح.

٢ (لسان العرب. ابن منظور ت ٧١١ هـ: ٤٤٥/٢ باب رجح

٣ (القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ، تحقيق مجدي السيد المكتبة الوضعية القاهرة، د ط، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، مادة رجح ٢١٨/١.

٤ (ينظر : تاج العروس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تح. د حسين نصار، د. ط - ١٣٦٩ هـ - ١٩٦٩ م ، التراث العربي - الكويت : ٣٨٣/٦.

٥ (معجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عمر - ط ١. ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عالم الكتب - القاهرة : مصر: ٨٥٨/١ .

قال الزمخشري ت ٥٣٨ هـ : ((رجحت احدى الكفتين على الأخرى وارجح الميزان وإذا وزنت فأرجح ورجحت الشيء: وزنته بيدي ونظرته ما ثقله))^(١)

وفي مختار الصحاح : "رجح الميزان يرجح ويَرْجُح بالضم والفتح (رُجْحَاناً) فيهما أي مال (وَأَرْجَح) له".^(٢)

ونستخلص من هذه التعاريف أن الترجيح : هو بمعنى الزيادة ، فرجاحة العقل ، أي اكتماله عقله وغلب غيره .

- الترجيح اصطلاحاً :

في اصطلاح الأصوليين فقد عرفه الإمام الرازي بقوله : ((الترجيح : تقوية أحد الطريقتين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر)).^(٣)
وعرفه الشيخ محمد جواد مغنية بقوله : ((الترجيح تقديم أحد الحجتين على الثانية لميزة توجب ذلك))^(٤)

أما في اصطلاح الفقهاء فُعرف ب: ((إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر)).^(٥)

أما الترجيح عند المفسرين فقد عرفه حسين الحربي: بقوله ((تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه أو لتضعيف أو رد ما سواه))^(٦)

أما في بيان معنى التعريف يقول الدكتور حسين علي الحربي : (الدليل يشمل جميع أنواع الأدلة التي تصلح في تقوية الأقوال التفسيرية سواء كانت من دلالة ألفاظ الآية أو سياقها أو

١ (اساس البلاغة الزمخشري : ٣٣٨/١ .

٢ (مختار الصحاح - محمد بن ابي بكر الرازي ت ٦٦٦ هـ ، د ط - مكتبة لبنان - ١٩٨٦ م . بيروت لبنان : ٩٩ .

٣ (المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسن ت ٦٠٦ هـ ، تحقيق طه جابر، موسوعة الرسالة ط ٣ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م : ٣٩٧/٥

٤ (علم أصول الفقه في ثوبه الجديد، محمد جواد مغنية ت ١٩٩٧ م، دار العلم للملايين، ط ١ : ١٩٧٥ م / ٤٤١

٥ (معجم لغة الفقهاء ، محمد راوس ت ٢٠١٤ م وحامد صادق : دار النفائس الطباعة والنشر، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٨٨ م : ١٢٨

٦ (قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، راجعه الشيخ مناع بن خليل، دار القاسم ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، السعودية - الرياض : ٣٥

قراءة خست بالخطاب او من دليل خارج عن اللفظ كورود حديث يدل عليه أو موافقة أصول الشرع ونحو ذلك وقول (أو لتضعيف ما سواه من الأقوال لأن تضعيف القول أو الأقوال أو رده يحصر الصواب فيما عداه).^(١)

حيث ان الترجيح يكون في الآيات التي وقع فيها الخلاف في التفسير .^(٢)

وقد عرفه أيضاً الدكتور طاهر محمد يعقوب بقوله : ((هو تقوية أحد الأقوال التفسيرية في تفسير الآية لدليل من الأدلة الشرعية أو قاعدة من القواعد التفسيرية التي قرره العلماء أو لتضعيف ما سواه)^(٣)

ونستخلص من هذه التعريفات أن الترجيح : هو تقوية وترجيح أحد الأقوال على غيره ، وذلك لوجود ميزة ، أو ضابطة تميزه وترجحه عن بقية الأقوال الواردة في معنى الآية

وقد تبين لي : أن تعريف الدكتور طاهر محمد مشابه لتعريف الدكتور حسين الحربي ف كلا التعريفين يحتوي على تقوية أحد الأقوال التفسيرية على وفق القواعد الترجيحية أما عن المنهج الترجيحي الذي اعتمده السيد محمد حسين فضل الله في تفسيره (من وحي القرآن) فعندما يرجح الأقوال الواردة في النص القرآني يستعين في ترجيحه لأحد هذه الأقوال بدليل نقلي أو عقلي.

أما عن المنهج العام الذي اتبعه السيد محمد حسين فضل في تفسيره من وحي القرآن فهو اتبع المنهج الاجتماعي وهذا المنهج يعتمد على التوفيق بين الدين الإسلامي وقضايا الإنسان المعاصر فليس هناك تناقض بين الحياة العصرية والإسلام ولا بين متطلبات الزمن والفهم الإسلامي أي تضاد بل هناك توافق وانسجام ، فالذي يدرس الحضارة المدنية ويقارنها بما

١) منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، حسين علي الحربي ، مركز تفسير الدراسات القرآنية ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م ، الرياض - السعودية : ٧٢

٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٢

٣) اسباب الخطأ في التفسير ، طاهر محمود محمد يعقوب ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، السعودية - الدمام : ١ / ٩١٩ .

قدم الإسلام من حلول للمشكلات يجدهما متوافقين في العرض والحل حيث كان هذا المنهج رداً على الدعوات الاستعمارية التي استهدفت الإسلام. (١)

أما عن الترجيحات عند المفسرين تكون في أثناء تفاسيرهم للآيات القرآنية ، فعندما تختلف أقوال المفسرين في تفسيرهم للآية القرآنية عند ذلك يعتمد المفسر في ترجيح إحدى هذه الأقوال مستعيناً بدليل عقلي أو دليل نقلي وتختلف هذه الترجيحات من مفسر إلى آخر والسبب في ذلك يعود حسب توجه المفسر العقائدية والمذهبية.

المطلب الثالث :المنهج الترجيحي:

- تعريف المنهج الترجيحي كمركب اضافي :

بعد البحث الطويل لم نجد أن أحداً قد تعرض الى بيان معنى المنهج الترجيحي كتعريف مركبٍ وصفي وقد تبين لي أن معنى المنهج الترجيحي : هي الطريقة التي يعتمدها المفسر في دراسة الأقوال التفسيرية ، ونقد الأقوال المخالفة ، ومن ثم ترجيحه لأحد الأقوال المطابقة لمعنى الآية ، مستدلاً بذلك ، بدليل قرآني أو رواية ، أو مستعيناً . بما تمليه عليه ثقافته العلمية والقرآنية واستقرئه لترجيحات أئمة المفسرين.

كما إن الطريقة التي يعتمدها المفسر في ترجيحه لأحد الأقوال الواردة في الآية القرآنية تكون ملائمة لانتمائه الفكري والعقائدي .

إن المنهج الذي اعتمده السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله) في ترجيحه للأقوال التفسيرية يدعمه بالأدلة القوية الواضحة وهذا نجده في رده بسبب النزول في سورة المائدة آية (٣-٤) وتنفيذه لهذه القصة المروية . (٢)

١) ينظر المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق : محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، بيروت لبنان : ١٢٨ .

٢) ينظر :تفسير من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، ٨ / ٣٤ - ٣٥ .

المبحث الثاني

التعريف بتفسير من وحي القرآن

أولاً : نبذة تعريفية عن تفسير (من وحي القرآن) :

يعد تفسير من وحي القرآن من التفسير الأدبية والاجتماعية ، وقد أصبح هذا التفسير محل اهتمام وعناية لكثير من الباحثين والدارسين ، ولهذا طبع عدة طبعات ((صدر هذا الكتاب قبل اكثر من عشرين سنة وطبعت أجزاءه عدة طبعات))^(١) حيث ألف هذا التفسير القيم عام (١٣٩٩ هـ) ولا تزال تعاد طبعاته حسب رغبة الجيل المثقف.^(٢)

وفي كل طبعة جديدة يعيد المفسر النظر في أبحاثه ويبيدي عليه بعض الملاحظات ويناقش الأفكار الواردة في بعض الدراسات التفسيرية ولا سيما ما ورد في تفسير الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي حيث يعد هذا التفسير من أفضل التفسير الحديثة قراءةً وتنوعاً فكرياً وتفسيراً ، لذا حاول المفسر دراسة بعض أبحاثه دراسة نقدية بناءً على مستوى أسلوب التفسير .^(٣)

ومن مميزات هذا التفسير:^(٤)

أولاً/ يغلب على هذا التفسير الطابع التربوي بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحي يتجسد في الارتقاء بالإنسان في كل مجالاته المختلفة ، يسعى إلى إحداث عملية التكيف والتفاعل بين الكائن الآدمي وبيئته الطبيعية والاجتماعية لتحقيق خلافة الله في الأرض.

إذ جاء في اسباب النزول للواحي بسنده عن ابي رافع قال : " امرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل الكلاب فقال الناس : يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فأنزل الله هذه الآية وهي (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ)

١) تفسير من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، بيروت - لبنان : ٢٠/ ١

٢) ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه الكشف : محمد هادي معرفة ، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ ، إيران ، مشهد : ٢ / ١٠٣٠ .

٣) ينظر : تفسير من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله : ٢٠/ ١ .

٤) ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه الكشف : محمد هادي معرفة : ٢ / ١٠٢٩ - ١٠٣٠ .

ثانياً/ كذلك يمتاز هذا التفسير بأسلوبه الأدبي الرائع مع المزج بينه وبين الأسلوب العلمي المتأدب النزيه ما يجعل الكتاب رائعاً يجذب القارئ إليه جذباً ، ويجعله يتفاعل معه مغرماً به. حيث يُعد هذا التفسير من أبرز تفاسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري وهذا ما شهد به الكثير من العلماء و المختصين في البحوث والدراسات القرآنية ومنهم آية الله الشيخ جعفر السبحاني في كتابه مفاهيم القرآن حيث قال "العلامة الحجة محمد حسين فضل الله من أكابر علماء لبنان له تفسير من وحي القرآن من أروع التفاسير التربوية".^(١)

وقد ذكر عنه آية الله الشيخ محمد هادي معرفة في كتابة التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب حيث قال "من وحي القرآن تفسير تربوي اجتماعي شامل ، ويعد من أروع التفاسير الجامعة النابعة من روح حركية نابضة بالحيوية الإسلامية العريقة انطلق فيها المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله من أجل علماء الإسلام في القطر اللبناني يعمل في إحياء الجو القرآني في كل . مجالات الحياة المادية والمعنوية نظير ما صنعه سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) في تربية الجيل المسلم و متناسباً مع كل دور من أدوار الزمان"^(٢)

أما بالنسبة للأفكار والأبحاث التي في التفسير ، فقد كانت في بادئ الأمر محاضرات ودروس في التفسير يلقيها السيد فضل الله على طلبة الحوزة العلمية قبل أن يقوم بجمعها وترتيبها وكتابتها في تفسير كامل للقرآن الكريم حيث كانت هذه الدروس تهدف إلى خلق وعي قرآني يركز الوعي الإسلامي على قواعد ثابتة تجعل من القرآن الكريم منهاج حياة حركية^(٣) وهذا ما أكدده السيد في قوله " لقد حاولت في هذا تفسير أن أعيش القرآن في عقلي وقلبي وحياتي في فهم آياته واستحياء أفكاره وتحريكه في كل مسيرتنا الإسلامية الصاعدة إلى كل

١ (مفاهيم القرآن ، آية الله جعفر السبحاني ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، بيروت - لبنان : ١٠ / ٤٣

٢ (ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة : ٢ / ١٠٢٩ .

٣ (ينظر : من وحي القرآن : محمد حسين فضل الله ، المقدمة الطبعة الثالثة : ١٩ / ١ .

الآفاق الباحثة عن الله في كل مواقع عظمتة وامتدادات نعمه واسرار احكامه وفي الخط المستقيم المنفتح على كل حركة السعادة في الإنسان^(١)

لذلك لم يشأ المفسر أن يعد تفسيره كتاب تفسير شأنه شأن غيره من التفاسير لذلك سماه من (وحي القرآن) ، لأنه كان يهدف في هذا التفسير الوقوف على إحياءات القرآن الكريم التواصل مع القرآن الكريم واستتطاق آياته من قبل المؤمنين وهذا ما أكدته المفسر بشأن سبب تسميته فقال "سميت تفسيري من وحي القرآن لأنه يحاول ان يستوحي القرآن حركياً ويستوحيه للحاضر والمستقبل".^(٢)

ثانياً: طريقة تناوله للسور

أستخدم المفسر الطريقة التجزيئية فقد أعتمد على المنهج التسلسلي في تفسير القرآن الكريم حيث يبدأ المفسر بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس وهذا ما سار عليه كثير من المفسرين حيث يذكر أسم السورة وعدد آياتها ثم يبين سبب تسميتها وهل هذه السورة مكية هي أم مدنية ذاكراً الآراء الواردة في ذلك وأحياناً يعرض الموضوعات . التي . عالجتها السورة تحت مسميات (مدخل عام) ، (اجواء السورة) ، (موضوع السورة) ، (اغراض السورة) ، (آفاق السورة) . وبعد ذلك يتعرض لأسباب النزول ثم ينتقل بعد ذلك إلى العملية التفسيرية في تفسير الآيات القرآنية بأسلوب سهل بعيد عن التكلف والتعقيد فهو لا يترك آية من آيات القرآن إلا وقد ذكر الدرس العملي فيها واستخلص الأسلوب التربوي فيها .

وكثيراً ما يذكر في نهاية الآيات أو السور الدروس المستوحاة من الآية أو السورة وذلك تحت عناوين (دروس السورة) ، (الاستيحاء) ، (إحياءات) .

١) من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ، المقدمة الطبعة الثانية : ١ / ١٩

٢) المصدر نفسه ، مقدمة الطبعة الثالثة : ١ / ١٩ .

المبحث الثالث تعريف التفسير ومفهومه عند السيد فضل الله

التفسير لغة:

اختلف العلماء في بيان المعنى اللغوي لكلمة التفسير على رأيين هما :
الرأي الاول : قيل هو بمعنى (الفسر)
قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) الفسر : ((التفسير وهو بيان وتفصيل الكتاب وفسره ويفسر فسرًا وفسره تفسيرًا))^(١)
وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : ((الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه من ذلك ، يقال فسرت الشيء وفسرته والفسر والتفسير نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه))^(٢)
وقد تبين لي : أن هذه التعريفات كلها متفقة على إن التفسير: هو الوضوح والبيان والكشف
التفسير في الاصطلاح :

فقد عرفه الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) : على أنه : ((كشف المراد عن اللفظ المشكل))^(٣)
عرفه أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) : ((في مقدمة تفسيره : هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب))^(٤) وقد عرفه العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) : ((هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداخلها))^(٥)
أما مفهوم التفسير عند السيد فضل الله : لم يذكر السيد فضل الله تعريفاً للتفسير ولكنه لمح الى مفهوم التفسير لديه إذ يقول : ((قضية التفسير هي أن يدرس المفسر الكلمة من خلال الجو الذي يعيش فيه ليتحقق الترابط بين الآيات في كلماتها وأجوائها))^(٦) ونستخلص من هذه التعريفات أن التفسير في الاصطلاح : هو الكشف والتوضيح عن مراد الله تعالى في بيان معاني الآيات.

-
- ١ (كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ٢١٤
 - ٢ (معجم مقاييس اللغة: أبين فارس : ت ٣٩٥هـ : ٤ / ٥٤
 - ٣ (مجمع البيان ، الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ت ٩١١هـ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م : ١ / ١٣
 - ٤ (تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ : تحقيق عادل احمد وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، بيروت - لبنان : ١ / ١٢١
 - ٥ (الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، تصحيح : حسين الأعلمي : ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، بيروت - لبنان : ١ / ٧
 - ٦ (من وحي القرآن : ١ / ٤٨٣ .

المبحث الرابع

ترجمة لحياة السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله)

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته:

هو محمد حسين بن عبد الرؤوف بن نجيب الدين بن محي الدين بن نصر الله بن محمد بن فضل الله (واليه نسبت الأسرة) بن محمد بن محمد بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن محمد بن جعفر بن يوسف بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن حوبان بن الحسن بن ذياب بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن إدريس بن داود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).^(١)

والدته الحاجه رؤوفة بزي كريمة الحاج حسن بزي وشقيقة السياسي المعروف علي بزي من بلدة بن جبيل في جنوبي لبنان.^(٢)

وهو الولد الذكر لعائلته التي تتكون من عشرة أفراد.^(٣)

تزوج السيد فضل الله من السيدة نجاة نور الدين ابنه الفقيه السيد نور الدين وللسيد من زوجته اثني عشر ولداً ، وثمانية ذكور ، وأربعة إناث .^(٤)

١) ينظر: علماء ثغور الإسلام في لبنان، عباس علي الموسوي ، دار المرتضى - بيروت لبنان ، ط٢: ٣١٦ ، ينظر شعراء الغري، علي الخاقاني ، المطبعة الحيدرية النجف ، ١٩٥٦م : ٨ / ٣٠٦ ، المرأة في الفكر الفلسفي الإجتماعي الإسلامي ، سهام حمية ، دراسة في فكر السيد محمد حسين فضل الله : ١٥

٢) ينظر : علماء ثغور الإسلام في لبنان ، ط٨ ، د ت ، دار المرتضى ، بيروت - لبنان : ٣١٦/ ٢

٣) ينظر : أسئلة وردود من القلب مع العلامة محمد حسين فضل الله ، حاوره وضاح يوسف الحلو ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، ٢٠٠٤ م ، دار الملاك بيروت - لبنان : ١٨

٤) ينظر : العلامة فضل الله وتحدي الممنوع ، علي حسن سرور ، الشركة العامة للخدمات الإنمائية ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م : ٤٢

المطلب الثاني : ولادته ونشأته :

ولد السيد محمد حسين فضل الله في العراق في النجف الأشرف سنة (١٣٥٤هـ) لسنة (١٩٣٥م) وقد ولد بعد هجرة والده لطلب العلم من قضاء بني جبيل جنوبي لبنان.^(١)

وكان والده شديد الورع والتقوى ومحباً للعلم وأحد كبار علماء لبنان مما ترك تأثيراً كبيراً على حياة ابنه السيد محمد حسين فضل الله إذ بدأ بتعليمه منذ وقت مبكر وهاجر مع والده الى (النجف الأشرف) لتلقي العلوم الدينية حيث نشأ فضل الله في أحضان الحوزة العلمية وبدأ بدراسة العلوم الدينية في سن مبكرة حيث تعلم في بادئ الأمر على يد والده عبد الرؤوف فضل الله^(٢)

حيث يقول السيد محمد حسين فضل الله واصفاً حياته مع والده (رحمه الله) : ((الشخص الوحيد الذي عشت معه بحرية في النقاش وفي كل شيء هو والدي المرحوم حيث كان يستمع إلي وأنا صغير ، وكل ما يدور في ذهني من أفكار وأوهام ومن خيالات وبناقشني كما لو كنت انساناً أملك فكراً ناضجاً ، وكانت المناقشات تمتد بيني وبينه حتى إننا كنا ننقل اجواء العائلة

وهذه الطريقة في الحوار كانت مدخلاً لإثارة ما أحতاجه من نقاشات في ذلك الجو وكان يستجيب لي وأذكر أن هذا الحوار الدائم المستمد في القضايا الفكرية والقضايا الأصولية والقضايا الفلسفية والقضايا السياسية المعاصرة لم تتوقف طيلة حياتي معه فإن الإنسان الذي جعلني مفتحاً على كل الفكر وواسع الصدر في كل المناقشات مهما كانت معقدة واحترام الرأي الآخر والإنسان الآخر هو المرحوم والدي))^(٣).

١ (ينظر : محمد حسين فضل الله شاعراً ، اسماعيل خليل ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، دار الملاك ، بيروت - لبنان : ٢٨

٢ (ينظر : شعراء الغري والنجفيات ، علي الخاقاني : ٣٠٨/٨ .

٣ (السيد محمد حسين فضل الله شاعراً ، اسماعيل خليل : ٢٨

المطلب الثالث : دراسته العلمية:

عاش السيد محمد حسين فضل الله في مدينة النجف الأشرف وكانت لهذه المدينة العريقة أثر كبير عليه في نواحي عديدة فلم ينتسب إلى المدارس الحكومية ^(١) بل نشأ في أحضان الحوزة العلمية في النجف الأشرف حيث تعلم القراءة والكتابة ^(٢) على يد الكتاتيب وكانوا لا يمتلكون سوى معلومات بسيطة تتعلق بأمور القراءة والكتابة وكانت طريقتهم في التعليم الطريقة القديمة و هي طريقة الاستظهار حيث كانوا يتعلمون الكتابة على اللوح يحتفظ كل طالب بقطعة منه كما كانت هناك طريقة أخرى وهي طريقة الفلقة حيث تربط فيها رجلا الطالب ويبدأ الشيخ بضربه أمام رفاقه وكانت لهذه الطريقة تأثير كبير على نفسية الطالب. ^(٣)

ثم بعدها تابع دراسته الأولية على يد شيخ آخر يدعى (الشيخ موسى) حيث كان هذا المعلم أفضل من معلمه الأول حيث كان يمتلك ثقافة أوسع وطريقة أفضل في التربية والتعليم حيث تعلم على يده القراءة والكتابة والحساب. ^(٤)

ثم انتقل بعدها إلى مدارس حديثة تابعة إلى جمعية منتدى النشر ثم أدخل بعدها إلى الصف الثالث من دون أن يمر بالصف الأول والثاني لأنه كان طالباً متميزاً بثقافته وعلمه حسب رأي معلميه في المدرسة ^(٥) ثم توقف عن الدراسة في الصف الرابع والتحق في الدراسة الدينية في الحوزة العلمية وهو ما بين سن التاسعة والعاشر. ثم بدأ بدراسة السطوح والمقدمات على يد والده السيد عبد الرؤوف ودرس الكفاية على يد بعض العلماء الإيرانيين الذين كانوا يدرسون في ذلك الوقت في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. ^(٦)

١) ينظر : محمد حسين فضل الله شمس لن تغيب ، مهدي خليل جعفر مصطفى الحمصي ، دار المحجة البيضاء ٢٠١٠ م ، بيروت لبنان : ١١

٢) ينظر : مسيرة قائد شيعي ، جمال شكري، د ط ، ٢٠٠٨ م ، دار الساقى ، بيروت لبنان: ٥٢

٣) العلامة فضل الله وتحدي الممنوع ، علي حسين سرور : ٢٩

٤) أسئلة وردود من القلب محاورة مع وضاح يوسف : ١١-١٢

٥) ينظر : مسيرة قائد شيعي جمال شكري : ٥٨ .

٦) ينظر علماء ثغور الاسلام في لبنان ، عباس علي الموسوي : ٣١٦/٢.

واستمر في دراسته الحوزوية متدرجاً فيها إلى المراتب العليا حيث كان لأجوائها العلمية والفكرية تأثير كبير على شخصيته حيث كان جو الدراسة تسودها المناقشات الدينية بين الطلاب والأساتذة وهذا جعلهم يكتسبون قدرات عالية في تلقي وإنتاج العلوم والمعارف.^(١)

ويقول السيد فضل الله: " لقد تأثرت بالجو الذي كنت أعيشه بشكل طبيعي حتى أن مسألة تحركي في هذه الاتجاه كان عفويا طبيعيا ناشئة عن رغبة وربما كان رغبة الإنسان الذي يشعر بانسجامه مع مجتمعه عندما يتحرك في هذا الاتجاه وربما إن المسألة تتحرك على أساس أن الإنسان يعيش مع رفاقه الذين كانوا ينطلقون في هذا الاتجاه فيجب أن ينطلق معهم في هذا الاتجاه نفسه مما قد يجعله يشعر بالأهمية"^(٢)

فقد استمرت دراسته الحوزوية حوالي اثنتين وعشرين سنة فقد انتسب السيد الى الحوزة العلمية حوالي سنة ١٣٦٢هـ واستمر فيها حتى سنة ١٣٨٥هـ .

حيث درس في تلك المدة على يد كبار علماء النجف واعتلى حلقات الفقه والأصول حيث عرف عنه أنه كان من الطلاب البارزين في جلسات المذاكرة فتوجهت إليه الأنظار من مختلف شرائح طلاب العلم في النجف الأشرف آنذاك فأصبح استاذا في الفقه والأصول^(٣).

وإن السيد فضل الله لم تختزل معرفته في جانب واحد وإنما وسع من دائرة المعرفة لديه ، لتستوعب الجوانب الفكرية والاجتماعية والسياسية والأدبية .وكذلك وسع دائرة دراسته ولم تقتصر دراسته في مواد الفقه والأصول ، إنما كان يحضر دروس متنوعة في التفسير والفلسفة ولهذا كان يتمتع السيد فضل الله .بمكانة علمية رفيعة فكان يشهد له اقرانه بتلك المكانة العلمية في مختلف القضايا الفكرية في اللغة والأدب والفقه والأصول والتفسير وغيرها.

١ (ينظر : تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة ، رسالة ماجستير للطلاب مؤيد عبيد الجامعة المستنصرية كلية الآداب ، ٢٠٠٦ م : ٥

٢ (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع : ٤٣

٣ (حوارات في الحرمين الشريفين(موسوعة الموسم) محمد سعيد الطريحي : ٨

المطلب الرابع : حركته الأدبية والثقافية :

تميز السيد فضل الله ، بحبة الشديـد لطلب العلم والتزود بالمعرفة ، وتحصيل الثقافة المتنوعة غير قراءة المجلات الصحف العربية والمؤلفات الأدبية التي كان يصدرها كتاب وأدباء مشهورون كمجلة المصور المصرية ، ومجلة الرسالة لحسن الزيات ومجلة الكاتب المصري لطف حسين ، كما كان له انفتاح على الفكر الغربي عبر الترجمات المتوفرة آنذاك ^(١) فقد تعاون السيد فضل الله وكان في سن الحادية عشر من عمر مع صديقه الحميم الشهيد السيد (محمد مهدي الحكيم) * ابن المرجع الديني محسن الحكيم (قده) بإصدار مجلة (الادب) ليطلق أفكاره عبر الصحافة إلا أن هذه المجلة لم تعمر طويلاً ^(٢) إضافة الى النشاط الأدبي فقد تأثر سماحته بمحيطة ، إذ إن عائلة فضل الله عائلة شعرية وقد لمعت شاعريته بوقت مبكر ونظم أولى قصائده وهو في سن العاشرة من عمره ولعل الابيات التي كتبها أظهرت وعياً في نظراته للعالم ورفضاً للثراء والبذخ ، وعزمه على انتهاج طريق العفاف والانضباط الذاتي ، ولم تنحصر ثقافته في الأمور الدينية والفقهية ! إنما كان منفتحاً على الأجواء الثقافية والسياسية مما انعكست على شخصيته مستقبلاً كما هو مصلح ، وأديب و شاعر ، ومجتهد مبدع ، حيث كانت له مساهمة فعالة في إحياء الاحتفالات الدينية والاجتماعية التي كانت تقام بشكل منتظم في النجف الأشرف ^(٣)

ولم يقتصر السيد فضل الله على كتابة الشعر بل أصبح له توجه في الكتابة المبدعة والنقدية في آن واحد ، وأصبح بعدها مندوباً للمجمع الثقافي لمنتدى الشعر حيث طُلب منه أن

١) مع علماء النجف الأشرف محمد الغروي ، مؤسسة المصارف ، ٢٠٠٨ ، لبنان : ٢٩/٢

* محمد مهدي الحكيم : هو نجل المرجع الديني محسن الحكيم له علاقة بالسيد فضل الله كون السيد محسن مهدي الحكيم أبن خالة السيد فضل الله ويعتبر من مؤسسي حزب الدعوة وتم اغتياله في السودان عام (١٩٨٨م) من قبل حزب البعث

٢) ينظر : السيد محمد حسين فضل الله أدعية ام نبيه عماد شمعون ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، بيسان ، بيروت . لبنان : ١٦

٣) ينظر . حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع ، حمد حسين فضل الله . اعداد نجيب نور الدين ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م ،

دار الملك ، بيروت . لبنان : ١٩

يكتب بحثاً موسعاً حول مشكلات الأدب العربي التقليدي في النجف الأشرف واعتبر بعد ذلك كتاباً مميزاً في الدوائر الأدبية للمدينة المقدسة (١)

المطلب الخامس: أساتذته :

ترعرع السيد محمد حسين فضل الله في أحضان الحوزة العلمية في النجف الأشرف ودرس العلوم الدينية في وقت مبكر بعدما أكمل الصف الرابع ومن أبرز أساتذته :

١ - والده السيد عبد الرؤوف فضل الله (٢)

٢ - السيد محسن الحكيم (٣)

٣ - السيد أبو القاسم الخوئي (٤)

٤ - السيد محمد الشاهرودي : (٥)

٥ - الشيخ حسين الحلي (٦)

٧ - صدر الدين البادكوبي : (٧)

٧ - محمد باقر الصدر : (١)

-
- ١ (ينظر : محمد حسين فضل الله شاعراً ، اسماعيل خليل ابو صالح : ٧٣١
٢ (ينظر: مستدركات أعيان الشيعة حسن الأمين ، دار التعارف . ط ١ ، ١٩٩٨ م - ١٤٠٩ هـ - بيروت لبنان : ١١٩/٣
٣ (ينظر: زعماء الشيعة في النجف الأشرف دراسة تاريخية : عمار الحاج مزعل الدجيلي : ٣٦ ، ينظر أعيان الشيعة - حسن الأمين - دار العلم للملايين ط ٤ ، ١٩٧٩ م ، بيروت . لبنان : ٢٩/٥
٤ (ينظر : مستدركات أعيان الشيعة حسن الأمين : ٢١٩/١ ، ينظر زعماء الشيعة في النجف الأشرف دراسة تاريخية : ٧٥-٧٤
٥ (ينظر : المصدر نفسه : ٢١٩/١ ، ينظر زعماء الشيعة في النجف الأشرف دراسة تاريخية عن المراجع العظام : ٤٧-٤٨
٦ (ينظر : ماضي النجف وحاضره ، جعفر باقر محبوبية ، ط ١ ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٥ م : ٧٩ ، ينظر زعماء في الشيعة في النجف الأشرف دراسة تاريخية ، عمار الحاج مزعل الدجيلي : ٥٠
٧ (ينظر : محمد حسين فضل الله . حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع ، نجيب نور الدين : ٥٧٨

المطلب السادس : تلامذته:

حضر عند السيد محمد حسين فضل الله في النجف الأشرف الكثير من طلاب العلم من مختلف بقاع العالم من اللبنانيين والعراقيين والسوريين، ودرسوا عنده المقدمات والسطوح وقد درس في عدة دورات في كتابي المكاسب أو الرسائل للشيخ المرتضى الأنصاري و كتاب كفاية الأصول للاخوند الخراساني .

وقام سماحته بإلقاء المحاضرات في دروس الخارج في الفقه والأصول وقد درس على يديه الكثير من طلبة العلم وأساتذة الحوزة العلمية.

وكذلك ألقى محاضراته في (درس الخارج) في بيروت وكذلك في سوريا في حوزة المرتضى . في دمشق التي كانت يرتادها الكثير من طلاب العلم واساتذة الحوزة من العراقيين والخليجيين ودرسوا فيها أبواب مختلفة من الفقه^(١) وكان من تلامذته :

١- عبد المحسن عبد الله السراوي:

٢- منير علي خان:

٣- نعيم قاسم :

٤- عباس الموسوي

٥- السيد حسن نصر الله :

١ (ينظر : مع علماء النجف الأشرف محمد الفراوي: ٧١٩، ينظر السيد محمد باقر الصدر دراسة منهجية وصراطه ،

محمد الحسيني، دار الفرات، ط ١ ، ١٩٨٩م، بيروت : ١٤

٢ (ينظر : حوارات في الحرمين الشريفين (موسوعة الموسم) محمد سعيد الطريحي: ٩-١٠

المطلب السابع : وفاته:

على أثر تدهور حالته الصحية بشكل طارئ أدخل السيد محمد حسين فضل الله الى المستشفى وقد بقي في المستشفى حوالي اثني عشر يوماً بعدها تمكن الأطباء من السيطرة على حالته الصحية وكان من المقرر أن يخرج من المستشفى إلا أن السيد محمد فضل الله قد أصيب بشكل مفاجئ نزيفٍ داخليٍّ حادٍ على أثره تدهورت حالته الصحية بشكل سريع ومفاجئ مما أدى إلى وفاته في نهارها يوم الأحد الموافق (٢٠١٠/٧/٤م) ، وقد أوصى بدفنه بمسجد الإمامين الحسينيين في محلة حارة حريك في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت وقد دفن في ذلك المكان وقد صلى عليه أخوه (محمد علي فضل الله)^(١)

١ (ينظر محمد حسين فضل الله شمس لن تغيب ، مهدي خليل جعفر ، ومصطفى الحمصي : ٣٧٨ ، ينظر ، العلامة محمد حسين فضل الله مشروع نهضة الأمة ، محمد حسين ترحيني: ٣٣٣

الفصل الأول

منهج السيد محمد حسين فضل الله في تفسير من وحي القرآن

المبحث الأول (الظاهر والباطن)

- المطلب الأول : ظاهر القرآن

- المطلب الثاني : باطن القرآن

المبحث الثاني : (التفسير بالمأثور)

- المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن

- المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة

- المطلب الثالث : تفسير القرآن بقول الصحابي

- المطلب الرابع : تفسير القرآن بأقوال أهل البيت (ع)

- المطلب الخامس : تفسير القرآن بقول التابعي

المبحث الثالث : (الأسلوب الاستيعائي)

المبحث الأول

الظاهر والباطن

توطئة :

أنزل الله تعالى كتابه الكريم على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون حجة على للعالمين إلى يوم القيامة ، بمعاني واضحة ظاهرة بارزة ، لا تحتاج إلى التكلف والتعقيد لفهمها ، ليكون حجة على كل إنسان وعلى مختلف مستوياتهم ، فالظاهر هو المدرك بالعقول، والظاهر بالدلالة الدالة عليه ، والقرآن الكريم هو المبين والكاشف لكل شيء ، وهو الذي جاء تبياناً لكل شيء كما وصفه الله تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۝٨٩﴾**

ال نحل: ٩٨

وإن مسألة الظاهر والباطن ليس شيئاً جديداً عند المفسرين ، إنما هي حقيقة إسلامية قد أشار إليها القرآن الكريم : **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾** الحديد: ٣ فهو العارف ببواطن الأمور وما جرى وما يجري في الحاضر والمستقبل ، فلباطن هو التأويل ، وهذا لا بد له من معرفة والآية القرآنية تجري مجرى الليل والنهار ، فلم تخص قوماً مخصوصين ، إنما نستوحي منها في كل زمان ومكان وبهذا يكون الظاهر هو الذي ظهر للعقول في بيان معناه ، وظهر بالفطرة والباطن هو .

المطلب الأول : ظاهر القرآن :

أولاً: تعريف الظاهر لغة وأصطلاحاً :

الظاهر لغة :

قال ابن فارس : (ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر ، إذا أنكشف وبرز ، لذلك سمي وقت الظهر والظهيرة))^(١)

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ٤٧١

قال العاملي : ((ظهر : ظهوراً فهو ظاهر وظهير ، الأمر بدا وتبين ، وهو ضد بطن وعليه غلبه وأنتصر)) (١) أذن فالمعنى اللغوي للظاهر هو البيان والبروز .

الظاهر اصطلاحاً :

عرف الظاهر : هو الظاهر الذي يفهمه العارف باللغة العربية الصحيحة الفصيحة من اللفظ ، ولم يبق على خلافه قرينة عقلية أو نقلية معتبرة ، فمثل قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتَ رُسُلَهُمْ فِي اللَّهِ

شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١٠ (٢)

وكذلك عرف الظاهر : هو ما يتبادر إلى الفهم من عبارته نفسها من غير حاجة إلى قرينة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ النساء: ٣٤

فالمعنى المتبادر إلى الفهم من غير توقف على قرينة إباحة نكاح ما حل من النساء (٣) .

وعلى ما ذكر يظهر أن المراد بالظهور هو : ((المعنى الذي يبرز ويظهر من اللفظ مع قطع النظر عن أي قرينة ، وأما إذا ظهر بقرينة يكون من قبيل النص)) (٤)

ثانياً : أدلة حجية ظواهر الكتاب :

١ . القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم نزل باللغة العرب ، وإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تحدى البشر على أن يأتوا ولو بسورة من مثله ، ومعنى هذا أن العرب كانت تفهم معاني القرآن من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصلح مطالبته بمعارضته ، ولم يثبت لهم أعجازه

(١) معجم متن اللغة ، أحمد رضا العاملي ، د ط ، ١٣٧٨ هـ . ١٩٥٩ م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . لبنان : ٣ / ٦٦٨

(٢) مدخل التفسير ، محمد فاضل النكراني ، تحقيق : مركز فق الأئمة الأطهار ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ ، اعتماد ، قم . أيران : ١٧٠ . ١٧١

(٣) مباحث علوم القرآن ، صبحي الصالح ، ط ١٠ ، ١٩٧٧ م ، دار العلم الملايين ، بيروت لبنان ، ٣١١ . ٣١٢

(٤) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكّر المبيدي : ١٧٦

، لأنهم ليسوا ممن يستطيعون فهمه ، وهذا ينافي الغرض من إنزال القرآن ودعوة البشر إلى الإيمان به.^(١)

وأنه لو كان القرآن الكريم غير قابل للفهم والمعرفة لم يكن الحاجة لأتصافه بالإعجاز ، ولا مجال لطلب المعارضة والتحدي أصلاً ^(٢)

ولا شك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخترع طريقة خاصة لإفهام مقاصد القرآن الكريم ، إنما كلم قومه بما ألفوه من طرائق التفهيم والتكليم ، وأنه أتى بالقرآن ليفهموا معانيه، وليتدبروا آياته فيأتمروا بأوامره ، ويزدجروا بزواجه ، وقد تكرر في القرآن الكريم ما يدل على ذلك ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ **حمد: ٤٢**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ **الزمر: ٧٢**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنَّهُ لَآتِزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ **الشعراء: ٢٩١ - ٣٩١**

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ **آل عمران: ٨٣١**

وقوله تعالى : ﴿ فَانْمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الدخان : ٥٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر : ١٧)

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء :

٨٢) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب العمل بما في القرآن الكريم ولزوم الأخذ بما يفهم من ظواهره . ^(٣)

كما لا شك في نزول القرآن الكريم بلسان قوم العرب وعلى أساس محاوراتهم ومن المعلوم أنهم لم يكن لهم سيرة في ذلك غير ما جرت عليه سيرة ساير العقلاء في محاوراتهم

١ (ينظر : البيان في تفسير القرآن ، الخوئي ، ط ٨ ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م ، أنوار الهدى ، فروردين ، قم : ٢٦٤

٢ (ينظر : مدخل التفسير ، محمد فاضل اللكراني : ١٧٢

٣ (البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي ، ط ٨ ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م ، أنوار الهدى . فروردين ، قم . إيران :

ومكتوباتهم وتقنياتهم وفهم متونهم ومن أجل ذلك لا بد من حجية ظواهر القرآن ، كما يكون ظاهر كلام البعض القوم حجة على البعض الآخر . (١)

إضافة على ذلك أن القرآن الكريم قد وصف نفسه بأوصاف وخصوصيات ، كتوصيفه بأنه المخرج للناس من الظلمات إلى النور ، وأنه بيان للناس وأنه هدى وموعظة للمتقين ، وأنه ضرب فيه للناس من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، وغير ذلك من الأوصاف والمزايا الدالة على اعتبار ظواهر الكتاب حجة . (٢)

ولكن هذا ليس في القرآن كله إنما ((ذلك في محكمات الآيات ومبيناتها مما أنعقد له الظهور ، وأما في متشابهاتها ومجملاتها لا مناص في تفسيرها وأستكشاف المراد منها من الرجوع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، الذين هم الراسخون في علم القرآن)) . (٣)

منها ما دل على النصوص الصحيحة الدالة على بطلان كل شرط مخالف لكتاب الله ، مثل صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : ((سمعته يقول : من أشرط شرطاً مخالفاً لكتاب الله فلا يجوز له ، ولا يجوز على الذي أشرط عليه ، والمسلمون عند شروطهم ، مما وافق كتاب الله عز وجل)) (٤)، وفي صحيحة الآخر عن أبي عبدالله (عليه السلام) : ((المسلمون عند شروطهم إلا كل شرط خالف كتاب الله عز وجل ، فلا يجوز)) (٥)

١) ينظر : دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، علي أكبر السيوفي المازندراني ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم : الحلقة الأولى : ١٩٧

٢) ينظر : مدخل التفسير ، محمد فاضل اللكراني : ١٧٢

٣) دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، علي أكبر المازندراني : ١٩٧ . ١٩٨

٤) ينظر : وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ ، مهر ، قم . إيران : ج ١٨ ، ص ١٧ ، باب ٦ من أبواب الخيار (ما خالف كتاب الله) ، حديث ٢

٥) ينظر : المصدر نفسه : ج ١٨ ، ص ١٧ ، باب ٦ ابواب الخيار ، حديث ١

وبهذا يكون القرآن الكريم هو المرجع في تعيين الشرط المخالف ، وتمييزه عن غيره هو العرف ، وهو لا يعرف ذلك ألا بعد المراجعة الى الكتاب، وفهم مقاصده من ألفاظه، ودرك أغراضه من آياته . (١)

٢ . الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) و أهل البيت (عليهم السلام) :

إن أول من أشار إلى مسألة الظاهر القرآن هو الرسول ، قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع)) (٢)

فهم كتاب الله الناطق وورثة كتابه ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أُورِثُوا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ (فاطر : ٣٢) ، قرآنه الناطق ، ويدل على ذلك حديث الثقلين المتواتر بين العامة والخاصة ، من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) (٣)

فإن إطلاق هذا الحديث يقتضي وجوب التمسك بكل من الكتاب والعتره الطاهرة ، وأنهم الطريق الوحيد للخروج من الضلالة . (٤)

وأن الظاهر أن المراد من عدم افتراقهما إنما باعتبار الرجوع في معاني الكتاب إليهم (صلوات الله عليهم) وإلا لو تم فهمه كلا أو بعضها بالنسبة الى الأحكام الشرعية والمعارف الالهية لصدق الافتراق ولو في الجملة . (٥) ، ومعنى هذا أنه لا يمكن بيان الأحكام الشرعية

١ (ينظر : مدخل التفسير ، محمد فاضل اللنكراني : ١٧٤)

٢ (بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي : ٨٩ / ٩٣ ، باب : ٨ (أن للقرآن ظهر وبطن) ، تفسير الصافي ، محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ، تحقيق : حسين الأعلمي ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة . ايران : ٣٠ / ١)

٣ (وسائل الشيعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، تحقيق مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ : ج ٣٤ . ٧٢)

٤ (مدخل التفسير ، محمد فاضل اللنكراني : ١٧٢)

٥ (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، المحقق يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) ، د ط ، د ت ، مؤسسة النشر الإسلامية ، إيران . قم : ج ١ . ٢٩ . ٣٠)

والمعارف والصفات الإلهية من دون الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) ، ويؤيد ذلك أيضاً قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((القرآن كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق))^(١) ، كما أن أحتواء القرآن على جملة من العلوم ، فلا يتييسر للإنسان العادي فهم كل العلوم ، فلا بد من الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) لمعرفة هذه العلوم ((فلو فهم معناه بدونه (عليه السلام) لم يكن لوصفه بكونه صامتاً، لأن أشتمال القرآن على الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل والتقديم والتأخير والتغيير والتبديل ، والايات المتعلقة بالأحكام الشرعية ، فإنه ليس للعالم أن يتييسر للعلم بجميع هذه العلوم إلا أهل البيت (عليهم السلام) فهم العارفون بجميع هذه العلوم، وقد ورد من استنباطهم (عليهم

السلام) جملة من الأحكام ما لايجسر عليه سواهم ولايهتدي إليهم غيرهم .^(٢) وهذا مصداق قولهم (عليهم السلام) : ((ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن))^(٣)

ومن ذلك أيضاً الحكم بعرض الأخبار الواردة على القرآن الكريم والأخذ بما يوافقه وطرح ما يخالفه ، ووجه الاستدلال ، وأنه لا منافات بين تفسيرهم والقرآن الكريم ، إنما هو تفسيرهم حكاية عن مراد الله تعالى فالأخذ بتفسيرهم أخذ بكتاب الله تعالى .^(٤) ، إذن فالعبرة الطاهرة هي مبينة لما تعسر فهمه أو أجمل المراد منه ، وهذا رأي الأصوليين من الإمامية .^(٥)

واضافة إلى ذلك ورود الكثير من الروايات الصريحة في حجية ظواهر الكتاب ، وهي من قبيل الروايات التي أمرت بعرض الشروط على كتاب الله ورد على ما خالفه منها ، ومن

١ (بحار الأنوار : ج ٤٠ . ١٤٩)

٢ (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، المحقق يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) : ٣٠ . الحاشية

٣ (وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ج ٢٧ . ٢٠٤ ، تفسير العياشي ، أبي النصر محمد بن مسعود السلمي

السمرقندي ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان : ج ١ . ٢٧

٤ (المصدر نفسه : ٣٠

٥ (آراء حول القرآن الكريم ، علي علامة أصفهاني ، د ط ، د ت ، دار الهادي ، أصفهان إيران : ٨

هذه الروايات التي تدل على أستدلالات الأئمة (عليهم السلام) على جملة من الأحكام الشرعية وغيرها بالآيات القرآنية هي : (١)

١ . قول الإمام الصادق (عليه السلام) في نهى الدوانيقي عن قبول خبر النمام : أنه فاسق ، وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات : ٦)

٢ . وقوله (عليه السلام) لابنه أسماعيل فإذا شهد عندك المؤمنين فصدقهم مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة : ٦١)

٣ . وقوله (عليه السلام) في أن المطلقة ثلاثاً لا تحل بالعقد المنقطع : أن الله تعالى قال : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾ (البقرة : ٢٣٠)

٤ . وقوله (عليه السلام) فيمن عثر فوق ظفره فجعل على أصبعه مرارة : إن هذا وشبهه يعرف من كتاب الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج : ٧٨)

٥ . ومنها أستدلالة (عليه السلام) على حلية بعض الحيوانات ، بقوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ (الأنعام : ١٤٥)

كذلك إن سيرة الصحابة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام) ، كانوا يعملون بحجية ظواهر الكتاب ولم يعترضوا عليها ، مع العلم أنها كانت بمرآى ومسمع من الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وبهذا يقول السيد الصدر : ((والدليل على حجية الظهور يتكون من مقدمتين :

الأولى : أن الصحابة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام) كانت سيرتهم قائمة على العمل بظواهر الكتاب والسنة ، واتخاذ الظهور أساساً لفهمها ، كما هو واضح تاريخياً من عملهم ودينهم .

١ (البيان في تفسير القرآن ، السيد أبو القاسم الخوئي : ٢٦٥ . ٢٦٦)

الثانية : أن هذه السيرة على مرأى ومسمع من المعصومين (عليه السلام) ، ولم يعترضوا عليه بشيء ، وألا لردعوا عنها ، وبذلك يثبت إمضاء الشارع للسيرة القائمة على العمل بالظهور ، وهو معنى حجية الظهور شرعاً)) (١)

وكذلك من الأدلة على حجية ظواهر الكتاب هي ظواهر السنة وكلام البشر ، فالمتكلم بأية لغة إذا كان عاقلاً جاداً غير مجازف فعليه أن يستعمل كل لفظ فيما وضع له ويطبقه على مراده الجدي في عالم بيان المقصد ، وإذا أراد التجاوز عن الموضوع له الى معنى آخر فعليه الإتيان بقريضة ، فقانون المحاورة موافقاً لحكمة الجعل عبارة عن بناء العقلاء بالأخذ بمقتضى الوضع اللغوي ، ولذا يكون الظاهر حجة بمعنى أنه برهاناً للمتكلم على مراده الجدي في عالم الاحتجاج على مخاطبه وبرهاناً للمخاطب كذلك ، فإذا قال المولى : آتني بالماء فله أن يحتج على عبده إذا أتى بشيء آخر ، ومن البديهي أن القرآن الذي نزل للتحدي والإرشاد بلسان القوم ، تكون ظواهره كسائر الظواهر حجة لدى العقلاء . (٢)

ثالثاً : شبهات وردود حول حجية ظواهر الكتاب :

١ . اختصاص فهم القرآن الكريم :

إن فهم معاني القرآن الكريم لم تكن لعامة الناس إنما ، فهم القرآن الكريم مختص بمن خوطب به (٣) ، واستندوا إلى هذه الدعوى إلى عدة روايات واردة في هذا الموضوع كمرسلة شعيب بن أنس ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال لأبي حنيفة : ((أنت فقيه أهل العراق ؟ قال : نعم . قال (عليه السلام) فبأي شيء تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسنة نبيه . قال (عليه السلام) يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته ، وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : نعم . قال : (عليه السلام) يا أبا حنيفة لقد أدعيت علماً وملكاً ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين

١ (دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر ، التحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للأمام الشهيد الصدر ، ط ٨ ، ١٤٣٦ هـ ، شريعت ، قم . إيران : ١٠٦)

٢ (ينظر : آراء حول القرآن ، علي علامة أصفهاني : ٨)

٣ (علل الشرائع ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، تحقيق : السيد صادق بحر العلوم ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م ، دار المرتضى ، بيروت . لبنان : ج ١ . ٩٢ . ٩٣ ، جزء من حديث ٥)

أنزل عليهم ، ويلك ما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وما ورثك الله من كتابه حرفاً)) (١)

. أما الرد على هذه الحجة :

إن المراد من هذه الروايات وأمثالها أن فهم القرآن حق فهمه ، ومعرفة ظاهره وباطنه ، وناسخه ومنسوخه مختص بمن خوطب به . والرواية الأولى صريحة في ذلك ، فقد كان السؤال فيها عن معرفة كتاب الله حق معرفته ، وتمييز الناسخ من المنسوخ ، وكان توبيخ الإمام (عليه السلام) لأبي حنيفة على دعوى معرفة ذلك (٢)

إضافة إلى أن الله تعالى قد خص أوصياء نبيه (عليه السلام) بإرث الكتاب ، وعلم القرآن بجميع خصوصياته ، وليس لأبي حنيفة حظ في ذلك ، فهذا القول مرجعه إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر : ٣٢) فالرواية أجنبية عما نحن فيه من البحث والنزاع (٣)

ويبدو لي : ظاهر اللفظ يختلف عن معنى التفسير ، فالظاهر هو الواضح الذي لا يحتاج إلى تكلف لمعرفة ، أما التفسير هو بمعنى بيان الستر وكشف القناع الذي يحتاج إلى دراسة وتكلف إلى معرفته .

كما أن حمل ظاهر اللفظ على معناه ليس إلا مصداقاً من مصاديق التفسير ، وما ورد في الرواية الثانية ، فربما والله العالم أن الذي يريده الإمام (عليه السلام) من قتادة أن لا يستقل برأيه في تفسير جميع معاني القرآن الكريم .

١ (حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام) ، السيد هاشم البحراني تحقيق : غلام رضا ، ط ١ ،

١٤١٣ هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ايران : ج ٣ ، ٣٨٨ . ٣٨٩

٢ (البيان في تفسير القرآن : ٢٦٨

٣ (مدخل التفسير ، فاضل محمد اللكراني : ١٨١

٢ . النهي عن التفسير بالرأي :

إن الأخذ بظاهر اللفظ يعد من مصاديق التفسير بالرأي^(١)

. أما الرد على هذه الحجة :

لو فرضنا أن حمل اللفظ على ظاهره ، ليس تفسيراً بالرأي لتشمله الروايات الناهية المتواترة، وإنما هو تفسير بما يعرفه العرف من اللفظ ، فمثلاً الذي يترجم خطبة من خطب نهج البلاغة بحسب ما يعرفه العرف من ألفاظها ، وبحسب ما تدل عليه القرائن المتصلة والمنفصلة ، لا يعد عمله هذا من التفسير بالرأي^(٢) ، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : ((إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ، ولم يعرفوا حقيقته ، فوضعوا له تأويلات من عند أنفسهم بآرائهم ، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم))^(٣) .

ويحتمل أن معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة (عليهم السلام) ، مع أنهم قرءاء الكتاب في وجوب التمسك ، ولزوم الانتهاء إليهم ، وعلى كل حال فإن حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة من الكتاب والسنة ، أو الدليل العقلي لا يعد من التفسير بالرأي بل ولا من التفسير نفسه ، على أن الروايات المتقدمة دلت على الرجوع الى الكتاب والعمل بما فيه ، من البين أن المراد من ذلك الرجوع الى ظواهره ، وحينئذ فلا بد أن يراد من التفسير بالرأي غير العمل بالظواهر .^(٤)

والذي يبدو لي : أن حمل اللفظ عن ظاهره ليس من مصاديق التفسير بالرأي ، لأن في القرآن الكريم معاني ظاهرة لاتحتاج إلى تكلف في بيان معناها ، لكن بشرط أن يكون معناها منسجماً مع المفاهيم القرآنية .

١ (مدخل التفسير ، محمد فاضل اللكراني : ١٧٩)

٢ (البيان في تفسير القرآن : ٢٦٩)

٣ (بحار الأنوار : ج ٩٠ . ١٢)

٤ (البيان في تفسير القرآن : ٢٧٠)

٣ . غموض معاني القرآن الكريم :

وذهب أصحاب هذا الاتجاه أن معاني القرآن الكريم لا يمكن مجاراتها ، والقصور البشر في فهمها ((أن القرآن الكريم مشتمل على المعاني الشامخة ، والمطالب الغامضة ، والعلوم المتنوعة ، والأغراض الكثيرة ، التي تقصر أفهام البشر عن الوصول إليها ودركها ، كيف يصون أليها ؟ ولايكاد تصل أفهامهم الى درك جميع معاني ((نهج البلاغة)) الذي هو كلام البشر . بل وحتى كتب بعض العلماء الأقدمين ألا الخواص من المطلعين ، فكيف بالكتاب المبين الذي فيه علم الأولين والآخرين ، وهو تنزيل من رب العالمين ، نُزل به الروح الأمين على من هو سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) ، على مرور الأيام وكرور الدهور ؟ .))^(١)

. أما الرد على هذه الحجة .

أن القرآن الكريم وأن أشتمل على علم ما كان وما يكون ، وكانت معرفة هذا من القرآن مختصة بأهل بيت النبوة من دون ريب ، ولكن ذلك لا ينافي أن للقرآن الكريم ظواهر يفهمها العارف باللغة العربية وأساليبها ، ويتعبد بما يظهر له .^٢

والذي آراه : أن معاني القرآن الكريم لو كان يصعب فهمها ، ويعجز الفهم البشري عن ادراكها ، لأنتفى بذلك اعجاز القرآن الكريم ، ولذلك من الدلائل على أعجاز القرآن الكريم أن الله تعالى أنزله باللغة واضحة بينة على من يمتلكون أرباب الفصاحة والبلاغة ، فعجزوا عن مجاراته .

أضافة الى ذلك وضوح معاني آيات القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ سَأُنْزِلُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾

كذلك أن كلام العرب يعد مصدراً من مصادر التفسير ، فنرى ابن عباس الذي يلقب بحبر الأمة وترجمان القرآن ، فعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ،

(١) ينظر : مدخل التفسير ، محمد فاضل اللنكراني : ١٨٢

(٢) مدخل التفسير ، محمد فاضل اللنكراني : ١٨٢

عرف معنى فاطر من كلام العرب ، عندما سمع أعرابياً يقول أنا فطرته : أي صنعتها ، وأن القارئ لآيات القرآن الكريم فإنه يستنتس لسماع آياته ، على العكس لو كانت آياته غامضة ، لأصبح كتاب يمله القارئ ويجزع منه .

خلاصة ما تقدم : أن معاني آيات القرآن الكريم ليست على مستوى واحد ما يمكن تحصيله من الفهم والإدراك ، فمعاني يمكن أن يدركها عامة الناس ، ومعاني يعرفها العلماء ، ومعاني لا يعلمها إلا الله تعالى ، ومعاني لا يعلمها إلا الأنبياء والأئمة (عليه السلام) والراسخون في العلم .

ومن خلال هذا فقد تبين لي : إنه لا يمكن إنكار حجية ظواهر القرآن فقد جرت سيرة العقلاء من باب التفهيم والتفاهم أن كلام البشر يكون حجة على بعضهم البعض فعندما نقول : (لا تكذب) فهذه حجة ظاهرة بينة لا تحتاج إلى تكلف في بيان معناها ، فكيف بالقرآن الكريم الذي جعله الله تعالى حجة علينا إلى قيام الساعة وأمرنا بالتمسك به ؟ ألا يكون ظاهره حجة ، ففيه من البيان والوضوح معاني كثيرة يعرفها عامة الناس ، ومهما كانت من البيان والوضوح ، فهي موضع من مواضع إعجاز القرآن الكريم ، إضافة إلى علم الله تعالى أن الناس ليسوا على مستوى واحد من الفهم والإدراك ، فلا بد أن تكون في ظواهره حجة ، وقد دعا الله تعالى إلى التأمل والتفكير في بيان آياته ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢) ، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد : ٢٤) ، حيث أن هذه الآية فيها توبيخ على من ترك التدبر في القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون : ٦٨) ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص : ٢٩) ، فهذه الآيات وغيرها دليل على حجية ظواهر القرآن ، فلو كانت ظواهر القرآن غير حجة لما دعا الله تعالى عامة الناس إلى التأمل والتفكير في آياته .

كما إننا لا ننكر أن في القرآن الكريم معاني غامضة ، فربما أراد الله أن يفتح لنا أبواب العلم والاجتهاد في معرفة وتحصيل هذه المعاني ، فكلما كانت هناك معاني غامضة كلما كان هناك بحث وتأمل وتفكر لمعرفة هذه المعاني ، فلو كانت كل معاني القرآن واضحة لما كان هناك باب الاجتهاد العقلي مفتوح لبيان وتفسير هذه المعاني ، ومن المفسرين قد فسروا الكثير من معاني آيات القرآن الكريم باجتهادهم العقلي .

رابعاً : موقف السيد فضل الله في مسألة الظاهر :

أما عن موقف السيد فضل الله ، فقد أفاد في مسألة الظاهر كثيراً ، فيرى أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل القرآن الكريم كتاباً رمزياً وأساليبه بعيدة عن أساليب اللغة العربية إنما جعله الله تعالى بليغاً وواضح الدلالة والمفهوم حتى يكون وسيلة لهداية عامة الناس وحجة عليهم وهذا ما أكدته في القرآن الكريم ، ويقول في هذه المسألة : ((لا نجد هناك مجالاً للحديث عن القرآن ككتاب رمزي ومصطلحات بعيدة في أسلوبها عن السياق العام لأساليب اللغة العربية بحيث يقف الناس أمامها حائرين لا يجدون لديهم النور الذي يوضح لهم طبيعة المعاني، وربما نستوحي ذلك من الآيات التي تحدثت عن صفة التبيين في آياته القرآنية ، كقوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النور : ٤٦) ، ﴿ وَكَذَلِكَ فَصَّلَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام : ٥٥) ، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦) ، والظاهر في هذه الآيات أنها تتحدث عن الوضوح الذي يستلزم الهدى والهداية واستبانة الطريق المضاد الذي يسلكه المجرمين .

ولهذا كانت حجية ظواهر القرآن من القضايا البينة الواضحة التي أجمع العلماء من خلالها على حجية الظواهر كلها ^(١))

وكذلك أشار السيد فضل الله إلى حجية ظواهر الكتاب ^(١) .

(١) من وحي القرآن : ١ / ٨٠٧

وقد رد على الكثير من الأحاديث التي أثارها العلماء حول مسألة الظاهر والباطن ، فمنهم من قال : إن اللفظ قالب بالمعنى فلا يمكن أن يتحمل معنيين ، أو المقولة التي تقول بأن اللفظ علامة على المعنى فلا مانع أن يكون دليلاً على أكثر من معنى ، وقد رأى بعضهم أن باطن القرآن دليل على أن هنالك في القرآن شيئاً للعامة وشيئاً للخاصة على مستوى المعنى ، أي أن هناك في المعنى القرآني شيئاً خفي لا يعلمه إلا الأمين على الأسرار الخفية للوحي (٢)

وفي هذه المسألة يقول السيد فضل الله : ((إن القرآن الكريم عندما يتحدث عن الناس كلهم ، فعندما يتحدث الله تعالى عن الآيات التي بينها لهم : لعلمهم يتفكرون ، يتذكرون ، يعقلون ، فإنه لا يخص جماعة دون أخرى مما يفرض أن الفكرة الظاهرة من القرآن التي يريد الله للناس أن يحملوها ويتحركوا في تفاصيلها الفكرية والعملية مع اختلافهم في طبيعة المستوى الذهني في استيعاب خصائصها غيرها من الكلمات العربية البليغة التي يختلف الناس في مداليلها تبعاً لاختلاف ثقافتهم)) (٣)

وأكد السيد فضل الله أن يكون استظهار معاني القرآن دقيقاً وواضحاً على الرغم من اختلاف المستوى الثقافي واللغوي للمفسرين والمنهج الذي يتبناه كل مفسر في فهم ظاهر الآية . (٤)

ومن الأمثلة التي ناقشها ورد عليها في تفسيره منها في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ... ﴾ (الحج : ٥٢)

فسر السيد محمد حسين الطباطبائي معنى التمني هو تمنى القلب ، ومعنى انقياد الشيطان هو في أمنية النبي أو الرسول ليكون في وسوسة الناس وتهيج الظالمين ، وإغراء المفسدين ، فأفسد الأمر على ذلك النبي أو الرسول وأبطل سعيه . (١)

١ (ينظر : الفصل الثالث من الرسالة ، المبحث الثاني (قاعدة الترجيح بالظاهر)

٢ (من وحي القرآن : ١ / ٩

٣ (من وحي القرآن : ١ / ٨

٤ (المصدر نفسه : ١ / ٧

وقد رد السيد فضل الله على المعنى الذي ذكره السيد الطباطبائي ، قال : ((إن هذا المعنى الذي ذكره الطباطبائي صحيح في الاعتبار لكنه لا ينسجم مع ظاهر الآية في كلماتها وإن ما استوحيناه من معنى الآية تفسيراً لها ، فهو أن الشيء الأتي من الشيطان يدخل في عمق الأمنية داخل الذات ولا يتحرك في دائرة الآخرين ، كما أنه يتنافى مع الشخصية النبوية الرسالية لجهة التزامها بالتوحيد وإصرارها عليه ، وأبتعادها عن كل الكلمات التي تتنافى معه حتى دخول الغفلة والسهو .))^(٢)

المطلب الثاني : باطن القرآن :

أولاً : تعريف الباطن لغة وأصطلاحاً :

الباطن لغة :

قال ابن فارس : ((الباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يُخلف ، وهو إنسىء الشيء والمقبل منه ، فالباطن خلاف الظهر ، وباطن الأمر دُخلته خلاف ظاهره))^(٣) كذلك عرف الباطن : هو من ((بطن ، خفي وأستتر ، خلاف ظهر " بطنت الفواحش " ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾))^(٤) ويتبي لنا إن المعنى اللغوي لمفردة (الباطن) هو مقابل الظاهر وخلافه ، بمعنى الخفاء والستر .

الباطن أصطلاحاً :

عُرف الباطن : ((هو المعاني والمضامين التي لايعرفها ، والتي لايمكن فهمها لكل من يعرف اللغة العربية ، بل يجب فهمها بالرجوع الى آيات وروايات أخرى))^(١)

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٣٩٣

٢ (من وحي القرآن : ١٦ / ١٠٢

٣ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ١ / ٢٥٩

٤ (معجم اللغة العربية المعاصر ، أحمد مختار عمر ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، عالم الكتب ، القاهرة . مصر

: ١ / ٢٢٠

ثانياً : أدلة باطن القرآن :

وقد استفاضت الروايات الدالة على أن للقرآن ظهراً وباطناً وحداً مطلعاً نذكر منها :

١ . عن محمد بن منصور قال : سألت الإمام الكاظم عن قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأعراف : ٣٣) ، فقال ((إن للقرآن ظهراً وباطناً))^(٢).

٢ . عن جابر قال : ((سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن شيء في تفسير القرآن ، فجابني ، ثم سألته ثانياً ، فأجابني بجوابٍ آخر ، فقلت جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة غير هذا قبل اليوم ؟ فقال (عليه السلام) لي : يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر ، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن))^(٣)

٣ . عن عبدالله بن سنان عن ذريح المحاربي قال : قلت لأبي عبدالله الصادق (عليه السلام):

إن الله أمرني في كتابه بأمر ، فأحب أن أعمله ، قال وما ذاك ؟ قلت : قول الله عز وجل : ﴿

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَتَّهُمْ وَلْيُوَفُّوا نَذْرَهُمْ ﴾ ، قال ﴿ لِيَقْضُوا تَتَّهُمْ ﴾ لقاء الإمام ، ﴿ وَلْيُوَفُّوا نَذْرَهُمْ ﴾ تلك

المناسك .

قال عبدالله بن سنان : ((فأتيت أبا عبدالله الصادق (عليه السلام) فقلت : جعلت فداك ، قول

الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَتَّهُمْ وَلْيُوَفُّوا نَذْرَهُمْ ﴾ قال : أخذ الشارب وقص الأظافر وما أشبه

ذلك .

(١) دروس في علوم القرآن ، حبيب الله الطاهري ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، أسوة ، قم . إيران : ٢ / ١٩٥ ، علوم القرآن

عند الشاطبي ، محمد سالم ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ ، دار البصائر القاهرة . مصر : ٧٤

(٢) الأصول من الكافي ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق : علي أكبر

الغفاري ، ط ٥ ، ١٣٦٣ هـ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران : ج ١ . ٣٧٤

(٣) معاني الأخبار ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، تحقيق

: علي أكبر غفاري ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة : ٢١٦

قال : قلت جعلتُ فداك إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له : ﴿ ليقتضوا تفهيم ﴾ لقاء الإمام ... فقال : صدق ذريح وصدقت . إن للقرآن ظاهراً وباطناً ، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح ((^(١)

٤ . قال الإمام علي (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ((ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما من حرف ألا وله تأويل)) ، وفي رواية أخرى : ((وما منه حرف إلا وله حد مطلع على ظهر القرآن وبطنه تأويله))^(٢)

٥ . عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، قال : ((ما من آية إلا ولها أربعة معان : ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر التلاوة ، والباطن الفهم ، والحد هو أحكام الحلال والحرام ، والمطلع هو مراد الله من العبد بها))^(٣)

٦ . وعن الحسن ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حدٌ ، ولكل حد مطلع))^(٤)

نرى هذه الروايات جميعاً قد أشرت في وصف القرآن بأنه له بطنٌ بل بطونٌ متعددة ، كما ورد في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق))^(٥)

ولعله يمكن إثبات حقيقة أن للقرآن ظهراً وبطناً ، وغيباً وشهادة ، من خلال قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (البقرة : ٣) ، وقوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض ﴾ (هود : ١٣٢) ،

١ (الفروع من الكافي : أبي جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨ هـ) ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . أيران : ج ٤ / ٥٤٩ ، كتاب الحج ، باب أتباع الحج ، معاني الأخبار ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، تحقيق : علي أكبر غفاري : ٣٤٠ ، باب أتباع الحج
٢ (بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ) ، تعليق وتصحيح : ميرزا محسن ، د ط ، ١٤٠٤ هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان : ١ / ٢١٦
٣ (المصدر نفسه : ١ / ٢١٦

٤ (تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ١ / ٢٠

٥ (الأصول من الكافي : ج ٢ . ٥٩٩ ، باب فضل القرآن

وقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ (الأنعام : ٧٣) ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ ﴾ (الحديد : ٣)

إنّ فالقرآن الكريم بمجموعه له ظاهر وباطن ، والسورة بمجموعها لها ظاهر وباطن ، والآية
بتمامها لها ظاهر وباطن ، والجملة الواحدة في الآية . إن تألفت من أكثر من جملة لها ظاهر
وباطن أيضاً ، بل إن كل كلمة أو جملة أو آية أو سورة إذا ما لوحظت بنظرة استقلالية فإن لها
ظهر وبطن . (١)

فقد عبر في بعض النصوص القرآنية ((أن للقرآن بطناً وللبطن بطن إلى سبعة أبطن ، بل إلى
سبعين بطناً ، بل إلى سبعين ألف بطن .)) (٢)

وهذه الزيادة في عدد البطون يستشف منه اختلاف المستويات المعرفية للمخاطبين ، لأن أهل
البيت (عليه السلام) أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم . (٣)

وفي ضوء ذلك يتضح لنا مضمون الروايات الكثيرة التي أشارت إلى هذا المعنى منها:

عن علي (عليه السلام) قال : ((لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب)) (٤)

فلو كان تفسير واحد لسورة فاتحة الكتاب وجه واحد فهل يحتاج هذا الأمر الى سبعين بعيراً
لحمل ما يمليه علي عليه السلام ، وقد عبر عليه السلام بكلمة (أوقرت) إشارة الى ثقل الحمل
الذي سينوء بحمله سبعين بعيراً . (٥)

١ (ينظر : اللباب في تفسير الكتاب ، كمال الحيدري : ١ / ١١٩)

٢ (بحار الأنوار ، المجلسي : ٨٩ / ٩٥)

٣ (ينظر : اللباب في تفسير الكتاب : ج ١ / ١٢٠)

٤ (بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار أئمة الأطهار : ٨٩ / ٩٣ ، باب ٨ : أن القرآن للقرآن ظهر وبطن)

٥ (اللباب في تفسير الكتاب ، كمال الحيري ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، ستاره ، دار فراق ، قم . إيران : ١

١٢٠ /

وعن جابر قال : ((سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء في تفسير القرآن ، فأجابني ، ثم سألته ثانياً فأجابني بجواب آخر ، فقلت جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم ؟

فقال عليه السلام : يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطن ، وله ظهر وللظهر ظهر ، يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن)) ^(١)

وقد تعرض المفسرون القدامى والمعاصرين لعدة نظريات لتفسير بطون القرآن حاولوا من خلال هذه النظريات تقديم تصور وتكيف لما ورد من المأثور عن (بطن القرآن) ، نقدم منها المهم :

نظرية أبو حامد الغزالي :

يرى ابو حامد الغزالي لا يمكن الوصول إلى باطن الآية إلا بعد أحكام الظاهر ، وهذا مما اتفق عليه علماء التفسير ، قائلاً : ((ويُعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولاً ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل أحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يُحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب ، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك ، فأن ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم)) ^(٢)

نظرية الشيخ الطوسي :

قال الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره (التبيان) : ((فأما ما روي عن النبي (ص) أنه قال : (ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن) وقد رواه أصحابنا عن الأئمة عليهم السلام

١ (بحار الأنوار : ٨٩ / ٩١ ، باب ٨ : (ان للقرآن ظهر وبطن)

٢ (إحياء علوم الدين ، إبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٤٥٠ . ٥٠٥ هـ) ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان : ٣٤٤ ، كتاب أسرار تلاوة القرآن ، الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

فأنه يحتمل أن يكون ظاهر القرآن الكريم قصص أخبار الأمم السابقة ،وباطنها العبرة والموعظة منها)) (١)

وهو ما روي في أخبار الصادقين عليهما السلام ، وحكى ذلك أبو عبيدة أن المراد بذلك القصص بأخبار هلاك الأولين وباطنها عظة للآخرين

وبذلك يكون تفسير باطن القرآن عند الشيخ الطوسي هو ما ورد من قصص وأخبار عن الأمم السابقة ، ولا تقتصر على السابقين بل هي منطبقة على غيرهم أيضاً ، وبذلك يكون (البطن) من التطبيق (٢)

نظرية الأخوند الخرساني :

يقول الأخوند الخرساني إن لتفسير الباطن احتمالين : (٣)

الأول : أن البطن مراد بالاستقلال من دون إرادة الألفاظ ، بأن تكون هذه البطون مقارنة بأستعمال الألفاظ في معانيها

الثاني : أن يكون البطن من لوازم المعنى المستعمل فيه اللفظ ، فلا يكون اللفظ المستعمل الا إذا كان يدل عليه بدلالة الالتزامية نظير كون (مجيء زيد) ملازماً عادة لنزول البركات.

نظرية السيد الخوئي :

فقد أيد السيد الخوئي في تفسير (باطن القرآن) الاحتمال الثاني من نظرية الأخوند الخرساني وهو أن يكون البطن من لوازم المعنى المستعمل فيه اللفظ ، أي أن البطن عبارة عن اللوازم (٤)

١ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق ، محمد عبد القادر احمد عطا ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٧ / ٢٢٩ ، التبيان في تفسير القرآن : ج ١ / ٩

٢ (مطارحات في قضايا قرآنية ، محمد الحسيني ، ط ١ ، ١٤٢٠ . ٢٠٠٠ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان : ١٠١

٣ (منتهى الدراية في توضيح الكفاية ، محمد جعفر الجزائري المروج ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، مؤسسة أهل البيت ، قم . إيران : ٣٨

٤ (محاضرات في أصول الفقه ، تقارير بحث السيد الخوئي في الأصول ، بقلم الشيخ أسحاق الفياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامية ، قم المقدسة . إيران : ١ / ٢١٣

، وبذلك تميل نظرية السيد الخوئي الى تفسير الباطن في لوازم الكلام وأدعى ظهور الروايات في ذلك ، وربما يظهر ذلك من كلام العلامة المجلسي في كتابه مرآة العقول في باب التفويض إلى النبي والإمام (عليهما السلام) : ((أن التفويض عبارة عن استنباط الأحكام من بطون القرآن أي ما يظهر بالدلالات الالتزامية دون ظواهرها هي المدلولات المطابقة التضمنية ، وقد علمت أنه لاداعي إلى ارتكاب هذه التكاليف ، والله يعلم درجات أوليائه ومراتبهم))^(١)

نظرية السيد الطباطبائي :

وتتلخص نظرية السيد الطباطبائي في أن الباطن هو المعنى الثاني الذي يراد من الآية فيكون للآية معنيان أحدهما ظاهر والآخر باطن ، إلا أنهما واقعان في الطول لا في العرض^(٢)

أي أن المعنيين على امتداد واحد في المعنى العام وليس معنيين متغايرين

ويقول : ((في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ وفي القرآن الكثير من الآيات إلا أن الآيات المذكورة وما في معناها مطلقة لاتختص بأمثال قرآنية خاصة ، فعليه لا بد من القول بأن الآيات كلها أمثال بالنسبة إلى المعارف العالية التي هي المقصد الأسمى للقرآن))^(٣)

نظرية السيد عبد الأعلى السبزواري :

فضل السيد عبد الأعلى السبزواري (أحد فقهاء الشيعة المتأخرين) أن يفسر (بطن القرآن) بالإشارات والرموز التي لا يفهمها إلا أشخاص خاصة))^(٤)

وظاهر كلامه أن (بطن القرآن) ليس من المعاني لا على نحو الاستقلال ولا على نحو اللوازم ، بل هي إشارات ورموز يعرفها الأئمة (عليهم السلام)^(١)

١ (مرآة العقول : ٣ / ١٥٥ ، باب التفويض إلى النبي والأئمة (ع))

٢ (القرآن في الإسلام ، الطباطبائي : ٣٩)

٣ (القرآن في الإسلام : ٤٤)

٤ (تهذيب الأصول ، عبد الأعلى السبزواري ، ط ٢ ، ١٩٩٩ م ، دار المنار ، بيروت . لبنان : ج ١ / ٣٦)

نظرية السيد فضل الله :

رفض السيد فضل الله أن يكون المراد من (بطن القرآن) هو المعنى الثاني ، الذي يكون للآية معنيان أحدهما ظاهر والآخر باطن ، كما هو رأي السيد الطباطبائي ، كما رفض أن يكون (الباطن) من قبيل الرموز والاشارات ، كما هو رأي السيد عبد الأعلى السبزواري ، فكتب في هذه المسألة : ((... ولذلك فإن التعبير الباطني إما أن يكون من قبيل الإيحاء أو إنها من اللوازم ، ولذلك نقول : ليس هناك باطن بمعنى أن القرآن يستبطن معاني كثيرة على خلاف المعنى اللغوي ، نعم أن هناك ما يستبطن أستيحاءات كثيرة ويستبطن لوازم كثيرة وعليه فإن بطن القرآن هو الاستيحاء بطريقة الانطلاق من الجزئي إلى الكلي ، أو المادي إلى المعنوي ، لأن اللفظ لا يتحمل أكثر من معنى)) (٢)

أما الانطلاق من الجزئي إلى الكلي فهو من باب التطبيق الذي ورد كثيراً في روايات أهل البيت (عليه السلام) تعبيراً لما أسماه الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) بالجري ، وإن القرآن الكريم يجري في حياة الناس مجرى الشمس والقمر والليل والنهار

أما الانطلاق من المادي إلى المعنوي فإنه يقوم على إدراك ما وراء المدلولات اللفظية من مغزى وهدف وعظة (٣) ، كما في التفسير الوارد عن الإمام الباقر (عليه السلام) لقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (المائدة : ٣٢) ، في جوابه للسائل من حرق أو غرق ، فقال السائل : فمن أخرجها من ضلال الى هدى ؟ قال (عليه السلام): ذاك تأويلها أعظم ، (٤) ومثل هذا التفسير لا يقوم كما هو واضح على المدلول اللفظي بل على إيحاءات القرآن الكريم بما يشمل عليه من أهداف وعظات وتنبيهات (٥)

١ (مطارحات في قضايا قرآنية ، محمد الحسيني : ١٠٧)

٢ (دار الندوة ، فضل الله : ج ١ / ٢٤٠)

٣ (مطارحات في قضايا قرآنية ، محمد الحسيني : ١١١ . ١١٢)

٤ (الكافي ، الكليني : ٢ / ٢١٠ ، حديث : ٢)

وبهذا يبدو لي : أن للآية معنى جزئي في مواردها المتحركة في الواقع في عصر النزول ، أو في مواقع النزول ، وأيضاً يكون لها معنى كلي الذي يطل على المفردات في الماضي والحاضر والمستقبل ، وبهذا يكون (المعنى الظاهر) هو المعنى الجزئي المنفتح على الحاضر ، أما (المعنى الباطن) ، فهو المعنى المنفتح على المستقبل ، إذن فالمعنى الباطن هو المعنى المطل على المستقبل حتى لا يجعل القرآن مستقلاً ، أو منحصرأً على الموارد التي نزل فيها فقط ، بل يكون ممتداً إلى كل الموارد المماثلة المتجددة التي تحدث في مستقبل الحياة والإنسان .

وهذا ما تحدث عنه الإمام الباقر (عليه السلام) في أكثر من حديث منه :

عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر محمد الباقر (عليه السلام) عن هذه الرواية : ((ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع) ما يعني بقوله : لها ظهر وبطن ، قال : (ظهره وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (آل عمران : ٧)))^(١)

وإن المعنى الكلي العام الذي يستنبط من هذه الآيات هو الذي يتجدد عبر الزمن كله وتتجدد الموارد المماثلة في امتداد الزمن

وهذا ما عبر عنه بتعبير آخر ، هو أن القرآن يموت إذا نزل في قوم مخصوصين يغيبون عبر الزمن ، لكن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر والليل والنهار ، وبهذا لا يكون للآية معنيان للفظ إنما يكون هناك معنى واحد يتحرك في خط الزمن من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل^(٢)

١ (بحار الأنوار : ج ٨٩ / ٥٥ باب : ٨ . رواية : ١٤)

٢ (من وحي القرآن : ١ / ١٣ . ١٤)

وقد أفاد السيد فضل الله من الباطن من ضمن منهجه الترجيحي ، حيث ذكر الأقوال الواردة في تفسير قوله تعالى : ^طفَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ **النحل: ٣٤**

أشار السيد فضل الله الى بعض التفسيرات أو التطبيقات الواردة لمفهوم " أهل الذكر " وقد اختلفوا في المراد منهم على ثلاثة أقوال :

أحدهما : المراد بهم أهل الذكر ((أهل العلم ، بأخبار من مضى من الأمم ، سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً . وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم ، فإن الذكر هو ضد السهو ، فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل)) ^(١)

ثانيهما : المراد من (أهل الذكر) هم أهل الكتاب ، فيكون المعنى : فاسألوا أهل التوراة والإنجيل ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، لأنهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى ، ويكذبون النبي لشدة عداوتهم له ^(٢)

ثالثهما : المراد بهم أهل القرآن ، لأن الذكر هو القرآن ^(٣)

رابعهما : المراد بأهل الذكر هم (أهل البيت " عليهم السلام " قولهم : ((نحن أهل الذكر)) ^(٤)

القول الراجح :

أما السيد فضل الله يرى أن المراد ب(أهل الذكر) يستبطن معاني كثيرة ، لأنه يؤكد على الشمولية القرآنية في الخطوط العامة ، فلا يتجمد المعنى عند مرحلة معينة ، أو عند جماعة محددة ^(٥)

١ (التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٦ / ٢٨٤)

٢ (تفسير السدي الكبير ، أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ت ١٢٨ هـ ، محمد عطا يوسف ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م ، دار الوفاء ، المنصورة . القاهرة : ٣٢٧)

٣ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٦ / ١٥٩)

٤ (أصول الكافي ، الكليني : ١ / ٢١٠ ، حديث : ٣)

٥ (ينظر : من وحي القرآن : ٨ / ١٨٦)

في ضوء ذلك ، ذكر السيد فضل الله في المراد من (أهل الذكر) ، فهو يرى أن الآية تتسع لكل هذه المعاني ، قائلاً : ((فإن الآية بحسب مفهومها العام الذي لا يتقيد بموردٍ خاص ، وتتسع لكل أهل العلم والمعرفة ، في أي موقع من مواقعها ، فيشمل الكتب السماوية ، بما فيها القرآن وأهل البيت ، باعتبار أنهم أهل القرآن ، وأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين أراد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للأمة أن تتمسك بهم إلى جانب القرآن في حديث الثقلين))^(١)

وبهذا يستوحي السيد فضل الله من معنى الذكر معاني متعددة ، فيرى أن معنى الذكر ، يشمل الكتب السماوية ، والقرآن ، وأهل البيت (عليه السلام)

المبحث الثاني

التفسير بالمأثور

أولاً : تعريف التفسير بالمأثور :

يقصد بالتفسير بالمأثور : ((على ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل أولاً ، ثم على ما نقل عن المعصوم : النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الأئمة من عترته الطاهرين ، وبعده على المأثور من الصحابة الأخيار والتابعين لهم بأحسان (ع) مما جاء بياناً وتوضيحاً لجوانب أبهمت من القرآن))^(١)

وذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ت (١٣٦٧هـ) إن للتفسير بالمأثور أنواع فقال: ((يشمل التفسير بالمأثور : ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، و ما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم))^(٢)

والذي يبدو لي : أن معنى التفسير بالمأثور : هو أن يقوم المفسر بتفسير القرآن أولاً بالقرآن نفسه ثم يفسره بما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) والصحابة الكرام من روايات صحيحة حول معنى الآية ، فالمفسر لا يبدي رأيه وإنما هو ينظر في الروايات وينتقي أقربها وأصحها دلالة على معنى الآية .

ثانياً : موقف بعض المعاصرين من مفسري الأمامية من التفسير بالمأثور :

وللسيد فضل الله موقف مميز من التفسير بالمأثور ، حيث جعل القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للمعرفة الإسلامية ، قال : ((وفي هذا فإن القرآن الكريم يمثل المصدر المعصوم للتصور الإسلامي الصافي لكل مجالات الحياة التشريعية والفكرية والعلمية ، ويحدد

١ (التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفه ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ ، الجامعة الرضوية المقدسة ، مشهد . ايران : ٢ / ٥٣٩

٢ (ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، فواز أحمد زمرلي ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان : ٢ / ١٣

لنا المفاهيم الأصلية التي تركز عليها الشخصية الإسلامية ، ولا نريد لهذه الكلمة ، أن توجي بالانتقاص من قيمة السنة كمصدر ثان أساسي فكري للشريعة الإسلامية فإن الحديث يعتبر الصورة التفصيلية للمفاهيم القرآنية العامة مسارها الفكري والعملية ، ولكن القرآن يختلف عن السنة في أن سنده لا يحتاج إلى أثبات علمي يبحث فيه العلماء وثيقة الراوي وأمانته ليحكموا من خلاله بصحته ، لأن سنده قطعي ، بينما نجد أن سند الحديث الذي يثبت لنا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال هذا أو فعل هذا ليس بهذه المثابة من القوة ، فلا بد له من إثبات قد يختلف العلماء في أمره كما يختلفون في كل قضية أجهادية ، ولذلك فإن التأكيد على الأهتمام بالقرآن يعمل على صنع الذهنية القرآنية الصافية التي نستطيع من خلالها أن نكشف زيف الأحاديث الموضوعة من خلال اكتشاف زيف المفاهيم التي عالجتها عندما نعرضها على القرآن الكريم (١) انطلاقاً من الأحاديث الثابتة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) التي تقرر أن كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو الزخرف (٢)

كما أكد السيد فضل الله على استقلالية القرآن الكريم وفهمه من دون الرجوع إلى الأخبار ، حيث كتب في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ ﴾ الش : ٢٨:٤١ : ((ليتعمقوا في مفاهيمه وينفتحوا على أحكامه ويتعرفوا من خلاله على الخطوط الفاصلة بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان ليلتزموا الخط القرآني في قضايا العقيدة والحياة ؟ وما المانع أن يتدبروه وهم يملكون معرفة اللغة التي نزل بها والقدرة على الفهم .. والظاهر كما قال في مجمع البيان : " أن هذا القرآن دال على بطلان قول من قال : لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن ألا بخبر وسمع " فأن الله يدعوا إلى فهم القرآن وتدبره حتى يكتشف الناس فكره وشريعته ومنهجه في الحياة ، وليست هذه الأقوال التي تعزل القرآن عن الفهم العام للناس ، إلا لوناً من ألوان تجميد القرآن في الثقافة العامة ، وإبعاد الناس عن اكتشاف الزيف الذي يحشده البعض في المضمون التفسيري له (٣)

١ (من وحي القرآن : ١ / ٢٧)

٢ (اصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، ١ / ٦٩ ، حديث : ٤ ، باب (الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب)

٣ (من وحي القرآن : ٢١ / ٧٢ . ٧١)

قال السيد الخوئي في مقدمة تفسيره : ((وسيجد القارئ أيضا أن كثيرا ما ستعين الآيه على فهم اختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن ثم اجعل الأثر المروي مرشدا إلى هذه الاستفادة))^(١)

ويقول الدكتور محمد حسين الصغير : المصدر النقلي : المراد به تفسير القرآن الكريم بالمأثور، سواء أكان هذا المأثور درايه قطعيه متواتره كالقرآن الكريم، أم روايه تتقلب بين الظن والقطع، فتكون قابله للنفي والاثبات بحسب موازين تقييم الروايات المتواتره المشهوره وأخبار الأحاد))^(٢)

كذلك إن التفسير بالمأثور يحتاج من المفسر التدقيق في سند الرواية ((ومن الخطأ الاعتقاد بأن التصنيف في التفسير بالمأثور عمل آلي ليس لصاحبه من عمل فيه إلا النقل، بل إن هذا النوع من التفسير يحتاج إلى جهد من المفسر ليجمع حول الآيه ما يرى أنها متجه إليه فيقصد إلى ما يتبادر إلى ذهنه من معناها وتحت هذا التأثير يقبل مرويا ويعاني به ولو لم يكن صحيحا ويرفض مرويا حين لا يرتاح إليه، وجهد من القارئ لاستشفاف مذهب المفسر وآرائه وتحري الآثار التي رفضها المفسر لعدم موافقتها له))^(٣)

ثالثاً : أسباب ضعف الروايه بالمأثور :

١_ ضعف الأسانيد :

الحديث المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو عن أحد الأئمة عليهم السلام أو أحد الصحابه العلماء أو التابعين الكبار، أن يزيد من معرفة أو يرفع من أبهام في اللفظ أو المعنى فهو شاهد صدقه، ذلك أنهم أعرف بمواضيع النزول وأقرب تناولا فيه، حيث قرب عهدهم به، أو أنهم حضروا الحادثه فنقلوها.

١ البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الخوئي ت ١٤١٣ هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان / ٢٢

٢ (المباديء العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، علي حسين الصغير : ٦١

٣ (قواعد تفسير القرآن الكريم ، هادي حسين عمران ، رسالة ماجستير ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، جامعة الكوفة كلية

الفقه : ١٥٩

وللعقلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه عقلا نيه فيعتمدونه، وعليه جاء قوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (سورة الحجرات : ٦)، فقد أقر العقلاء على قبولهم للنبا ما لم يكن الآتي به متجاهرا بالفسق، ممن لا يتورع الكذب، لا يخاف الله في سره وعلا نيته.

ولهذا رد السيد فضل الله بعض الروايات التي تناقلها المحدثون في التفسير ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ١١ إذ عدها دخيلة على التحليل القرآني للمسألة ، مما يوحي أن هناك نسجا من الخيال صاغته ذهنيات الرواة

فمن عرف بالصدق والأمانة قبل نبوته، ومن عرف بالكذب والخيانة ترك، ومن كان مجهولا تربثنا، فإن ظهرت منه دلائل الصدق قابلناه وإلا رفضناه.

إذن فشرط قبول الخبر احتفافه بقرائن الصدق، والرأي معروف بالصدق والأمانة، وأن لا يخاف معقولا او منقولا ثابتا في الدين والشرعية. (١)

٢_ ما دسه أعداء الإسلام مثل زنادقة اليهود والفرس فقد أرادوا هدم هذا الدين القويم عن طريق الدس والوضع، حينما أعيتهم الحيل في النيل منه عن طريق الحرب والقوه، وعن طريق الدليل والحجة. (٢)

٣- دخول الإسرائيليات في التفسير بالمأثور :

إن دخول الإسرائيليات في التفسير، أمرٌ يرجع الى عهد الصحابة رضي الله عنهم وذلك نظرا لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل كقصة آدم حيث فصلت في التوراة واجملت في القرآن وكذلك قصة النبي عيسى (عليه السلام) حيث فصلت في الإنجيل

١ (التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفه : ١٥٥-١٥٦

٢ (مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني : ٢١

واجملت في القرآن، وإن الرجوع إلى أهل الكتاب مصدر من مصادر التفسير عند الصحابة، فكان الصحابي إذا مر على قصة من القصص يجد في نفسه ميلاً إلى أن يسأل بعض من دخلوا إلى الإسلام، وحملوا معهم ثقافتهم الدينية، فألقوا إليهم ما فلقوه من الأخبار والقصص الدينية.

غير أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألونهم عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن الكريم منها^(١) وذلك امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وآله سلم: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقلوا لهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾

المادة: ٩٥

^(٢) ومع ذلك أن لهذه الإسرائيلييات أثر سىء في التفسير، فقد أخذ المفسرون من أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى، وذلك ، لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة ، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقا وإن كذبا، بل ودخل على هذا النوع من التفسير الكثير من القصص الخيالي المخترع، مما جعل الكثيرين من هذه الإسرائيلييات قد وضعوا الشوك في طريق المشتغلين في التفسير وجعلوا الكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما روه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح.^(٣)

أما عن موقف السيد فضل الله من الإسرائيلييات ، حيث أن موقفه لا يخرج عن هذا التحديد الذي أشرنا إليه من خلال موقفه من خلال التراث الروائي والإخباري ، قال : ((فإننا نؤكد على ضرورة التدقيق في سند القصة التفسيرية ومضمونها حتى نعرف صحيح الحديث من فاسده على أساس الموازين العلمية الصحيحة ... وبهذا نستطيع أن نكشف زيف الإسرائيلييات الموضوعة التي لا أساس لها في كتاب الله ورسالاته ، وقد نتعرف في بعض هذه الإسرائيلييات التي رواها علماء اليهود، ما قد يكون صحيحاً في فكرته وأسلوبه ، لأن وجود الوضع والدس

١ (التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي : ١ / ١٢٣

٢ (فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، أخرجه : محب الدين الخطيب ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ ، المكتبة السلفية . مصر : ٨ / ٢٠ ، حديث : ٤٢١٥ ، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)

٣ (ينظر : التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي: ١ / ١٣٠

والافتراء لا يعني أنه يمثل ظاهرة شاملة في كل هذه الأحاديث ... لأننا نتقبل التفسير الغيبي في بعض الموارد التي لا نجد لها أساساً معقولاً للتفسير الطبيعي للأشياء ، ونحتفظ في بعض الموارد التي نجد لها أساساً واقعياً تربط القضية بالقوانين الطبيعية للأشياء، فتستبعد الجانب الغيبي ، لأنه لا يقدم لنا تبريراً لإنكار الأسباب الواقعية ، وأستبداله بالسبب الغيبي من دون أن يضر ذلك بقضية الإيمان بالغيب ، لأنه لا يرفض الغيب كعقيدة تعيش في الحياة وفي الإيمان ، ولكنه يتحفظ فيه كظاهرة شاملة ترفض الأسباب الواقعية للأشياء))^(١)

٤- لجوء بعض المفسرين إلى حذف الأسانيد :

لجأ بعض المفسرون إلى التيسير بحذف الأسانيد، وبذلك أختلطت الروايات فلم يعرف الصحيح من السقيم^(٢)

وبعد ذكر أسباب الوهن والضعف بالتفسير بالمأثور فقد تعامل علماء التفسير بحذر مع هذا التراث الضخم من التفسير بالمأثور.

وكان لعلماء التفسير طرائق خاصة لمعرفة الصحيح والسقيم حتى يثبتوا إلى قطعية ما توصلوا إليه من خلال هذه الروايات أن علماء الحديث قسموا الحديث إلى متواتر وآحاد والمتواتر فقد عرفه السيوطي (ت ٩١١هـ) : ((هو ما نقله ما يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره))^(٣)

أما الدكتور حسن الحكيم يقول : ((ولا تكاد تشكل الأخبار المتواترة التي تفيد العلم إجماعاً إلا نسبة قليلة))^(٤)

١ (من وحي القرآن : ٤ / ٣٧٩ . ٣٨٠)

٢ (التفسير والمفسرون، فاطمه محمد مارديني، ط ١، ١٤٣٠-٢٠٠٩م، بيت الحكمة، دمشق سوريا : ٥٠)

٣ (تدريب الراوي على شرح تقريب النواوي ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، تحقيق، محمد علي بيضوي، ط ٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان : ٢-١٠٤)

٤ (مذاهب الإسلاميين، د- حسن الحكيم ط ١، ١٤٢٦-٢٠٠٦م، عرصات الهنديه، بغداد : ١٨٣)

أما خبر الآحاد فعرفه الدكتور محمد عجاج : ((بأنه ما رواه واحد أو الأثنان فأكثر مما لم تتوفر فيه الشروط المشهور أو المتواتر ولا عبره للعدد فيه بعد ذلك وهو دون المتواتر أو المشهور))^(١)

أما السيد محمد حسين فضل الله فله رأيه في الروايات المتواتره وأخبار الآحاد حيث يقول السيد ((ان الروايات في تفسير الآيات المجمله في القرآن لا بد أن يكون مستوى توثيق الروايات بالمستوى الذي تقترب فيه من وثاقة النص القرآني، وإن تفسير القرآن بالروايات يختلف عن الروايات الوارده في الأحكام))^(٢)

وبهذا فقد فرق السيد محمد حسين فضل الله بين الروايات التي تفسر آيات الأحكام والعقائد وبين الروايات التي تفسر آيات القصص والأخلاق وغيرها ، حيث إنه لا يقبل تفسير آيات الأحكام بالروايات الضعيفة فضلاً عن الأسرائيليات مطلقاً ، ويمكن ذلك أحياناً في فضائل الأعمال والقصص والأخلاق .

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن :

وردت عدة تعاريف في كتب التفسير لتعريف (تفسير القرآن بالقرآن) نذكر منها :

ويعرف تفسير القرآن بالقرآن : ((بأنه مقابلة الآية بالآيه وجعلها شاهدا لبعضها الآخر ليستدل على هذه بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من قرآنه الكريم.))^(٣)

ويبدو هذا التعريف قاصراً في شموله لهذا المنهج لأن تفسير القرآن بالقرآن أنواع كثيرة لا تنحصر في هذا النوع الذي أشار إليه التعريف، فالأصح أن نقول في تعريفه : ((هو تفسير آية أو آيات بواسطة آيات أخرى لوجود علاقة بينهما ، فالباء في جملة تفسير القرآن بالقرآن

١ (أصول الحديث، محمد عجاج الخطيب، ط ١، ١٩٦٧، ١٣٨٦م، دار الفكر الحديث، بيروت لبنان : ٣٠٢

٢ (مجلة قضايا اسلاميه : ٧٥

٣ (المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، هدى جاسم ابو طبره، مطبعة بوستان كتاب، ١٣٨٢هـ ، إيران قم : ٦٥

تكون للاستعانة كما هو الظاهر منها أي : تفسير القرآن بمساعدة نفس القرآن وأيضا لا بد من وجود علامة تبين الآيات وإلا لا يمكن تفسير آية بآية أجنبية عن الأولى)) (١)

وإن تفسير القرآن بالقرآن من أحسن وأصح طرق التفسير في ذلك فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما أختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. (٢)

وإن هذا المنهج من أسمى المناهج الصحيحة الكفالة لتبيين المقصود من الآية وقال الله تعالى ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِثْيَانًا ﴾ (النحل : ٨٩) وبما أن القرآن الكريم موضحاً لكل شيء فهو موضحاً لنفسه أيضا لأن القرآن الكريم هدى وبينه وفرقان ونور، كما قال تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٥). (٣)

وأول من أشار إلى تفسير القرآن بالقرآن هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والأمام علي (عليه السلام) قال : ((إن القرآن ينطق بعبءه ببعض، ويشهد بعبءه على بعض)) (٤)

كما قال (عليه السلام) في خطبة طويلة نذكر جزءاً منها: ((جعله الله رياءً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجاً لطرق الصلحاء ، ودواءً ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلأ وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعزاً لمن تولاه ، وسلماً لمن دخله ، وهدياً لمن أتم به ، وعذراً لمن أنتحلّه ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وحاملاً لمن حمّله

١ (المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة، محمد علي أسدي ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، إيران - طهران : ٣١٤

٢ (ينظر: خلاصة مقدمة أصول التفسير ، صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي، ط١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ، السعوديه - الرياض : ١٨

٣ (ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني ، ط١ ، ١٤٣٢هـ، مؤسسة الإمام الصادق ، إيران - قم : ١٤٣

٤ (نهج البلاغه ، صبحي الصالح، ط٤ ، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م ، دار الكتب المصريه، مصر - القايره : خ١٣٣ - ص١٩٢

، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن أستلهم وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ،
وحكماً لمن قضى)) (١)

وإن القرآن الكريم موضحاً لنفسه ويفسر بعضه البعض، وينطق بعض آياته بمعونة قرينة بعضها الآخر وقد قال تعالى بحق كتابه الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

﴿البقرة: ٢﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ **آل عمران: ٨٣١**
وبما أن القرآن الكريم موضحاً الإبهام في آياته ومبيناً لأجمال نفسه، فهو أيضاً جاء تبييناً لكل شيء وبيناً للناس وهدى وموعظة للمتقين. (٢)

ومن أعظم خصائص الأمانة الإسلامية أن الله تعالى قد تكفل بحفظ وبيان القرآن الكريم حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ **الحجر: ٩** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ قُرْآنَهُ فُتِنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ **القيامة: ٧١ - ٩١**

وعد سبحانه ووعدده حق لا شك فيه، فبين وفصل بأدق الأساليب و البلاغة قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَتُفَصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ **هود: ١**، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٩٦﴾ **البقرة: ٩١٢**

، ففي هذه الآيات الكريمات ونظائرها أخبر الله تعالى عن تفصيل كتاب آياته وتبيينها وأيضاح معانيها. (٣) فكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبين الأول للقرآن الكريم ، يقول السيد محمد حسين فضل الله في بيان دور الرسول للبشر ((الله الذي أنزل عليه القرآن ليكون نورا يضيء لهم الطريق، وهدى يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام، ويقودهم الى الصراط المستقيم الذي ينتهي بهم إلى رضوان الله في الدنيا والآخرة)) (٤)
وقد سار على هذا المنهج الكثير من مفسري القرآن الكريم واعتمده في تفسيراتهم ، لأنه حقا أفضل وأصح الطرق لبيان مراد الله تعالى من كتابه الكريم.

١ (نهج البلاغة ، صبحي الصالح : خ ١٩٣ . ص ٢٢

٢ (ينظر : دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني : الحلقة الاولى - ١١٢

٣ (ينظر : أسباب الخطأ في التفسير، طاهر محمود محمد : ٥٢

٤ (من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله : ج٦ - ٣٦٤

وقال السيد الخوئي عنه في مقدمة تفسيره ((وسيجد القاريء أيضا أنني كثيرا ما أستعين بالآية على فهم أختها، وأسترشد القرآن على إدراك معاني القرآن ثم أجعل الأثر المروري مرشدا الى هذه الاستفادة))^(١)

وأیضا برز العلامة الطباطبائي في استخدام هذا المنهج، فكان تفسيره (الميزان) نموذجا رائعا لتفسير القرآن، وقد حاول أن يستدل على أصالة هذا المنهج ومشروعيته فقال : ((حاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾﴾ **البقرة: ٥٨١**
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا مِّنْ رَبِّكُمُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ **الشعاع:**

٤٧١ وكيف يكون القرآن هدى وبينه وفرقا ونورا مبينا للناس في جميع ما يحتاجونه ولا يكفيهم في أحتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج...) ^(٢)

كما أكد على أصالة وقوة هذا المنهج الشيخ الصادقي في تفسيره : ((فمسالك التفسير كلها هباء وخواء ، ألا تفسير القرآن بالقرآن ، كما أن الرسول والأئمة من آل الرسول سلكوا هذا المسلك القويم في تفسير أي الذكر الحكيم ، وعلى المفسرين أن يتعلموا هذه الطريقة المثلى من هؤلاء المعلمين المعصومين ، رجوعاً الى أساليبهم السليمة في تمسكهم بالكتاب ، تفسيراً للآيات بالآيات ، ثم سلوكاً في صراطهم المستقيم على طول الخط ومر الزمن)) ^(٣)

وفي هذا المجال يرى السيد محمد حسين فضل الله، بأن تفسير القرآن بالقرآن من أرقى وأجود أنواع التفسير، لأن الآية تدل على معنى آية أخرى خصوصاً في التفسير الموضوعي حيث تنتوع في القرآن آيات تتحدث عن موضوع معين؛ فقد عالج الله سبحانه وتعالى هذا الموضوع بطريقة معينة في صورة وبطريقة أخرى في صورة ثانية فتكون المعالجة في هذه الآية مثلاً تفسر المعالجة في الثانية وهكذا...

١ (البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي (١٤١٣هـ) : ٢٢

٢ (الميزان في تفسير القرآن الكريم، محمد حسين الطباطبائي : ١ / ١١

٣ (الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، محمد الصادقي ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، مطبعة أمير ، قم . ايران : ١ /

حيث نجد في القرآن قصصاً لكثير من القضايا التي يجملها القرآن في هذه القصة أو في سورة من سور القرآن فنجد أن الله تعالى قد فصل هذه القصة وبين تفاصيل أحداثها في سورة أخرى. (١)

وقد اعتمد السيد محمد حسين فضل الله على هذا المنهج في تفسيره لكثير من الآيات القرآنية نذكر منها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ (آل عمران : ٣٠)

ذكر السيد فضل الله أختلاف المفسرين في كيفية حضور العمل يوم القيامة على النحو الآتي:

الأول : حاول بعض المفسرين أن يستدل في هذه الآية وأمثالها من الآيات على نظرية تجسيد الأعمال وحضورها في صورة معينة حسية في يوم القيامة ، بحيث يواجه الإنسان عمله الصالح في الدنيا بصورة جميلة مشرقة ، بينما يواجه عمله السيء صورة قبيحة لأن هذه الآية تلتقي . في هذه الدلالة . بقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٩) ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧ . ٨) (٢)

الثاني : أن المراد من حضور العمل أن الإنسان يوم القيامة يرى جزاء عمله ، لا عمله بالذات ، وهذا التصور في حضور العمل يوم القيامة وارد على مستوى النتائج السلبية والإيجابية ،

١ (الندوة ، محمد حسين فضل الله ، اعداد - عادل القاضي ، دار الملاك ، ط ٨ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، بيروت - لبنان : ١ / ٢٣٨ - ينظر ، رسالة ماجستير المراه المعاصرة في فكر السيد محمد حسين فضل الله ، هبه على عباس المعموري ، جامعة بابل ، كلية العلوم الإسلامية : ٤٦ - ٤٧

٢ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١ / ٩١ ، ينظر : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٢ / ٢٨٠

فيرى عمل الشر في نتائج الشريرة ، كما يرى عمل الخير في النتائج الخيرة، لأن العمل يختزن في داخله ، فإذا شاهدها ، فكأنما شاهد العمل نفسه ، وليس المراد صورة العمل ^(١)

القول الراجح :

وقد أختار السيد فضل الله القول الثاني ، لأنه يرى أن المراد من حضور العمل يوم القيامة حضوره في الذهن من خلال عملية الإحصاء الدقيقة لهذا الكتاب ، وذلك من خلال تفسير القرآن بالقرآن ، قائلاً : ((بل يجد الإنسان حاضراً أمامه في عملية الإحصاء الدقيقة التي يتضمنها الكتاب ، وربما نستفيد هذا المعنى في قوله تعالى : لروضع الكتاب فتري المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف : ٤٩) ، فإن الظاهر أن المراد حضوره في الوعي من خلال تذكره ، وفي الحساب عندما يقف المرء ليحاسب عليه)) ^(٢)

المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة

أولاً : تعريف السنة لغة وأصطلاحاً :

السنة لغة : السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة ، والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنه سنا، إذا أرسلته إرسالاً، واشتق منه السنة، وهي السيرة. وسنة الرسول عليه السلام أي سيرته.

وانما سميت بذلك لأنها تجري جرياناً.

ومن ذلك قولهم : أمض على سننك وسننك. ^(٣)

سنة : الطريقة سار فيها، كأستسناها.

١ ينظر : تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م ، مطبعة أستار ، دار الكتب الإسلامية

، قم . أيران : ٢ / ٤٤ ، ينظر : من وحي القرآن : ٣ / ١١٢

٢ من وحي القرآن : ٣ / ١١٤

٣ (معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) : ٣ / ٦٠-٦١

ومن الله تعالى : حكمه، وأمره ونهيه. قال تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الكهف : ٥٥)، أي معاينة العذاب، وسننك الطريق، مثلثة وبضمتين : نهجه وجهته. وجاءت الرياح سناسن : على طريقه واحدة. (١)

السنة اصطلاحاً :

وردت عدة تعريفات في الكتب الحديثية وغيرها لمعنى السنة نذكر منها :

عُرِفَت السنة بأنها: ((هي نفس قول المعصوم أو فعله أو تقريره ، وبهذا المعنى ليس له إلا قسم واحد وهو الصحيح المصون عن الكذب والخطأ)) (٢) وهي : ((الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة، وسننك الله : حكمه في خليته، وسنة النبي صلى الله عليه و آله سلم : ما ينسب إليه من قول أو فعل أو تقرير.)) (٣)

وكذلك عُرِفَت السنة اصطلاحاً : ((هي مشترك بين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله سلم من قول، أو فعل أو تقرير، وبين ما واضب النبي صلى الله عليه وآله سلم عليه بلا وجوب، وهي نوعان سنة الهدى، ويقال لها السنة المؤكد كالأذان والإقامة، السنن والرواتب والأستشاق على رأيه وحكمه الواجب المطالبة في الدنيا إلا أن تاركه يعاقب وتركها لا يعاقب.)) (٤)

وأيضاً عُرِفَت معنى السنة : ((هي ما أثر عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قول، أو فعل أو تقرير، فمثال القول قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يحل لكم الحمار الأهلي، ومثال الفعل: ما وقع منه عليه الصلاة والسلام من الصلاة والصوم والحج، ومثال

١ (القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ): ٨١٥

٢ أصول احديث وأحكامه في علم الدراية ، جعفر السبحاني ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م ، دار جواد الأئمة ، بيروت . لبنان : ١٩

٣ (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ٤ ، ١٤٢٥-٢٠٠٤م، مكتبة الشروق، مصر - القاهرة : ٤٥٦

٤ (معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٧ هـ - ١٤١٣م) ، تحقيق : محمد صيق المنشاوي ، د ط ، د ت ، دار الفضيلة ، القاهرة . مصر : ١٠٥

تقريره عليه الصلاة والسلام سكوته على ما فعله أصحابه أو قالوه في حضرته أو غيبته، وبلغه (صلى الله عليه وآله وسلم) وسكت عنه. ((^(١))

ويتضح من هذه التعريفات : أن السنة كل ما أضيف الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من فعل أو قول أو تقرير وتبعاً لذلك ، فقد أئفق علماء التفسير على اعتبار السنة الشريفة هي المصدر الثاني بعد القرآن نفسه في التعريف مفاهيم القرآن الكريم، وشرح المقصود من آياته، وتوضيح ما خفي من مجملاته.

ثانياً : موقف المفسرين من تفسير القرآن بالسنة :

اتفق علماء التفسير على أن السنة الشريفة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في التعريف بمفاهيم القرآن ، والكشف عن معانيه ، وتوضيح ما خفي من مجملاته ، فلا يمكن الاستغناء عن السنة النبوية الشريفة في تفسير القرآن الكريم .

وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في مقدمة كتابه (التبيان) محددا موقفه النظري تجاه هذه المسألة : ((وأعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز ألا بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقوله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)).^(٢)

أما عن موقف السيد فضل الله من الرواية وموقعها من التفسير فينقسم الى ثلاث مواقف :

الأول: موقف أيجابي من الرواية يتعدى فيه السيد فضل الله من القبول الى وجوب الأخذ بالرواية وذلك في حالة:

١) مقدمة في أصول التفسير، صدر الدين القبنجي : ١٠٦ - ١٠٧

٢) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق : أحمد حبيب القصير وأحمد شوقي الأمين، ١٩٥٧م، المطبعة العلمية، العراق النجف الاشرف : ١ / ٤

٤) ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٥٧

١ . إذا كانت الآية غامضة في تحديد المراد الواقعي منها ، كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ (الأسراء : ٦٠) ، حيث أستعان السيد فضل الله في تحديد المراد من الرؤيا والشجرة ، بالرجوع الى الرواية ، تلك الرواية التي أفادها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى في المنام قروداً تصعد منبره وتنزل فسأه ذلك وغتم به ، وهو مما روى في طرق عديدة من السنة والشيعة ^(١)

فقد ذكر السيد فضل الله في ترجيح هذا التفسير برواية ومطابقتها مع الظاهر القرآني ، قال : ((وبذلك يكون التفسير الثالث أقرب الى الذهن والى جو الآية من خلال ما توحى به كلمة الإحاطة من الانفتاح على الأجواء المستقبلية المتصلة بحركة الإسلام في المستقبل في ما يريد الله أن يعرف به رسوله)) ^(٢)

الثاني : وهو موقف يمكن وصفه بالاستئناس بالرواية في تفسير الآيات القرآنية في محاولة من المفسر لتأكيد أستنتاجاته ودعم أستظهاره ، وربما يبدو ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٠٠)

حيث وردت الرواية في سبب نزول الآية أن يهودياً كان شيخاً في الجاهلية حاول ألقاء الخلاف بين الأوس والخزرج في محاولة منه للتذكير بالحروب القديمة بين القبيلتين ^(٣)

وقد رجح السيد فضل الله أن تكون الآية قريبة في ظاهرها من الرواية المشار إليها التي لاتبتعد الآية في جوها عن المضمون الذي اشتملت عليه الرواية ^(٤)

الثالث : وهو موقف الرفض ، حيث سجل السيد فضل الله رفضه لعدد كبير من الروايات ، لعدة أمور منها :

١ (ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٥٧)

٢ (المصدر نفسه : ١١ / ١٦١)

٣ (ينظر : المصدر السابق : ٣ / ٣٠٢ . ٣٠٣)

٤ (ينظر : المصدر السابق : ٣ / ٣٠٣)

١ . مخالفتها السياق الذي عليه الآيات ، حيث تبدو الرواية بعيدة عن الجو الذي تتصدى له الآيات الكريمة ، وبهذا نشير إلى موقف السيد فضل الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ (المائدة : ١١) إذا وردت روايات تفسر الآية في اعتداء كان يستهدف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد رد السيد فضل الله هذه الروايات لمخالفتها السياق فكتب : ((ونلاحظ أن سياق الآية وارد في التحديات التي كانت تواجه المسلمين جميعاً في محاولات الأعداء بالهجوم عليهم ، بينما تتحدث الروايات عن محاولة العدوان على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده ، مما يفرض أن يكون الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما في سورة الأنفال : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ (الأنفال: ٣٠) ^(١)

أما السيد الطباطبائي فإنه يعتمد على السنة حين تفيد القطع وأما أخبار الآحاد فأنها تكون حجة في الأخبار العملية ^(٢) وأيضاً هذا رأي الشيعة في أخبار الآحاد. ^(٣)

وهذا ما يؤيده ما ذكره المفسر في تفسيره حيث قال : (وأما أخبار الآحاد لا تكون حجة إلا إذا كانت محفوفة القرائن المفيدة للعلم أعني الوثوق التام الشخصي سواء كانت في أصول الدين أو التأريخ أو الفضائل أو غيرها إلا في الفقه فإن الوثوق النوعي كاف في حجية الرواية، كل ذلك بعدم مخالفة الكتاب. ^(٤)

وأن السيد الطباطبائي كثيراً ما يستعين بالروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأئمة عليهم السلام في بيان المعنى المراد من الآية.

١ (من وحي القرآن : ٥ / ٨٢

٢ (الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان ، علي الأوسي، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، سبهر ، طهران - إيران : ٥٢

٣ (الأصول العامة للفقه المقارن ، محمد تقي الحكيم، ط١ ، ١٩٦٣ م ، بيروت لبنان : ٢٠٥

٤ (الميزان في تفسير القرآن ، العلامة محمد حسين الطباطبائي : ٨ / ١٤١

ويؤيد هذا ما ذكره المفسر في بيان منهجه التفسيري : (الاستعانة الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة عليهم السلام في تأييد المعنى المستفيد من الآيه، أو بمعنى أصح عرض الروايات على الآيات وأثبت مضامين الروايات وذلك عن طريق تأييد الآيات لما جاء في مضمون تلك الروايات من دون التعرض لأسانيد تلك الروايات بعدما تبي لنا مطابقة مضمونها لنص القرآن)^(١)

أما رأي السيد الخوئي رحمه الله في هذه المسألة.

حيث يبدو من كلامه أن القرآن الكريم مستقل في مداليله، وأن بعضه يفسر بعضه الآخر، وأما الخبر الوارد عن أهل البيت (عليهم السلام) سوى مرشداً إلى هذه الاستفادة من ضم الآية إلى أختها. وهذا ما يؤيده قوله : ((وسيجد القاريء أيضاً أنني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، وأسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروى مرشداً إلى هذه الاستفادة))^(٢).

أما موقف السيد محمد حسين فضل الله ، فإنه لا يبتعد عن موقف الشيخ الطوسي وموقف السيد الطباطبائي، بل حتى الموقف العام للمدرسة الشيعية.

وهذا ما يؤيده قوله ((وقد تكون الخطورة في هذه المسألة، أن الخلل في المسائل والعقيدية، والمفاهيم العامة هو في الصورة التي تقدمها للأسلام، أكثر مما يؤدي إليه الخلل في الأحكام الشرعية التي تصل ببعض جوانب السلوك الفردي والاجتماعي في دائرة خاصة، ولعل إهمال هذا الجانب، هو الذي أوقعنا في فوضى المفاهيم المتنوعة المتصلة بالكثير من قضايا العقيدة في تفاصيلها، وقضايا الكون والحياة، من خلال الأحاديث الكثيرة التي لم تخضع لتقويم علمي في صحتها وضعها في قاعدته العامة))^(٣).

^١ (هذا القول مأخوذ من رسالة بريدية بعثها السيد الطباطبائي إملأ إلى أحد طلابه في قم في صفر ١٣٩٨ هـ ، ينظر : الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان ، علي الأوسي : ١٥٢)

^٢ (البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (ت) : ١٣)

^٣ (من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله : ١ / ١١)

وأيضاً قال في تفسيره (من وحي القرآن) في طبعته الأولى القديمة حيث قال : ((..وعلى أي حال فهي أخبار آحاد تقوم بها حجة في التفسير لأن حجية الخبر الواحد، فيما لم يعد القطع والأطمئنان لا تعني إلا ترتيب الأثر الشرعي على مضمونه فيما كان له أثر شرعي.. أما الأمور التي تتضمن أخباراً عن قضايا كونية في السماء أو في الأرض أو عن أحداث تاريخية فلا مجال للأعتماد على الخبر الواحد فيها بنفسه، بل يتبع القطع أو الأطمئنان من باب حجبتها في ذاتها بعيدة عن الخبر)).^(١)

وأن السيد محمد حسين فضل الله يريد أن لا تفرض هذه الروايات هيمنتها على القرآن الكريم حيث جعل القرآن الكريم هو الأصل الذي يرجع إليه حيث يقول في هذه المسألة : (لأننا نخشى ان تفرض هذه الروايات بما فيها من التطورات نفسها على المفهومات القرآنية لا تبتعد عن صفاء الفكرة أشراق الصورة وأنفتاح التصور)).^(٢)

ويؤكد السيد محمد حسين فضل الله على التمييز الدقيق في الروايات التفسيرية، ويقول في هذه المسألة : ((ضرورة التأكد من صحة الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من حيث السند والمتن)).^(٣)

وقد افاد السيد فضل الله الكثير مما ورد في الأثر المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) في ترجيحاته التفسيرية نذكر منها :

قال تعالى { فأقم وجهك للدين حنيفاً ذلك الدين القيم فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون } (الروم : ٣٠)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من لفظ (الدين) على النحو الآتي :
الاول : المراد من الدين السنن والقوانين العملية ، وهذا ما ذكره السيد الطباطبائي في تفسيره ،
قائلاً : ((هو الأصول العلمية والسنن والقوانين العملية التي تضمن باتخاذها والعمل سعادة

١ (من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ط ١، دت، دار الزهراء، بيروت لبنان : ١٥ / ١٥٧)

٢ (المصدر نفسه : ٧ / ٣٣٦)

٣ (المصدر السابق : ١ / ١٠)

الإنسان الحقيقة ، لأن ذلك من اقتضاء لخلق الإنسانية وينطبق التشريع على الفطرة والتكوين))^(١)

الثاني : المراد من الدين هو التوحيد الذي يمثل القاعدة التي انطلقت منها الرسالات ، لتؤكد كحقيقة إيمانية التي تربط الحياة كلها بالله ، في مواجهة الشرك ^(٢)

وقد رجح السيد فضل القول الثاني لأنه هذا ما توحى به الآية وما بعدها ، وما تدل عليه الآيات المتفرقة في أكثر من سورة ، وما جاء في الحديث عن ملة إبراهيم حنيفاً ، وما تؤكد الآيات المتحدثة عن دعوة الأنبياء التي تلتقي مع هذه الآية في الجو

وهذا ماتؤكد الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و أهل البيت (عليهم السلام) ، كما جاء في الحديث المروي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : { فطرت الله التي فطر الناس عليها } ، قال : دين الله ^(٣) ،

المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

أولاً : تعريف الصحابة في اللغة والأصطلاح :

الصحابة في اللغة :

قال ابن فارس : ((صحب : الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقارنته ، من ذلك صاحب والجمع الصحب ، ومن باب : أصحب فلان : إذا أنقاد ، وأصحب الرجل إذا بلغ أبنه ، وكل شيء لاعم شيئاً فقد أستصحبه)) ^(٤)

وكذلك عرفت الصحابة : ((مفردا صحابي وهي لفظة مأخوذة من الصحبة ، وهي بمعنى الملازمة والمعاشرة والمرافقة ، يقال تصاحب الرجل أي ترافقا ، وأستصحبه أي لازمه))^(١)

^١ (الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١٩٣)

^٢ (ينظر : من وحي القرآن : ١٤ / ٣٢٨)

^٣ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي : ٥ / ١٥٥)

^٤ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ٣٣٥)

الصحابي في الاصطلاح :

عرفه الحافظ بقوله ((الصحابي هو من لقي النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم)) وسلم مؤمناً به ، ومات على الإسلام ^(٢) ، وقيل : عند المحدثين : وإن لم تطل صحبته)) ^(٣)

وبهذا لا يبتعد المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي في معنى الصحابي ، فكلاهما يدل على الملازمة والمقاربة .

ثانياً : موقف المفسرين من تفسير القرآن بقول الصحابي :

يعد تفسير الصحابي أحد المصادر المعتبرة في تفسير القرآن الكريم ، أما لمصاحبتهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو لما شاهدوه من القرائن والأحوال وقت نزول القرآن وفي هذا المقام ، يقول الحافظ أبن كثير في مقدمة تفسيره ((وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح)) ^(٤)

فقد كان كبار الصحابة يتشددون في قبول الأخبار ، ويتقون الرواية عن النبي ويهابونها بل كانوا يرغبون عنها ، إذ كانوا يعلمون أنهم لا يستطيعون أن يؤدوا كل ما سمعوه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على وجه الصحيح لأن الذاكرة لا يمكن أن تضبط كل ما تسمعه، وما تحفظه مما تسمعه ، ولم يرضوا بما رضي به بعضهم ومن جاء بعدهم من رواة

١ (لسان العرب : ابن منصور ، مادة صحب

٢ (تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ . ٧٠٠) ، تحقيق : سامي بن محمد السلامه ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ . ١٩٩٩ م ، دار طيبة للنشر ، السعودية . الرياض : ج ٣ . ١ ينظر : التعريف بالقرآن الحديث ، محمد الزفراق ، ط ١ ، د ت ، المكتبة العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٩٠٠ ، قواعد تفسير القرآن ، خالد السبت : ١٥٨

٣ (قاموس مصطلحات الحديث النبوي ، محمد صديق المنشاوي ، د ط ، د ت ، دار الفضيلة ، القاهرة . مصر : ٧٢

٤ (تفسير القرآن العظيم ، أبن كثير (ت ٧٤٧ . ٧٠٠ هـ) : ١ / ٣

الحديث (بالمعنى) لأنهم يعلمون أن تغيير اللفظ يغير المعنى في الغالب ، وكلام الرسول ليس كغيره من الكلام ، إذ كل لفظ من كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) يكمن وراءها معنى خاص يقصده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل ذلك كان الصحابة يتشددون في قبول الأخبار من أخوانهم في الصحبة مهما بلغت درجاتهم ، ويحتاطون في ذلك أشد الاحتياط .^(١)

أما عند علماء الإمامية فأن تفسير الصحابي ، إذا لم يؤخذ من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فحكمه الوقف ، والموقوف ما يروى عن الصحابة ولا يتجاوز به إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)

أما حكم تفسير الصحابي عند الجمهور ، فحكمه الرفع ، فقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣ . ٨٥٣ هـ) : ((والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي (رضي الله عنه) إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا منقولاً عن لسان العرب ، فحكمه الرفع ، وإلا فلا ، كالأخبار عن الأمور الماضية من بدء الخليقة ، وقصص الأنبياء وعن الأمور الآتية ، كالملاحم والفتن ، والبعث ووصف الجنة والنار ، والأخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص ، أو عقاب مخصوص ، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع))^(٣)

أما إذا كان متعلقاً بحكم شرعي فحكمه القطع وهذا باتفاق جل العلماء الأمة كما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني : ((وأما إذا فسر آية تتعلق بحكم شرعي ، فيحتمل أن يكون ذلك مستقداً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن القواعد ، فلا يجزم برفعه ، وكذا إذا فسر مفرداً ، فهذا نقل عن اللسان خاصة ، فلا يجزم برفعه ، وهذا التحري الذي حررناه هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة ، كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي ، وأبي جعفر الطبري ، وأبي جعفر الطحاوي ، وأبي بكر بن مردويه في تفسيره المسند ، والبيهقي ، وابن عبد البر ، وآخرين ، إلا أنه يستثنى من ذلك ما كان المفسر له من الصحابة (رضي الله عنهم) من عرف

١ (أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو ريه ، ط ٦ ، دت ، دار المعارف ، القاهرة . مصر : ٣٠

٢ (ينظر : التفسير والمفسرون ، فاطمه محمد مارديني : ٧٥

٣ (النكت على ابن صلاح ، للحافظ أبْن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣ . ٨٥٣) ، تحقيق ودراسة لنيل درجة الدكتوراه

: ربيع بن هادي عمير ، ١٤٠٠ هـ ، جامعة الملك بن عبد العزيز ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية : ٢ / ٥٣١

بالنظر في الأسرائيليات ... فمثل هذا لا يكون حكم ما يخبر به من الأمور التي قدمنا ذكرها بالرفع ، لقوة الاحتمال والله العالم))^(١)

ومن خلال هذا يتبين : أن المتفق عليه عند المفسرين من الجمهور إن تفسير الصحابي فله حكم المرفوع فلا يجوز رده اتفاقاً بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه الى غيره

وهذا ما يؤيده قول الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره ((وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح))^(٢)

إذا كان الحديث صادر عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) أو عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يحتل مكانة قيمة وهو مثل القرآن الكريم يعد من مصادر فهم الدين ، وأما عند أهل السنة فإن حديث الصحابة والتابعين أيضاً معتبر .^(٣)

وفي تدريب الراوي أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل ، فهو عند الشيخين البخاري ومسلم حيث مسند وفي مسألة حجية تفسير الصحابي عند مفسري الأمامية ، فتأتي حجيته حسب موافقته لكتاب الله تعالى ، فإذا كان موافقاً لكتاب الله أخذ به ، وإذا لم يوافق كتاب الله تعالى يُرد (٥) ، يقول الدكتور محمد حسين الصغير (رحمه الله) ((تأتي حجية هؤلاء في التفسير بعد النبي وآله ، فما كان موافقاً لكتاب الله وسنة نبيه أخذ من قوليهما ، وأقوال أخيارهم، وما كان مجانباً لهما ضرب به عرض الحائط وهذا لا يقدح بمنزلتهما ، وإنما يرد الى سند الرواية عنهما ، أو الالتباس الذهني الذي يقع فيه غير المعصوم .))^(٤)

وهذا الرأي لا يبتعد كثيراً عن رأي السيد محمد حسين فضل الله ، حيث يؤكد السيد محمد حسين فضل الله على دراسة الرواية من خلال السند والمتن ، ولا يمكن قبول الأخبار الروايات

١ (النكت ، ابن صلاح العسقلاني : ٢ / ٥٣٢ . ٥٣٣

٢ (تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (ت ٧٤٧ . ٧٠٠ هـ) : ١ / ٣

٣ (تاريخ الحديث ، رضا مؤدب ، تعريب : عبد الكريم حيدري ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ ، أميران ، إيران . قم : ٣٢

٤ (المبادئ العامة لتفسير القرآن ، محمد حسين الصغير : ٩٦

لمجرد كون روايتها من الثقات ، وذلك لكثرة الدخيل على أخبارهم ومحاولات الوضاعين في تشويه تراثهم من خلال دس الموضوع في أخبارهم .

وفي هذا الموضوع كتب السيد فضل الله ((ولهذا لا بد من دراسة مضمون السند ، كما لا بد من دراسة السند الذي يثبت صدق مصدر النص ، بعيداً عن كل الأجواء التي تثيرها فينا شخصية الأشخاص الذين ينقلون لنا التراث)) ^(١) ، ولذلك لا يمكن من وجهة نظر السيد فضل الله الاكتفاء بدراسة السند ، بل أيضاً دراسة المتن ، لأن هذه الروايات تتصل بعمق المفاهيم الأسلاميه . ^(٢) وبهذا نرى السيد فضل الله يولي أهمية كبيرة بدراسة الروايات التفسيرية من حيث السند والمتن والتدقيق فيها مهما كانت شخصية الراوي ، أما رؤيته تنصب في قبول الحديث من حيث موافقته للقرآن الكريم والسنة القطعية ، ومهما كان من أمر ، فإن المعيار في قبول الروايات التفسيرية عند السيد فضل الله هو القرآن الكريم .

حيث كتب السيد فضل الله في هذا الصدد ((إن الأهتمام بالقرآن يعمل على صنع الذهنية القرآنية الصافية التي نستطيع من خلالها أن نكشف زيف الأحاديث الموضوعة من خلال اكتشاف زيف المفاهيم التي عالجتها)) ^(٣)

وقد أفاد السيد فضل الله الكثير من تفسيرات الصحابة في تفسير وترجيحاته بين أقوال المفسرين نذكر منها :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) ، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من شهود الشهر

١ (من وحي القرآن ، ١٦ / ٢٥٤)

٢ (المصدر نفسه ، ١٦ / ٢٥٦)

٣ (المصدر السابق : ١ / ٢٤)

على النحو الآتي : الأول : المراد بشهود الشهر رؤية الهلال ، لتكون الآية دالة على أن الصوم مشروط برؤية الهلال ^(١)

الثاني : وقيل : إن المراد من شهود الشهر حضور البلد ، أي من شهد منكم المصر وحضر ولم يغيب في الشهر ^(٢)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، وقد أستدل بذلك مما ورد من تفسيرات الصحابة ، قائلاً: ((روي عن ابن عباس ومجاهد ، أنهم قالوا : " من شهد الشهر ، بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر ، فعليه أن يصوم الشهر كله " وهذا دليل على أن المراد به الحضور في البلد)) ^(٣)

المطلب الرابع : تفسير القرآن بأقوال أهل البيت (ع)

تعريف أهل البيت لغة وأصطلاحاً :

تعريف (الآل) و (الأهل) و (البيت) في اللغة :

قال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) : ((آل الرجل : أهله وعياله ، وآله أيضاً : أتباعه)) ^(٤)
وقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ((وآل الرجل أهل بيته ... لأنه يميل إليه مآلهم وإليهم مآله وهذا معنى قولهم يا آل فلان)) ^(٥)

١) ينظر : أحكام القرآن ، أبي بكر علي الرازي الجصاص ت ٣٧٠ هـ ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ١ / ٢٢٩ ، ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد قصير حبيب العاملي ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان : ٢ / ١٢٣ ، ينظر : أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي ت ٤٦٨ . ٥٤٣ هـ ، خرج أحاديثه : محمد عبد القادر عطا ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ١ / ١١٧

٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٢ / ١٣

٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٣ / ١٩٣ ، من وحي القرآن : ٢ / ٧٨

٤) الصحاح ، أسماعيل بن حمادة الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان : ج ١ . ١٨٨

٥) معجم مقاييس اللغة ، لأبن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ١ / ١٦٠

وأما معنى الأهل :

وقال ابن سيده : ((أهل الرجل عشيرته وذوو قرياه))^(١)

فقال :الخليل بن أحمد الفراهيدي : ((أهل الرجل زوجته ، وأخص الناس به ، والتأهل التزوج . وأهل البيت : سكانه .وأهل الأسلام : من يدين به ، ومن هذا يقال : فلان أهل كذا أو كذا ، قال تعالى : ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ (المدثر : ٥٦) جاء في التفسير أنه جل وعز أهل لأن يتقى فلا يعصى ،وهو أهل لمغفرة من أتقاه))^(٢)

إذاً فلفظ الآل والأهل تطلقان على معانٍ مشتركة ، ومن ذلك أنهما تطلقان على الزوجة والعيال .

وأما البيت قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ((الباء والياء والتاء أصل واحد ، وهو المأوى والمآب ، ومجمع الألفاظ والحروف والمعاني على شرط مخصوص وهو الوزن))^(٣)

ثم قال : ((البيت عيال الرجل ،والذي يبيت عندهم))^(٤)

وقال ابن منصور : ((بيت العرب شرفها ، والجمع بيوت))^(٥)

وأخيراً فإن مجرد اطلاق لفظة أهل البيت ، أو آل البيت فينصرف الى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما قال الرغب الأصفهاني : ((وصار أهل البيت متعارفاً في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)))^(٦)

١ (المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن أسماعيل المرسى أبو الحسن (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان : ١٠ / ٥١٠

٢ (لسان العرب ، لأبن منصور : ١١ / ٢٨ . ٢٩

٣ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ١ / ٣٢٤

٤ (المصدر نفسه : ٢ / ١٥

٥ (لسان العرب ، لأبن منصور (ت: ٢ / ١٥

٦ (المفردات في غريب القرآن : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلائي ، د ط ، د ت ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان : ٦٤

أما أهل البيت فقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب : ٣٣)

تعريف أهل البيت في الاصطلاح :

أما المراد بأهل البيت (عليهم السلام) فقد اختلف المفسرون في المراد منهم :

أولاً : إن المراد بأهل البيت هن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة .^(١)

قال القرطبي : ((وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعله تعالى : ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ (الأحزاب : ٣٤)^(٢)

وأستدلوا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، وقد قال الله تعالى قبلها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ ﴾ (الأحزاب : ٣٣) إلى قوله تعالى بعدها : ﴿اذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ (الأحزاب : ٣٤) .

فالخطاب لهن في الآيات كما هو الظاهر ، فدل ذلك على أنهن أهل البيت خاصة .^(٣)

(١) ينظر: تفسير القرآن ، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٢٦ . ٤٨٩ هـ) ، تحقيق : أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، دار الوطن ، السعودية . الرياض : ٤ / ٢٨٠ ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، حققه : محمد عبدالله النمر . عثمان جمعه . سليمان مسلم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩ م ، دار طيبة ، الرياض . السعودية : ٦ / ٣٥٠ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق لبن عطية (ت ٥١٤ هـ) ، تحقيق : المجلس العلمي ، د ط ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م ، دار أبين حزم ، الرياض : ١٣ / ٧٢ ، زاد المسير في علم التفسير ، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٠٨ . ٥٩٧ هـ) ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت . لبنان : ٦ / ٣٨١ ، الجامع الأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، صححه : هشام سمير البخاري : ١٤١ . ١٨٢ ، فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، حققه : عبد الرحمن عميرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م ، دار الخير ، بيروت . لبنان : ٤ / ٣٦٧

(٢) الجامع الأحكام القرآن ، القرطبي (ت ٤٢٦ . ٤٨٩ م) : ١٤ / ١٨٢

(٣) تفسير البغوي : ٦ / ٣٥٠

ثانياً : إن المراد بأهل البيت هم أصحاب الكساء خاصة وهم : علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ^(١)

ونسب هذا القول إلى أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) وقد روي عنه أنه قال :
نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب : ٣٣)
في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)
إلا أنهم يدخلون معهم باقي الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ^(٢)

ويقول الشيخ الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان : ((واستدل الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (عليهم السلام) بأن قالوا : ((إن لفظة (إنما) محققة لما ثبت بعدها ، نافية لما لم يثبت، فإن قول القائل : إنما لك عندي درهم ، وإنما في الدار زيد، يقتضي أنه عندي سوى الدرهم ، وليس في الدار سوى زيد ، وإذا تقرر هذا فلا تخلوا الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس ولا يجوز الوجه الأول ، لأن الله تعالى أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت ، دون سائر الخلق ، ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ، ولا مدح في الإرادة المجردة ، فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت العصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح ، وقد علمنا أن من عدى من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم)) ^(٣) وهذا قول عامة الإمامية الاثني عشر . ^(٤)

واستدلوا بمرويات أحاديث الكساء ، فقد روي الترمذي بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لما نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

١ (ينظر : المحرر الوجيز : ١٣ . ٧٢ ، زاد المسير : ٦ / ٣٨١ ،

٢ (مجمع البيان، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م ، دار العلوم ، بيروت . لبنان : ج ٨ . ٢٢٧ ، تفسير القرآن ، للسمعاني (ت ٤٢٦ . ٤٨٩ هـ) : ٨ / ١١٩ . ١٢٠

٣ (مجمع البيان ، للطبرسي : ٨ / ١٢٠

٤ (المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيميه ، القاهرة . مصر : ٣ / ٥٦ ، حديث (٢٦٧٣)

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب : ٣٣) في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً وعلي خلف ظهره ، فجلبهم بكساء ثم قال : ((اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)) قالت أم سلمة : وأنا معهم يانبي الله ؟ قال : ((أنت على مكانك ، وأنت على خير)) .^(١)

ويقول السيد فضل الله ((وقد يبتعد الرأي الأول ، أن الاختصاص ووحدة السياق يفرضان أن يكون التعبير الخطابي بكلمة ((عنكن)) لا بكلمة ((عنكم))))^(٢)

إضافة على إن هذا المصطلح أصبح متعارفاً عند جميع المسلمين وهو مصطلح خاص بـ (علي وفاطمة والأئمة من بعدهم (عليهم السلام)) ، وهذا ما يؤيده قول السيد فضل الله ((ولعل كلمة أهل البيت تحولت إلى مصطلح خاص بهؤلاء الأشخاص على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولسان المسلمين من بعده ، حتى أصبحت تتصرف إليهم بشكل سريع من دون التباس ، حتى أنها لا تشمل بقية أقرائه مع شمول الكلمة لهم بحسب العرف العام))^(٣)

بعد ثبوت نزول الآية في أهل البيت (عليهم السلام) أنه تثبت حجية سنتهم بل عصمتهم والله طهرهم من الرجس ، ومن كان معصوماً من الرجس تكون جميع أقواله وأفعاله مطابقة لأحكام الشريعة ، فتكون كاشفة عن الحكم الشرعي.^(٤) ، وبذلك يكون تفسير المعصوم حجة.

١ (سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الفكر : ٥ / ٣٢٨ ، حديث (٣٢٠٦)

٢ (من وحي القرآن : ١٨ / ٣٠١

٣ (المصدر نفسه : ١٨ / ٣٠١

٤ (المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم ، هدى جاسم أبو طبره ، ط ٢ ، ١٣٢٧ هـ ، مؤسسة بوستان ، قم . إيران :

ثانياً : لمحة عن تفسير القرآن بأقوال أهل البيت (ع) :

يعد تفسير القرآن بأقوال أهل البيت (عليهم السلام) من المصادر الموثوقة الذي يعتبر قولهم حجة في التفسير ، إذا كان موافقاً لكتاب الله ، فهم يعدون مهبط الوحي ومعدن الرسالة ، وقربهم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن العترة الطاهرة الى جانب كتاب الله العزيز وجعلها خلفها الباقي في أمته ، وعبر عنهما بالثقلين .^(١) ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترة أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا))^(٢).

وكان الدور الذي قام به أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم ، هو دور تربية وتعليم ، وإرشاد إلى معالم التفسير ، فقد كانت تفاسيرهم للقرآن الكريم المأثورة عنهم (عليهم السلام) تفاسير نموذجية ، كانوا قد عرضوها على الأمة وعلى العلماء لكي يتعرفوا الى أساليب التفسير المعتمدة على أصول متينة وقواعد رصينة ، وهذا أنما يدل على حرصهم الشديد على تعليم هذه الأمة كيف يفسرون القرآن الكريم ، وأيقافهم على نكت وطرف من هذا الكلام البارع ، نعم كانوا (عليهم السلام) ورثة القرآن العظيم ، وحملته الى الناس ، في أمانة صادقة وأداء وأيفاء كريم .^(٣)

فكلام أهل البيت (عليهم السلام) يعتبر حجة ، وكيف لا يكون حجة وهم الذين ثبتت عصمتهم في القرآن الكريم من الأقوال والأفعال ، إضافة إلى ذلك وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بهم إلى جانب القرآن الكريم ، ولكن أهل البيت (عليهم السلام) جعلوا القرآن الكريم وسنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هما الأساس في التفسير وأن

١ (التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة : ١ / ٤٢٧

٢ (ينظر ، صحيح مسلم ، أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ت ٢٠٦ . ٢٦١ هـ ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ . ١٩٩١ م ، دار الحديث ، القاهرة : ٧ / ١٢٣ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي (ع) ، الصواعق المحرقة : ١٣٦ باب وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن أهل البيت (ع) ، سنن الدرامي ، أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصم ت ٢٥٥ هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد الدازاني ، ط ١ ، د ت ، دار المفتي للنشر والتوزيع ، السعودية : ٢ / ٤٣٣ ، كنز العمال : ١ / ٣٨١ رقم الحديث ٦٥٧

٣ (التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفه : ١ / ٤٣٧

تعرض أقوالهم على القرآن الكريم وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فما وافق أخذ به وما لم يوافق القرآن يعرض عنه ، وهذا ما يؤيده قول الإمام الصادق (عليه السلام)، عن كليب الأسدي ، قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول ((ما أتاكم عنا من حديث لا يصدق كتاب الله فهو باطل)) (١)

وقد ذكر الشيخ أمين العاملي الذي ذكر أحاديث الثقلين التي رواها أجل العلماء ، دلت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) من الذنوب والخطأ ، لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته ، والتمسك بهم كالتمسك بالقرآن ، ولو وقع الخطأ منهم لما صح الأمر بالتمسك بهم الذي هو عبارة عن جعل أقوالهم وأفعالهم حجة ، ولو لم يكونوا معصومين لكان في أتباعهم الضلال ، وفي أنهم حبل ممدود من السماء الى الأرض كالقرآن ، وهو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، وأن أقوالهم عن الله تعالى ، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك ، وفي أنهم لن يفارقوا القرآن ولا يفارقهم مدة عمر الدنيا ، ولو أنهم أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم (٢)

وأنه لا يمكن الاستغناء عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم وفي هذا الأمر يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : ((وأعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعن الأئمة (عليهم السلام) الذين قولهم حجة كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم))) (٣)

١ (البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني ، حققه لجنة من العلماء ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان : ١ / ٧٣ ، تفسير العياشي ، أبي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان : ١ / ٢٠

٢ (أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) ، تحقيق : حسن الأمين ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، دار التعارف ، بيروت . لبنان : ١ / ٣٧٠

٣ (التبيان في تفسير القرآن ، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : ١ / ٣

وأيضاً في هذه المسألة يقول السيد الطباطبائي في تفسيره : ((المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية ، وذلك بالتدرب بالأثار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود ... وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لن (يفترقا) يجعل الحجية لهما معاً ، فللقرآن الدلالة على معانيه والكشف عن المعارف الإلهية ، ولأهل البيت الدلالة على الطريق وهداية الناس الى أغراضه ومقاصده)) (١)

وخلاصة ما تقدم بعد أن ثبت عصمة أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإن أقوالهم وأفعالهم تُعد حجة في التفسير كاشفة عن مراد الله تعالى ، ولكن بشرط أن تعرض على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإن وافقتهما أخذ بها وإن لم توافقهما ضرب بها عرض الحائط ، وهذا ما يؤكد قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، روي عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبة بمنى أو بمكة : يا أيها الناس ما جاءكم عني يوافق القرآن فأنا قلته وما جاءكم عني لا يوافق القرآن فلم أقله)) (٢)

أما عن منهج السيد فضل الله في الأخذ بمرويات أهل البيت (عليهم السلام) فكان يعرضها على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإن وافقتهما أخذ بها وإن لم توافقهما لا يؤخذ بها ، وفي هذه المسألة يقول السيد فضل الله : ((أن وثاقة الأحاديث المنقولة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يتأتى من عرضها على الكتاب والسنة القطعية الموثوقة فما وافقهما كان مقبولاً ، وما خالفهما كان مردوداً)) (٣)

وقد أفاد السيد فضل الله الكثير من تفاسير أهل البيت في تفسيره ، منها في تفسير قوله تعالى ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ (الفرقان : ٧٣)

١ (الميزان في تفسير القرآن ، العلامة محمد حسين الطباطبائي ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان : ٣ / ٨٧

٢ (تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي : ١ / ١٩

(١) من وحي القرآن : ١٦ / ٢٥٦

اعتمد السيد فضل الله في بيان معنى الزور على رواية عن الإمام الصادق (ع) ،
 فيقول السيد فضل الله : ((وقد يراد منه اللهو الباطل كالغناء ونحوه ، مما جاءت به الأحاديث
 المأثورة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد جاء في الكافي عن أبي عبد الله جعفر
 الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قال : الغناء .. فيكون
 المعنى ، والذين لا يحضرون الزور ، أي مجالس الباطل)) ^(١)

وكذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴾ (الأسراء : ٨٥) ، حيث يقول السيد فضل الله في بيان معنى الآية : ((لكن لا مانع
 من أن يكون منطلقاً بلحاظ سر الحياة الذين لا يملكون إلى معرفته ، لا بلحاظ المعنى المقابل
 للمادة ، بالنظرة الفلسفية . ويؤيد ذلك ما جاء في بحار الأنوار عن أبي بصير عن الإمام الباقر
 أو الإمام الصادق (عليهما السلام) قال : التي في الدواب والناس ، قلت وما هي ؟ قال : هي
 من الملكوت ، من القدرة)) ^(٢)

المطلب الخامس : تفسير القرآن بقول التابعي :

أولاً : تعريف التابعي في لغة والاصطلاح :

قال : (ابن فارس) : تبع : التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء
 وهو التلو والقفو ، يقال تبعته فلاناً إذا تلوته وأتبعته وأتبعته إذا لحقته والأصل واحد)) ^(٣)
 وأيضاً عرف التابعون في اللغة : ((جمع تابع ، يقال تبع الشيء أي في أثره ، وتبعه : مشى
 خلفه ، وانقاد إليه ، والتابع هو التالي .)) ^(٤)

١ (المصدر نفسه : ١٧ / ٧٩)

٢ (المصدر السابق : ١٤ / ٢٢٢ . ٢٢٣)

٣ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ١ / ٣٦٢)

٤ (لسان العرب ، ابن منظور . مادة . تبع)

أما في الاصطلاح :

فيطلق لفظ التابعي نسبة الى التابع : ((ويراد به كل من لم يدرك العصر النبوي ولقي أحد الصحابة وروى عنه ومات على الإسلام ، وقد يكون سبب تسمية التابعي بهذا الاسم هو قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ (التوبة : ١٠٠) أما السابقون من المهاجرين والأنصار فهم من الصحابة دون أدنى ريب ، كقوله تعالى ﴿ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ (الجمعة : ٣) ، وعليه عد من حسنت سيرته من التابعين مصداق لهذه الآية الكريمة .))^(١)

التابعي : ((وهو من صحب الصحابي أو من لقي الصحابي))^(٢)

ثانياً : موقف المفسرين من أقوال التابعين :

إذا لم تجد التفسير في القرآن الكريم ولا في السنة ولا عند الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ، فتذكر أقوالهم في الآية ، فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك ، فإن منهم من يعبر عن الشيء بـلـازمه أو نظيره ، ومنهم من ينص عن الشيء بعينه .^(٣)

وأخذ الكثير من التابعين تفسيراتهم من الصحابة ، كما قال محمد بن إسحاق : حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال : ((عرضت المصاحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها))^(٤) .

١ (المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم ، هدى جاسم أبو طبره : ١٢٦)

٢ (قواعد التفسير ، خالد السبت : ١٨٨ ، ينظر : حاشية مقدمة التفسير ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي

(ت ١٣١٢ . ١٣٩٢ هـ) ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م ، د م ، د ب : ١١١)

٣ (ينظر : خلاصة مقدمة في أصول التفسير ، صالح بن عبدالله بن حمد : ٢٠)

٤ (تفسير الطبري : محمد بن جرير الطبري (ت ٢٢٤ . ٣١٠ هـ) : ١ / ٩٠)

وأيضاً عن عثمان المكي عن ابن أبي مُليكة قال : ((رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه ألواح ، فيقول له ابن عباس : اكتب حتى سأله عن التفسير كله))^(١)

أما من حيث الحجية فتفسير التابعي أما أن يكون مأثوراً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو عن صحابته الأخيار أو لا فإن كان مأثوراً عن النبي يأخذ حكم تفسير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكذلك إن كان مأثوراً عن الصحابة .^(٢)

وإن لم يكن مأثوراً عن النبي ، ولا عن الصحابة فقد اختلف العلماء في الرجوع إليه :

ذهب بعض العلماء : أنه لا يؤخذ بتفسير التابعي ، وأستدل أصحاب هذا الرأي على ما ذهبوا إليه : بأن التابعين ليس لهم سماع على ما ذهبوا إليه : بأن التابعين ليس لهم سماع من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلا يمكن الحمل كما قيل في تفسير الصحابي : أنه محمول على سماعه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبأنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن ، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً ، ومع ذلك فعدالة الراوي غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابة^(٣)

وهذا ما يؤيده كلام أبي حنيفة أنه قال : ((ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة تخيرنا ، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال)) وقد ذهب أكثر المفسرين : إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير ، لأن التابعي تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة^(٤) ، وما يؤيد هذه المسألة قول مجاهد أنه قال : ((عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها))^(٥)

١ (المصدر نفسه : ١ / ٩٠)

٢ (تفسير الكشاف ، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٤٦٧ . ٥٣٨ هـ) : ١ / ٧٦)

٣ (التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي : ١ / ٩٦)

٤ (التفسير والمفسرون : محمد حسن الذهبي : ١ / ٩٦)

٥ (تذكرة الحفاظ ، ابو عبدالله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، د

ط ، ١٤٣٧ هـ ، وزارة معارف الحكومة الهندية ، دار احياء التراث العربي : ١ / ٩٢)

ليس كل التابعين على درجة واحدة من العدالة حتى يطمئن إليهم في التفسير ، وفي هذه المسألة يقول الشيخ الطوسي : ((إن من المفسرين من حمدت طرائقه ، ومدحت مذاهبهم ، كابن عباس والحسن وقتاده ، ومجاهد وغيرهم ، ومنهم من ذمت مذاهبه ، كأبي صالح ، والسدي ، والكلبي وغيرهم)) (١)

والذي عليه أغلب المفسرين أن قول التابعي شاهداً ومؤيداً ، وليس حجة على الإطلاق ، كما كان حديث المعصوم (عليه السلام) حجة برأسه ، أو قول الصحابي بالنسبة وفي الغالب الأكثر حجة معتبرة ، فإنما يقع قول التابعي في الدرجة الثالثة من الاعتبار ، وليس على إطلاقه (٢)

ولعل الراجح بالنسبة للتفسير المأثور عن التابعين أن ما أجمعوا عليه حجة ، وأن ما اختلفوا فيه ليس بحجة على من خالفهم ، ثم ينظر إلى من أثر عنه ، فإن كان ممن يأخذ من أهل الكتاب فلا يعتمد عليه ، وإن كان ممن لا يأخذ عنهم فتعتبر أقواله . (٣)

وخلاصة ما تقدم إن تفسير التابعي ليس حجة في ذاته ، إنما يقبل تفسيره إذا كان وارداً عن ثقات التابعين مسنداً إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكذلك إذا كان تفسيره ليس فيه مجالاً للرأي والاجتهاد ، ولا معارضاً بدليل نقلي أو عقلي ، فعند ذلك يكون هذا التفسير مقبولاً .

وقد أفاد السيد فضل الله الكثير من تفسيرات التابعين في تفسيره نذكر مثلاً منها في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ (النساء : ١٠١)

حيث نرى أن المفسر اعتمد في تفسير هذه الآية برواية عن مجاهد ذكر ((روي عن مجاهد ، كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه بعسفان ، والمشركون بضنجان ،

١ (التبيان ، الطوسي : ١ / ٦)

٢ (التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفه : ٢ / ٥٤٤)

٣ (التفسير نظرة في المفهوم والضوابط ، عثمان أحمد عبد الحليم ، د ط ، د ت ، المطبعة العصرية ، الكويت : ١١)

فتوقفوا فصلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصحابه صلاة الظهر ركعتين أو أربعاً ، شك أبو عاصم ركوعهم وسجودهم وقيامهم معاً جميعاً ، فهم بهم المشركين أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم ، فأنزل الله عليه ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ **النسأ: ٢٠١** ، فصلى العصر ، فصف أصحابه صفين ، ثم كبر بهم جميعاً ، ثم سجد الأولون سجدة ، والآخرون قيام ، ثم سجد الآخرون حين قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم كبر بهم وركعوا جميعاً ، فتقدم الصف الآخر وستأخر الأول فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مرة ، وقصر العصر إلى ركعتين)) (1)

المبحث الثالث

أسلوب الاستيحاء

أختار المفسر لنفسه أسلوب يسمى أسلوب الاستيحاء ، وقد كُرس هذا الأسلوب في فهم وتفسير النص القرآني من أن يخرج عن الفهم العرفي للنص القرآني ، وقد عرف السيد فضل الله الأسلوب الاستيحائي بأنه : ((الأسلوب الذي يجعل الإنسان ينطلق من الآية إلى عوالم أخرى من خلال طبيعة الغايات التي تتحرك إليها ، مما تلنقي به في أكثر من أفق في نطاق القواعد الإسلامية والعربية العامة ، وهذا هو الذي يجعلنا ننقل من الصورة المادية إلى الصورة المعنوية ، ومن التجربة التاريخية للمجتمع الذي نزل فيه القرآن ، وعالج مشاكله وتحدياته وقضاياها إلى التجربة الجديدة التي نواجه فيها تحديات الواقع ومشاكله الأمر الذي يجعل القرآن صفة حركية إلى جانب الصفة التشريعية والتوجيهية والوعظية ونحو ذلك))^(١)

ويؤمن السيد فضل الله بوجود هذا الأسلوب في القرآن الكريم ، لنستوحي من آياته علاجاً لكافة مشاكلنا الحياتية حيث قال : ((وهكذا نجد أن القرآن الكريم لا يتوقف عند الخصوصيات التاريخية التي كانت المنطلق لنزوله ، بل يمتد إلى كل النماذج الحية في الزمن كله ، كما أنه في مفاهيمه العامة يتحرك من أجل أن يشير إلى حركة الواقع في قضايا الحق والباطل ، والشرعية واللاشرعية ليكون دليلاً على خطوط الاستقامة والانحراف في الواقع الإسلامي ، الذي جاء عقب مدة طويلة من وقت نزوله ، ليتحدث عن كل مرحلة جديدة ، من خلال حديثه عن المرحلة السابقة المماثلة ، وليواجه الناس إلى رموز الحق في المستقبل ، ويبعدهم عن رموز الباطل فيه من خلال توجيهه وإبعاده عن الرموز المماثلة في الماضي لأن القرآن الكريم يمثل الحقيقة الواسعة التي تشمل الزمن كله وترتفع فوقه))^(٢)

كما أن هذا الأسلوب لا يخرج عن قواعد اللغة العربية وقواعد التفسير ، وفي ضوء ذلك يقول السيد فضل الله : ((إننا لانحتاج إلى الخروج عن المؤلف من قواعد اللغة العربية في

١ (من وحي القرآن : ١ / ١٦)

٢ (المصدر نفسه : ١ / ١٧)

تفسيره ، أو الى أبعاده عن القضايا العامة ، من أجل التركيز على هذه الحقيقة ، أو تلك ، أو هذا الرمز الشرعي للحق لأن الخطوط العامة المتناثرة فيه ، والنماذج الحية المتحركة في داخله يمكن أن توحى لنا بما نريد في عالم الدليل والبرهان))^(١)

ويرى السيد فضل الله من الضروري استichاء آيات القرآن الكريم فهو يقول في هذه المسألة : ((ورأيت من الضروري أستichاء القرآن في ذلك كله على مستوى النظرة والتطبيق ، لنستهدي به في متاهات الواقع ، ونستضيء به في متاهات الطريق ، ونطل به على المستقبل في كل قضاياها لنشعر بأن القرآن يعالج لنا كل أوضاعنا الحياتية ، فنكون قرآنيين في أفكارنا وحركاتنا ، تماماً كما كان المسلمون السابقون ، الذي كان القرآن يتحرك معهم فيطل على المشكلات الصعبة ، ليقدم لهم الحلول الصحيحة التي تبعث فيهم السكينة والثبات ، وإذا كنا نعرف أن معالجات القرآن في الماضي انطلقت من خلال سنن الله في الكون والأنسان لا من خلال خصوصية في الزمان والمكان والأشخاص فلذلك نستطيع أن نأخذ بها في الحالات المماثلة ، مما يجعلنا نتحرك بها في الحاضر والمستقبل ، لأن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول ، كما قال تعالى ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر : ٤٣)))^(٢)

أن السيد فضل الله يرى أن آيات القرآن الكريم كائنٌ حي في آياته حل لجميع مشاكلنا وقضايانا الحياتية ، وليس هو حل لقضايا حدثت في وقت نزوله ، وأن نستخلص من آياته دروساً وعبر نهتدي بها ، ويقول السيد فضل الله في هذه المسألة : ((وانطلقت هذه الدروس في خط عملي متحرك يركز على استichاء أجواء القرآن من أجل أن نعيش تلك الأجواء في حياتنا الإسلامية الصاعدة ، لأن القرآن ليس كلمات لغوية تتجمد في معناها اللغوي ، بل هي كلمات تتحرك في أجواء روحية وعملية ، ولهذا فإننا لا نتعامل مع آياته كتعاملنا مع النصوص

١ (من وحي القرآن : ١ / ١٨)

٢ (المصدر نفسه : ١ / ٢٠ . ١٩)

الأدبية المجردة التي تتحرك مع الفكرة بعيداً عن أجواء الواقع ، بل أننا نشعر أنه حياة تتحرك وتعطي وتوحي وتهدي وتقود الى الصراط المستقيم))^(١)

ويرى السيد فضل الله أن الأسلوب القرآني أسلوبٌ حي ، مما يجعلك تستحضر مجريات الحياة التي عاشها المسلمون الأوائل في أجواء الدعوة الإسلامية ، حين تجسد سيرة ورسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقول السيد فضل الله في هذه المسألة : ((وقد نجد في هذه الرؤية للأسلوب القرآني . أن علينا أن نفهم القرآن ككتاب رسالة ودعوة ، وذلك من خلال استحضار أجواء الدعوة والرسالة في نفوسنا ، لنعيش حيويته وحركيته وروحانيته الرسالية كما عاشها المسلمون الأولون ، للوصول إلى الهدف الكبير وهو صنع الشخصية القرآنية المنفتحة الواعية التي كان يجسدها الرسول الأعظم في سيرته أصدق تمثيل ، ولذا كانت سيرته رسالة عملية كما كانت أقواله رسالة ، فالتقت في حياته الأسوة والقوة بجانب الدعوة ، وذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (الأحزاب : ٢١)))^(٢)

وقد أشار المفسر إلى نقطتين فيما ينبغي استحضاره من الاستيحاء القرآني في أسباب النزول:

النقطة الأولى : أن الآية لا تتجمد في النقطة التي أنطلقت منها ونزلت فيها ، لأن أسباب النزول لا تمثل إلا المنطلق الذي تحركت الفكرة من خلاله بعيداً عن كل ما يحددها وبقيدتها في دائرته ، ولذلك عاشت الآيات الكريمة لتتسع وتمتد مع الزمن والمكان في كل مجال يتسع للفكرة والمفهوم من خلال النموذج الأول ، فكان من جراء ذلك أن أصبحت الآيات تعيش معنا صراعنا مع الكفر والشرك والظلم والطغيان تماماً كما كانت تعيش مع نماذجها الأولى صدقاً والتزاماً وأرادة حرة تتحدى الواقع المنحرف بكل ماتملكه من خطوات الحرية في الفكر والعمل

١ (من وحي القرآن : ١ / ٢٤ . ٢٥)

٢ (المصدر نفسه : ١ / ٢٥)

(١) ، وهذا ما وردت فيه الكلمات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) : ((إن القرآن يجري كما تجري الشمس والقمر)) (٢)

النقطة الثانية : إن الآيات قد تتحرك في نطاق مضمون فكري معين ولكنها توحى إليها وبشكل آخر ، باعتبار علاقة المعنى الذي تتضمنه الآية بالمعنى الآخر من حيث طبيعة النتائج العملية، ومن حيث وحدة المسار ، وهذا هو ما عبرت عنه بعض الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) : بالتأويل الذي لا يقصد به إعطاء اللفظ مدلولاً ثانياً غير المدلول الذي يظهر فيه بحسب وضعه اللغوي ، بل يقصد استichاء المعنى الحقيقي ومن أجل الإحياء بمعنى آخر ، وذلك كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (المائدة : ٣٢) (٣)

فقد ورد في كتاب الكافي بإسناده عن فضيل بن يسار قال : ((قلت لأبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) قول الله عز وجل في كتابه : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ ؟ قال : من حرق أو غرق ، قلت : فمن أخرجها من ضلال إلى هدى ؟ قال : ذاك تأويلها الأعظم)) (٤)

الذي أكده السيد فضل الله في التأويل هنا يمثل المعنى الأعظم بما يتسع له الأحياء ، وهذا ما أكده قوله : ((والظاهر أن المراد من التأويل هنا هو المفهوم الأعظم بما يتسع له إحياء الآية، فلا قيمة الحياة تتمثل بما تحققه من الارتباط بالله والسير على هداة ، فلا قيمة لها إذا كانت سائرة في خبط عشوائي في الضلال)) (٥)

١ (ينظر : المصدر السابق : ١ / ٢٦)

٢ (بحار الأنوار الجامعة ، محمد باقر المجلسي : ٢٣ / ٧٤٦ ، باب ١٠ ، حديث ٢٧)

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ١ / ٢٦)

٤ (الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني : ٢ / ٢١٠ ، حديث ٢)

٥ (من وحي القرآن : ١ / ٢٧)

وفي نهاية المطاف أكد السيد فضل الله بأن هذا الأسلوب الاستيحائي لا يمثل شيئاً جديداً في التفسير ، بل أراد بهذا الأسلوب الاستيحائي أن يحرك القرآن الكريم في حياتنا ، حتى يبقى القرآن الكريم يواكب حياتنا ونعيش معه ما دامت الحياة ، وهذا ما يؤيده قوله : ((وإننا لا نريد الأدعاء بأن هذه المحاولات التفسيرية تمثل شيئاً جديداً في التفسير ، بل الغالب فيما عالجناه كان من إيفادات المفسرين والمحققين في هذا المجال ، وليس لنا من ذلك إلا بعض الاستنتاجات والانطباعات والاستيحاءات وكل ما أرجوه أن تحقق هذه المحاولات بعضاً من جدة العرض والأسلوب من حركية التفسير في واقعنا المعاصر الذي تحتاج الدعوة الإسلامية فيه إلى أن تحرك القرآن في حياتها في كل المجالات العملية في الطريق وفي الهدف ، أنها من ((وحي القرآن)) ، سيبقى القرآن يوحى ما دامت الحياة مسيرة نحو الله ، وما دامت الإنسانية تبحث عن الهدف الأسمى الذي يحقق لها التكامل في السعادة التي تربط الدنيا بالآخرة ، والروح بالمادة ، والفرد بالمجتمع ، وذلك هو الأسلام في معناه الكبير))^(١)

وكذلك إن الناظر للقرآن الكريم يرى فيه إشارات ولطائف ودلالات من أسلوبه الاستيحائي وفقاً لقواعد اللغة العربية ، فقد يستوحي من قصة ملكة سبأ أن القرآن الأمر بالمعروف إلى جانب الصلاة والزكاة والإيمان بالله وطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فأصبح أنه لا يوجد صيغة أمر ، ولكن هذا السياق يقدم استيحاء بعظمة هذه الفريضة^(٢)

وقد ضمن السيد فضل الله هذا الأسلوب الاستيحائي في ترجيحه بين أقوال المفسرين ، منها في استيحائه في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكُنْهُمْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْهَوْنَ ﴾ (التوبة : ١٢) ، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المقصود من (أئمة أهل الكفر) على النحو الآتي :

(١) من وحي القرآن : ١ / ٢٧

(٢) ينظر : رسالة ماجستير (المرأة المعاصرة في تفسير من وحي القرآن) ، هبة علي عباس ، جامعة بابل ، كلية العلوم الإسلامية ، علوم القرآن : ٥٢

الأول : أن المقصود بهؤلاء رؤوس قريش ، والمراد بهم أبو سفيان بن حرب ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله تعالى وهموا بإخراج الرسول من مكة .^(١)

الثاني : المقصود بهم كل أئمة والكفر والظلم والضلال والفساد على مر العصور ، وهذا ما ذكره صاحب تفسير الأمتل في تفسيره ، قائلاً : ((فإن هذا التعبير يعد ضرباً من ضروب النظرة البعيدة المدى وعلو الهمة وتشجيع المسلمين ، إذا عد أئمة الكفر في مقابل المسلمين ، فليواجهوهم فلذلك أجدر من مواجهة من دونهم من الكفار ... واليوم ما يزال هذا الدستور القرآني المهم باقياً على قوته " ساري المفعول " ، فلكي نزيل الإستعمار والفساد والظلم ، لا بد من مواجهة رؤساء ، والأكابر وأئمة المنحرفين ، وإلا فلا جدوى من مواجهة من دونهم من الأفراد ، فلاحظوا الدقة))^(٢)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، لأنه يرى أن الآية لا تختص بجماعة معينة ولا فئة معينة، فقد أستوحى منها القرآنية الشمولية العامة ، قائلاً : ((ولكن الآية . فيما يبدو . انطلقت بعيداً عن خصوصية الأشخاص ، لتعالج الموقف مع فريق المشركين الذين كانوا هؤلاء يمثلون قيادته سابقاً ... إن أحياءاتها تتجاوز الكافرين إلى المسلمين الذين ينكثون العهد ، باعتبار دلالتها على أن الأساس في قتال المشركين حسب الآية ، أنهم نكثوا أيمانهم))^(٣)

وقد أستدل السيد فضل الله بأستحيائه برواية عن أبي عثمان البجلي ، قال سمعت علياً (عليه السلام) يقول يوم الجمل ﴿ وَإِنْ نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْهَوْنَ ﴾ ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم . قال بكير :

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٠ / ١١٤

(٢) الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط ٢ ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م ، الأميرة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان : ٣٣٨ / ٥

(٣) من وحي القرآن : ٨ / ١٨٦

فسألت عنها أبا جعفر [محمد الباقر] (عليه السلام) فقال : صدق الشيخ هكذا قال علي ،
وهكذا كان))^(١)

وكذلك نرى هذا الأسلوب الاستيحائي للمفسر في تفسيره لبعض الآيات القرآنية منها في
تفسير لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة : ٣٢)

فيقول السيد فضل الله في تفسير هذه الآية : ((أن هذه الآية تحدثت عن الحياة
والموت ، وعن الناس الذين يعتدون على الحياة وعن أولئك الذين ينفقونها ، فقد يستوحي من
هذه الآية أن الفكرة فيمن ينقلون الناس من الضلال إلى الهدى ، أو بلعكس ، أو فيمن ينقلون
الناس من الجهل إلى العلم أو بلعكس ، وذلك لأن الله قد أشار الى ذلك في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال : ٢٤) ، كما عبر عن الذين
يعيشون الضلال في واقعهم بالموتى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ (النمل : ٨٠) . وهذا يمكن لعملية الاستحياء هذه أن تأخذ من الحياة والموت
كل الأجواء التي تشارك هذين المعنيين في تحويل الإنسان من حالة الجمود والهمود إلى حالة
اليقظة والحركة على مستوى الفكر والعمل والحياة ...))^(٢)

١ الأمالي ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠ هـ ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ

، مؤسسة البعثة ، دار القلم ، قم . أيران : ١٣١ ، حديث : ٢٠٧

٢ (من وحي القرآن : ٨ / ١٤٤ . ١٤٥

الفصل الثاني

مقدمات في قواعد الترجيح

المبحث الأول (نشأة الترجيح)

المطلب الأول : عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

المطلب الثاني : عهد الصحابة (رض)

المطلب الثالث : عهد التابعين

المطلب الرابع : مرحلة التدوين

المطلب الخامس : مرحلة التصنيف

المبحث الثاني : مفهوم قواعد التفسير والترجيح

المبحث الثالث : الفرق بين قواعد التفسير والترجيح

المبحث الرابع : أركان الترجيح

المبحث الأول

نشأة الترجيح

إن القرآن الكريم منذ بداية نزوله على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أثار حركة فكرية ثقافية عند العرب ودعاهم إلى الالتفات إلى ما جاء في القرآن الكريم من جديد في أساليب التعبير والبيان ، بما لم يعهدوه من قبل فتعلقت قلوبهم وأسماعهم بروعة بيانه وبليغ نظمهم ، وقد بذل علماء الأمة جهداً كبيراً ، لاستخراج ما هو مكنون في آيات القرآن الكريم من عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مروراً بعهد الصحابة والتابعين إلى مرحلة التصنيف والتدوين ، بتوجيه الآيات القرآنية وتفسيرها تفسيراً صحيحاً

المطلب الأول :عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

لم يسبق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد في تفسير القرآن الكريم ، فكان أولى الناس معرفة بمعاني القرآن ولهذا ((كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المرجع للصحابة في فهم معانيه وتوضيح الغامض منه))^(١)

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المفسر الأول للقرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل : ٤٤) ، وما تدل عليه الآية حاجة الناس إلى بيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعليمه وفهم المعاني ، حيث إن في القرآن الكريم أصولاً وشرائع وأحكاماً ، لا سبيل إلى معرفتها من دون الرجوع إلى أهل الذكر ، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هو المرجع الأول لفهم غوامض الآيات وحل مشكلاتها ، وقد تصدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتفصيل ما أجمل في القرآن إجمالاً ،وبيان ما أبهم منه أبهاماً في أحاديثه الشريفة ، وسيرته الكريمة.^(٢)

١ (أصول التفسير وقواعده ، خالد عبد الرحمن العك : ٣٢

٢ (التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة : ج ١ / ١٥٧ . ١٥٨

حيث لا يمكن إدراك هذه المعاني القرآنية من دون الرجوع إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ان التفسير منحصرًا على السؤال ((لم يكن تفسير القرآن الكريم وضبط قواعده يظهر كعلم مستقل في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما كان يروي منه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان يشكل على أصحابه ، أو يسأل عنه ، أو توضيح ما صعب عليهم فهمه وأدراكه))^(١)

وإن لم تكن في ذلك الوقت كتب موجودة مدونة ، كالكتب المعاصرة ، فأول من اهتم لهذه القواعد التفسيرية والترجيحية وتطبيقها العملي هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يصحح فهم الصحابة رضوان الله عليهم حسب تلك القواعد ، ويستعملها حسب اقتضاء المعاني والآيات^(٢) ، منها رواية عبدالله بن مسعود قال : ((عندما نزل الوحي بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ قلنا : يا رسول الله أيانا لا يظلم نفسه ؟ قال : ليس كما تقولون : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ بشرك أولم تسمعوا إلى قول لقمان لأبنه : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ حيث نبه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هذه القاعدة ، وإن لم ينص عليها ، وأرشدتهم إلى اعتبارها ، وهي تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني : عهد الصحابة :

وفي عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، فكان قريبهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونزول القرآن بلغتهم ، ولديهم سنة الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المبينة عن الله تعالى ما أراد ، كما كانت معرفتهم بأسباب النزول ، وإدراكهم لأسرار القرآن الكريم ، كل هذا أغناهم عن وضع قواعد لتفسير القرآن الكريم^(٣)

١ (أصول التفسير وقواعده ، خالد عبد الرحمن العك : ٣٢)

٢ (ينظر : مجلة العلوم الإسلامية والدينية ، يوليو - ديسمبر ، ٢٠١٩ ، المجلد : ٤ ، العدد : ٢ ، ص ٩٠)

٣ (ينظر : أصول التفسير وقواعده ، عبد الرحمن العك : ٣٣)

إنهم وإن لم يضعوا قواعد لتفسير القرآن ، ألا أنهم قد أشاروا إليها ((وعلى الرغم من أنهم لم يضعوا قواعد لتفسير القرآن الكريم ، ولم ينصوا عليها ، إلا أنهم اهتموا بهذه القواعد التفسيرية ، كما إن الخلاف بين الصحابة قليل جداً لوجود الرسول بينهم ، وكذلك سعة علمهم ، ومعرفتهم باللغة العربية وأساليبها ومعانيها وقربهم من عصر النزول ، كل ذلك أدى إلى معرفتهم الواسعة بمعاني القرآن الكريم ، وإذا وقع خلاف بينهم في بيان معنى الآية ، فكان الصحابة يرجحون الأقوال التفسيرية فيما بينهم ، وعلى الرغم من أن الصحابة لم يكونوا على مرتبة واحدة ، فكانوا يأخذون من هو أفضل الصحابة وقربه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وما يدل على ذلك قول ابن عباس ، قال : ((إذا ثبت لنا شيءٌ عن علي (عليه السلام) ، لم نعدل عنه إلى غيره)) ^(١) ، وما يدل على هذا ما روي عن ابن عباس ، قال : ((بينما أنا في الحجر جالس ، أتاني رجل يسأل عن قوله تعالى : { والعاديات ضبحا } ، فقلت له : الخيلُ حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم ، فأنفثل عني ، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم ، فسأله عن : ﴿ العاديات ضبحا ﴾ ، فقال : سألت عنها أحداً قبلي ؟ قال : نعم سألت عنها ابن عباس ، فقال : الخيلُ حين تغير في سبيل الله ، قال : اذهب فدعه لي ، فلما وقف على رأسه قال : تُفتي الناس بما لا علم لك به ، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر ، وما كان معنا إلا فرسان ، فرسٌ للزبير ، وفرسٌ للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحا ، أنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس : فنزلت قلبي ورجعت إلى الذي قاله علي رضي الله عنه)) ^(٢)

١ (موسوعة الأمام علي (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، تحقيق : محمد كاظم الطباطبائي . محمود الطباطبائي ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ ، دار الحديث ، قم . أيران : ٣٨ / ١٠ ، حديث ٤٩١٦

٢ (تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٢٢٤ . ٣١٠ هـ ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م ، دار هجر ، القاهرة : ٢٤ / ٥٧٣ . ٥٧٤ ، ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، مركز هجر ، القاهرة : ١٥ / ٥٩٩

كذلك ومن الصحابة من فسر على ضوء قواعد الترجيح ، وإن لم ينصوا عليها ^(١) ، وما يدل على ذلك عندما ((اعترض الإمام علي (عليه السلام) على حكم عمر بن الخطاب ، عندما حكم على المرأة بالرجم التي ولدت لستة أشهر ، عندها أستتبط الإمام علي (ع) أقل مدة حمل من قوله تعالى : ﴿ حَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف : ١٥) ، ومن قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) ، عندها نزل عمر عن رأيه الأكبر ، فخلا عنها ثم ولدت ^(٢))) ، دليل على اعتمادهم لما تقرره هذه القاعدة كذلك من الصحابة من أستعمل قاعدة الترجيح بالنص القرآني ، حتى وإن لم ينص عليها ، وما يدل على ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكويد : ٧) ، حيث ذكر الطبري خلاف المفسرين على قولين في تفسيرها ، ((احدهما : ألحق كل إنسان بشكله ، وقرن بين الضرباء ، والأمثال

الثاني : أن الأرواح ردت إلى الأجساد فزوجت بها ، أي : جعلت لها زوجاً ، وأولى الأقوال القول الأول الذي رجحه عمر بن الخطاب للعلة التي اعتل بها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (الواقعة : ٧) ، وقوله تعالى : ﴿ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ (الصافات : ٢٢) ، وذلك لاشك في الأمثال والأشكال في الخير والشر ، كما أستدل ابن جرير الطبري في ترجيح هذا المعنى على غيره بنفس الحجة ، وهي مضمون هذا الوجه الترجيحي)) ^(٣)

١) ينظر : قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ، عبيد عبدالله النعيم ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٥ م ، دار التدمرية ، الرياض . السعودية : ١١٤
٢) السنن الكبرى ، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان : ٧ / ٤٤٢ ، باب ما جاء في أقل الحمل
٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج ٣٠ / ٧٤ . ٧٣ ، ينظر : منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، حسين علي الحربي : ٩٨ / ١

المطلب الثالث : عهد التابعين :

ومضى عصر الصحابة على ما تقدم ... وجاء عصر تلامذتهم من التابعين الذين أخذوا علم الكتاب والسنة عنهم ((وكل طبقة من هؤلاء التابعين تخرجت على من كان عندها من الصحابة في البلاد التي كانوا يقطنونها ، تطور الزمن ، واتسع الفتح الإسلامي ، واختلط العرب بغيرهم من الأمم الداخلة في دين الله تعالى ، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، فلم تعد اللغة سليقة لكثير من المسلمين ... وكان ذلك مدعاة لوضع علم الكتاب والسنة حيز التصنيف))^(١)

ومن تتبع الحركة التفسيرية في عصر التابعين يظهر له أن بداية التفسير الاجتهادي كان في عصرهم ، وهو بداية لوجود الاختلاف في تفسير النص القرآني^(٢) ، وما يدل على ذلك أن مجاهد قد أعطى لعقله حرية أوسع في فهم النص القرآني التي يبدو ظاهرها بعيداً^(٣)

كذلك نجد أن الترجيح ظاهر في تفسير التابعي ، إلا إن تفسير الصحابي مقدم على تفسير التابعي ((فإذا تعارض قول الصحابي مع قول التابعي فيؤخذ بقول الصحابي ويترك قول التابعي المعاصر له ، وقد يكون الترجيح باللغة أو الحديث أو قول صحابي يجمع بين هذه الأقوال))^(٤)

((وذلك لأن تفسير التابعي ليس لهم سماع من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في تفسير الصحابي : أنه محمول سماعه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

١ (أصول التفسير وقواعده ، عبد الرحمن العك : ٢٤)

٢ (ينظر : الترجمات التفسيرية عند علماء الحلة من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري (أطروحة دكتوراه) ، ميثاق عباس هادي الخفاجي ، كلية الفقه ، قسم علوم القرآن ، جامعة الكوفة ، ١٤٤٣ هـ . ٢٠٢١ م : ٧١)

٣ (ينظر : دراسات في التفسير وأصوله ، محيي الدين بلتاجي ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، دار الثقافة ، الدوحة . قطر :

٥٧

٤ (تفسير التابعين عرض دراسة ومقارنة ، محمد بن عبدالله بن علي الخضري ، ط ١ ، ١٤٣٧ هـ ، دار اللباب

للدراسات ، القاهرة : ٥٢

وآله وسلم) ، وأنهم لم يشاهدوا القرائن ولأحوال التي نزل عليها القرآن ، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد ، مع ذلك فعدالة التابعي غير منصوص عليها كما نص على عدالة التابعي ((^(١)

أما شرط صحة قبول خبر التابعي في التفسير ، وأيضاً في الترجيح به على غيره ، فيكون مرجحاً على قول التابعي الآخر فيما لو تعارضاً فيقدم عليه إذا أيده بشواهد وهذا الشرط وضع في قبول ترجيح تفسير التابعي ، وهذا دليل على لزوم الاجتهاد في التفسير والترجيح بين الأقوال التفسيرية (٢)

ويظهر الاجتهاد عندهم في اتباع المنهج القرآني ، في تفسير مجاهد (ت ١٠٣ هـ) عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (البقرة : ٥٦) ، وقال : لم يمسخوا قردة ، ولكن قلوبهم مسخت ، مثل قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة : ٥) (٣) ، ونرى مجاهد قد تمسك بمنهج تفسير القرآن بالقرآن في ترجيحه

المطلب الرابع : عهد التدوين :

ثم يمضي عهد التابعين ويليهِ عهد تابعي التابعين ، ومع كل جيل تتسع آفاق المعرفة خاصة وأنهم قد تفرقوا في الأمصار المفتوحة وفي أواخر بني أمية وأول عهد العباسيين كانت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين ، حيث دونت السنة النبوية ، وهي تضم بين جنباتها تفسير القرآن الكريم ، ومناهج تفسيره ، ثم سرعان ما اتجه العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض فصار للحديث علماء ومصنفاته ، وللتفسير علماء ومصنفاته ، وللقراءات علماء ومصنفاتها .. ثم وضع العلماء لكل هذه العلوم تفصيلات تكون قواعد وضوابط وأصولاً لإدراك تلك العلوم

١ (التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي : ١ / ٩٦)

٢ (ينظر : الترجمات التفسيرية عند علماء الحلة من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري (أطروحة دكتوراه) : ميثاق الخفاجي : ٧٢)

٣ (ينظر : تفسير مجاهد بن جبير (ت ١٠٢ هـ) ، تحقيق : محمد عبد السلام أبو النيل ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ . ١٩٨٩ م ، دار الفكر الإسلامي الحديث ، د ب : ٢٠٥)

وليس من السهل معرفة أول من دون قواعد علم التفسير وضوابطه وأصوله ، ولكن بالتأكيد أن هذه العلوم والقواعد كانت حصيلة بحوث طويلة ودراسات كبيرة قام بها علماءنا الأفاضل من عهد حركة التدوين من عهد حركة التدوين (١)

ومن التابعين من يحتج بالسياق في الترجيح ، وإن لم ينص عليه ، فهذا صالح بن كيسان (٢) يستند إلى السياق في تحديد المراد بالنفس ، في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق : ٢١) ، فيقول : ((إنما يراد بهذا الكافر ، اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك)) (٣)

وإن الترجيح التفسيري في عصر تابعي التابعين ، كانت الحاجة إليه أكثر في الترجيح بين الأخبار التفسيرية وأقوال الصحابة ، وكلما أقتربنا من عصر تابعي التابعين يلاحظ كثرة الاختلاف في التفسير ، وظهور الاجتهاد بينهم (٤)

حيث إن أول من فتح باب الاجتهاد والترجيح بين الأقوال التفسيرية في العصر هو ((عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، روى عدة روايات منها عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، وهو مجهول)) (٥) ، ومقاتل بن سليمان ، حيث جمعوا بين أقوال الصحابة والتابعين والترجيح بينهم (٦) ، وما يدل على ذلك قول عبد الرحمن بن زيد ، في قوله تعالى : ﴿ وَالتَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ ، قال : ((العلماء يقولون فيها قولين ، منهم من يقول : ساق الأخرة بساق الدنيا ، وقال آخرون : كل

١) ينظر : قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند أبْنِ عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ، عبير عبدالله النعيم : ١١٥
٢) صالح بن كيسان مولى غفار ، روى عن : ابن عمر وابن الزبير وسالم ونافع وطائفة ، قال الحاكم : مات وهو ابن مائة ونيف وستين سنة ، وكان قد لقي جماعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ينظر : طبقات الحفاظ ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٧٠

٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ج ٢٦ / ١٨٨

٤) ينظر : تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة ، محمد بن عبدالله الخضري : ج ١ / ٤٢٦

٥) المفيد من معجم رجال الحديث ، محمد الجواهري ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ ، مكتبة المحلاتي ، قم . إيران : ٣١٠ ، معجم رجال الحديث ، أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١١ هـ ، ط ٥ ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م مؤسسة الأمام الخوئي : ١٠

٣٥٦ /

٦) تفسير أئباع التابعين ، خالد بن يوسف واصل : ٣٧٥

ميت يموت إلا ألتفت إحدى ساقيه بالأخرى وقد رجح عبد الرحمن بن زيد القول الأول فقال :
غير أننا لانشك أنها ساق الآخرة ، وقرأ : ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ قال : لما ألتفت الآخرة
بالدنيا ، كان المساق إلى الله عز وجل))^(١)

وهذا أيضاً رجحه الطبري في تفسيره حيث قال : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصحة
عندي قل من قال : معنى ذلك : وألتفت ساق الدنيا بساق الآخرة ، وذلك بشدة كرب الموت
بشدة هول المطلاع ، والذي يدل على أن ذلك تأويله ، قوله : ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾))^(٢) ،
كذلك نرى أن الطبري قد أيد ترجيحه بقول من كلام العرب ، وأن لم ينص الطبري إلى هذه
القاعدة فهي تعد قاعدة من قواعد الترجيح ، ومنه قول الشاعر :

فإذا شمريت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسأم^(٣)

المطلب الخامس : عهد التصنيف :

أما موقف أئمة التفسير من هذه القواعد فقد أعتوا بها ، حيث كان المفسرون يضمنون
مقدمات تفاسيرهم أهم تلك القواعد والأصول فقد أشار العز بن عبد السلام في كتابه الموسوم (
الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) حيث ذكر بعض القواعد الترجيحية ، حيث قال :
((إن من ضروب التفسير ما يتردد بين محملين أحدهما أظهر عند النزول فيرجع فيه إلى
الصحابة والتابعين ويحمل على ظاهره حينئذ)) حيث قال : ((ويترجح أقوى الأقوال ما دل
عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة أو إجماع الأئمة أو سياق الكلام))^(٤)

وذكر المفسر محمد بن جزي الكلبي في مقدمة تفسيره اثني عشر وجهاً في الترجيح من
دون ذكر الأمثلة ، وما يدل على ذلك قوله : ((وأما وجوه الترجيح اثنا عشر وجهاً ، الأول :

١ (تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٣ / ٥١٨)

٢ (المصدر نفسه : ٢٣ / ٥٢٢)

٣ (هذا البيت لقيس بن زهير ، ينظر : الأغاني : ج ١٧ / ٢٠٠)

٤ (ينظر : الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، (د ط) ، (د ت) ،
مطابع دار الفكر ، دمشق . سوريا : ٢٧٦ . ٢٧٧)

تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال ، الثاني : حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا ورد عنه عليه السلام من القرآن عولنا عليه ، لاسيما أن ورد في الحديث الصحيح ، الثالث : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين : فإذا كثر القائلين بالقول يقتضي ترجيحه ، الرابع : أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبدالله بن عباس ، لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) (١)، الخامس : أن يدل على صحة القول كلام من العرب من اللغة والإعراب والأشتقاق أو التصريف ، السادس : أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده ، السابع : أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل ظهوره ورجحانه ، الثامن : تقديم الحقيقة على المجاز ، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين ، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله من الحقيقة ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة ، التاسع : تقديم العمومي على الخصوصي ، فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص ، العاشر : تقديم الاطلاق على التقيد ، إلا أن يدل دليل على التقيد ، الحادي عشر : تقديم الاستقلال على الإضمار ، إلا أن يدل دليل على الإضمار ، الثاني عشر : حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير . (٢)

وأيضاً أفاد ابن جرير الطبري هذه القواعد الترجيحية في تفسيره ، وما يدل على ذلك ما ورده ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٠) ، حيث ذكر الطبري الأقوال في تفسير وترجيح معنى الرتق ، حيث قال : ((قول أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات وأنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا

(١) الجامع الصحيح ، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ت ٢٥٦ ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة : ١ / ٤٤ ، باب قول النبي (ص) اللهم علمه الكتاب
(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١ هـ) ، صححه : محمد سالم هاشم ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ج ١ / ١٢ . ١٣

مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ٣٠، وإن الله تعالى لم يعقب ذلك بوصف

الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه ((^(١))

وكذلك السيد الطباطبائي أشار إلى قواعد الترجيح في تفسيره وإن لم ينص عليها ، منها

في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (الشورى : ٢٣)

حيث ذكر السيد الطباطبائي اختلاف المفسرين في معنى (المودة في القربى) :

قيل : ونسب إلى الجمهور أن الخطاب لقريش والأجر المسؤول هو مودتهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقربته منهم وذلك لأنهم كانوا يكذبونه ويغضبونه لتعرضه لآلهتهم ...

قيل : المراد في المودة في القربى والخطاب للأنصار فقد قيل : أنهم أتوه بمال ليستعين به على ما ينويه فنزلت الآية فردة ، وقد كان له منه قرابة من جهة سلمى بنت زيد النجارية ومن جهة أخوال آمنة أمه على ما قبل وفيه أن أمر الأنصار في حبهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوضح من أن يرتاب فيه ذو ريب وهم الذين سألوه أن يهاجر إليهم ، ويهبوا له الدار ، وفدوه بالأنفس والأموال والبنين ...

قيل : المراد بالمودة في القربى مودة الأقرباء والخطاب لقريش أو لعامة الناس .

قيل : معنى القربى هو التقرب إلى الله ، والمودة في القربى هي التودد إليه تعالى بالطاعة والتقرب ...

قيل : المراد في المودة في القربى ، مودة قرابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم عترته من أهل بيته عليهم السلام ((^(٢))

وقد رجح السيد الطباطبائي المعنى الأخير ، على وفق قاعدة الترجيح بالسنة ، لكثرة ما ورد من أخبار من طرق الفريقين وصلت إلى حد التواتر قال : ((وقد وردت روايات من طرق

١ (تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ج ١٦ / ٢٥٩

٢ (الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٤٣ . ٤٧

أهل السنة وتكاثر الأخبار من طرق الشيعة على تفسير الآية بمودتهم وموالاتهم ، ويؤيده الأخبار المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل البيت (عليهم السلام) ومحبتهم ثم التأمل الكافي في الروايات المتواترة الواردة من طرق الفريقين عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المتضمنة الأرجاع الناس في فهم كتاب الله بما فيه من أصول ومعارف الدين وفروعها وبيان حقائقه أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما لا يدع ريباً في أن إيجاب مودتهم وجعلها أجراً للرسالة إنما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية ((^(١)

ومن الذين أسهموا في إبراز دور السياق هو الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) ، حيث أثنى الزركشي على منهجه وهو يتحدث عن تفسير بعض آي القرآن ، حيث قال : ((وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها وأستعمالاتها بحسب السياق ، وهذا يعني به الراغب كثيراً في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) ، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ ، لأنه أقتنصه من السياق))^(٢)

ويمكننا أن نشير إلى ما فعله الشافعي (رحمه الله) في إخراج كتاب (الرسالة) التي تعتبر أول إخراج علمي في علم أصول الفقه وقواعد التفسير ، حيث تحدث فيه عن الكتاب والسنة ، وعن مراتب البيان ، كما تحدث فيه عن الناسخ والمنسوخ ، والعموم والخصوص ، والمجمل والمفصل ، والأمر والنهي ، وهذه كلها علوم مشتركة بين أصول الفقه وأصول التفسير ، وهذه العلوم كانت مبعثرة حتى جاء الشافعي فجمع بين أشتاتها وألف بين متفرقاتها^(٣)

قال الجويني في شرح الرسالة : ((لم يسبق الشافعي في تصانيف الأصول ومعرفتها))^(٤)

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٤٧

٢ (البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ج ٢ / ١٧٢

٣ (ينظر : أصول التفسير وقواعده ، عبد الرحمن العك : ٣٥

٤ (التمهيد ، مصطفى عبد الرزاق : ٢٣٤

كما اعتنى ابن عاشور بهذه القواعد في تفسيره ونص على بعض منها في المقدمات التي ذكرها في تفسيره ، ومن ذلك ما ذكره بالمفردة القرآنية ، من أن اللفظ إذا احتمل معاني عدة إلى حد التأويل ، فيكون حمل اللفظ على المعنى المحتمل المرجوح ^(١)

ثم دون هذا العلم كفن مستقل نظري في القرن الرابع عشر ، ومن تلك الكتب المعاصرة التي بحثت في هذا الفن : ((القواعد الحسان لتفسير القرآن)) العلامة عبد الرحمن السعدي ، و ((وعقود المرجان في قواعد المنهج الأمثل في تفسير القرآن من خلال أضواء البيان)) للدكتور أحمد سلامة أبو الفتوح ، ((وقواعد الترجيح عند المفسرين)) حسين علي الحربي ، و ((قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره)) عبير محمد عبدالله النديم، ومنها ((كتاب أسباب الخطأ في التفسير)) لطاهر محمود ، و ((فصول في أصول التفسير)) مساعد بن سليمان الطيار، و ((القول المبين في قواعد الترجيح عند المفسرين)) فهد بن عبد الله الحزمي ، و ((قواعد الترجيح عند الأصوليين وتطبيقاتها)) فهد صلاح جاد الرب ، و ((ومنهج ابن جرير الطبري في الترجيح)) حسين علي الحربي .

١ (التحرير والتنوير ، محمد الطاهر أبو عاشور ، د ط ، ١٩٨٤ م ، الدار التونسية للنشر ، تونس : ج ١ / ٩٤

المبحث الثاني

مفهوم قواعد التفسير والترجيح

أولاً : مفهوم القاعدة لغةً وأصطلاحاً

القاعدة لغة : ورد في المعاجم العربية معان كثيرة للفظ القاعدة نذكر منها :

قال ابن منصور : ((الأس ، وجمعها الأساس ، مثل قواعد البيت أساسه ، كما تعالى : ﴿وَإِذْ

يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ (البقرة : ١٢٧))) ^(١)

قال ابن فارس (ت ٣٩٥) : ((القاف والعين والdal أصل مطرد منقاس لا يخلف ، يقال : قعد الرجل يقعد قعوداً ، ويقال : امرأة قاعدة إن أرادت القعودة ، وقاعد من الحيض والأزواج ، والجمع قواعد ، قال تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً ﴾ (النور ٦٠))) ^(٢)

قال أبو بكر الرازي : ((قعد من باب دخل ، والقاعد من النساء التي قعدت عن الولد والحيض ، الجمع (قواعد) ، و (قواعد) البيت أساسه)) ^(٣)

((والقواعد أسافل الشيء)) ^(٤) ، ((والقواعد : جمع قاعدة ، والقاعدة أصل الأسس ، والقواعد هي الأساس)) ^(٥) ، ((والقواعد : هي المركز)) ^(٦) ، وقيل : قواعد البيت : هي أساطين البناء ، وأصول حيطانه)) ^(٧)

١ (لسان العرب ، ابن منصور محمد بن مكرم : ج ٣ / ٣٦٢

٢ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ج ٥ / ١٠٨

٣ (مختار الصحاح ، محمد ابي بكر عبد القادر الرازي ، د ط ، ١٩٨٦ م ، مكتبة لبنان ، بيروت . لبنان : ٢٢٧

٤ (تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، د ط ، ٢٠١١ م ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان : ج ١ / ١٣٧

٥ (لسان العرب ، ابن منصور محمد بن مكرم : ج ٣ / ٣٦٢

٦ (أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، د ط ، ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ٥١٦

٧ (جوهرة اللغة ، ابن دريد محمد بن الحسن ، ١٩٨٧ م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان : ج ٢ / ٦٦٢

إذن : فالمعنى المشترك بين هذه التعريفات ، هو أن معنى القاعدة : هي الأساس ، والأصل ، والمركز .

القاعدة اصطلاحاً : عرفت بتعاريف كثيرة :

١ . قيل هي : ((حكم كلي الذي ينطبق على جزئيات ليتعرف أحكامها منها)) ^(١)

فقيل : ((أمر كلي ، ولم يقل أمر أغلبي ، لأن شأن القواعد أن تكون كلية ^(٢) ، وإن الفروع المخرجة منها ليست داخلة فيها ، فهي كلية بالنسبة إلى غير تلك الفروع المخرجة منها ، فالدليل الذي أخرج هذه الفروع ، خصصها بما وراءه من فروع)) ^(٣)

٢ . قال السيد المصطفوي : ((القاعدة عبارة عن الأصل الكلي الذي تثبت عن أدلتها الشرعية ، وتطبق بنفسها على مصاديقها انطباق الكلي على مصاديقه)) ^(٤)

٣ . قال الشريف الجرجاني هي : ((قضية كلية منطبقة على جميع جزئياته)) ^(٥)

٤ . قال حسين الحربي هي : ((حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته))

قيل : ((حكم أغلبي : لأنها تنطبق على جميع الجزئيات في كل قاعدة ، وإنما حكم أغلبي ، لأن كثيراً من القواعد تشد عنها ، فبعض المسائل تُعد مستثناة منها)) ^(٦)

١ (شرح التلويح على التوضيح بمتن التلخيص في أصول الفقه ، عبيدالله بن مسعود المحبوبي ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

١٩٨٦ م ، دار الكتب العلمية . بيروت : ج ١ / ٣٥

٢ (قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين علي الحربي : ٣٧

٣ (كتاب القواعد ، ابي بكر عبد المؤمن ، تحقيق : عبد الرحمن بن عبدالله الشعلان ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، مكتبة الرشد . الرياض ج ١ / ١٠

٤ (القواعد مائة قاعدة فقهية ، محمد كاظم المصطفوي ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم . إيران : ٩٠ :

٥ (التعريفات ، للجرجاني : ٢١٩

٦ (قواعد الترجيح ، حسين علي الحربي : ٣٧

ولعل التعريف الثالث هو أقرب إلى الناحية الواقعية ، وهذه الجزئيات المستثناة ، فهي بالأصل تدخل تحت القاعدة ، وإنما خُرجت لاعتبار معين ^(١) ، ((لأن كثيراً من القواعد لها استثناءات وأحكام تندُّ عنها ، ولأن العبرة بالأغلب ، والنادر والشاذ لا يبطل القاعدة)) ^(٢)

ومن المعلوم أن من أهمية معرفة الأصول والقواعد للعلوم هي ((بمنزلة الأساس للبنیان ، والأصول للأشجار ، والأصول تبنى عليها الفروع ، والفروع تثبت وتتقوى بالأصول ، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى ، ويُبنى نماءً مطرداً ، وبها تعرف مأخذ الأصول ، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشبه كثيراً)) ^(٣)

والذي لابد أن نشير إليه إن استخراج الحكم المندرج تحت القواعد لا يكون بالأمر السهل ، بل يحتاج إلى إعمال ذهن وشيء من التفكير والتأمل ^(٤)

ولا بد أن نشير إلى أمرٍ مهم ، أنه لا بد من معرفة القواعد في أي علم من العلوم حتى لا نقع في تشتت وجهل ، وكذلك التفسير ، إذا كان بلا قواعد ، فإنه يعرض الفكر إلى الانحراف ، وهذا ما أدركه الإنسان بفطرته حينما وضع العادات والتقاليد والأعراف ، فهي عبارة عن قواعد وضوابط تضبط المجتمع من كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ^(٥) وفي هذه المسألة يقول ابن تيمية ((لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلمٍ وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت ؟ وإلا فيبقى في كذبٍ وجهل في الجزئيات ، وجهل وظلم في الكليات ، فيتولد فساد عظيم)) ^(٦)

١ (ينظر : قواعد الترجيح ، حسين علي الحربي : ٣٨

٢ (قواعد التفسير ، خالد السبت : ٢٣

٣ (طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، د ط ، د ت ، دار البصيرة ، الإسكندرية . مصر : ٦ . ٥

٤ (ينظر : المصدر نفسه : ٢٥

٥ (رسالة ماجستير (قواعد تفسير القرآن الكريم أسسها المنطقية . أستباطاتها . قطعيتها) ، هادي حسين عمران ، جامعة الكوفة ، كلية الفقه ، علوم القرآن والحديث الشريف ، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م : ٧٩

٦ (مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٩ / ٢٠٣

ويقول السيد الطباطبائي : ((إن المجتمع لا يقدر على حفظ حياته وإدامة وجوده إلا بقوانين موضوعة معتبرة بينهم)) (١)

ثانياً : التعريف بالمركب الإضافي (قواعد التفسير و قواعد الترجيح) :

١ . قواعد التفسير : لقد تحدثنا سابقاً عن تعريف التفسير لغة وأصطلاحاً في الفصل التمهيدي ولا حاجة إلى ذكره ، نكتفي فقط بتعريف (قواعد التفسير) :

قواعد التفسير : هي قاعدة مهمة لتحصيل الحجة على استكشاف مراد الله تعالى من الآيات القرآنية ، وإن شئت فقل : هي قاعدة ممهدة للاحتجاج بها على تفسير القرآن (٢)

وأيضاً عرفت : هي الأحكام التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ، ومعرفة كيفية الاستفادة منها . (٣)

بيان معنى التعريف : (٤)

((١ . الأحكام الكلية : لا يرد عليه كثيراً ، لأن الكثير من القواعد لها استثناءات وأحكام ترفع عنها ، والنادر والشاذ ، لا يبطل القاعدة

٢ . التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم : أي إنها قابلة لذلك للاستنباط ومعدة له ، وإن لم يستعملها أحد لهذا الغرض وهذه القواعد خاصة للاستنباط من القرآن ، ويخرج من هذه القواعد ، قواعد الأصول واللغة، وقواعد المنطق والهندسة .

٣ . ومعرفة كيفية الاستفادة منها : يُدخل القواعد الترجيحية))

وأنه يمكن الاستفادة من هذه القواعد التفسيرية ، لبيان أصح الأقوال التفسيرية في الآية ، وبيان الرأي الراجح ، وما يدل على ذلك قول الزركشي : ((ومعلوم أن التفسير يكون بعضه من قبيل

١ (الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي : ١ / ١٨٦

٢ (دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، علي أكبر المازندراني : ١٦٤

٣ (قواعد التفسير ، خالد السبت : ١ / ٣٠

٤ (المصدر نفسه : ١ / ٣٠

بسط الألفاظ الوجيزة ، وكشف معانيها ، ويعضه من قبيل الترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ((^(١)

عليه فإنه لا يمكن لأي مفسر الاستغناء عن القواعد التفسيرية ، لأنها تجعل للمفسر الملكة والقدرة على الترجيح بين الآراء التفسيرية في الآية

إذن ، فقواعد التفسير ، هي ميزان للمفسر ، وضابط ومانع من الخطأ في التفسير ، ومصحح لما فسر في بعض الأحيان ، كما هو شأن سائر الموازين كعلم النطق ، وهو ميزان الفكر ، وعلم النحو ، وميزان النطق العربي والكتابة العربية ، وعلم الأصول وهو ميزان الفقه^(٢)

((والحاصل أن من عرف قواعد التفسير انفتح له من المعاني القرآنية ما يجلب عن الوصف ، وصار بيده آلة يتمكن بواسطتها من الاستنباط والفهم ، مع ملكة ظاهرة تصيره ذا ذوق واختيار في الأقوال المختلفة في التفسير ، فيقوى على الفهم والاستنباط والترجيح))^(٣)

إذن ، فالعلاقة بين التفسير وقاعدة التفسير علاقة ترابطية ، كما قلنا سابقاً أن القاعدة ، هي أمرٌ كُلِّي ينطبق على أمور جزئية ، وإن قاعدة التفسير عبارة عن القضية الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن ، وهذا شأن القاعدة .

وأما التفسير نفسه ، فهو بيان تلك المعاني ، أي شرح لآيات وتبيين الأمور الجزئية ، فإذا قلنا : إن السياق قاعدة لتفسير القرآن ، كان من الصحيح أن يقع السياق وسطاً في الوصول إلى معاني القرآن ، ولانم تطبيق هذا الأمر على كل ما يوجد سياقاً

وبتعبير أكثر دقة : تكون قاعدة التفسير بالنسبة إلى التفسير ، كالمسائل الأصولية بالنسبة إلى الفقه^(٤)

١ (البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ج ١ / ١٥

٢ (قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكّر المبيدي ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م ، نكار ، طهران . إيران : ٣٣

٣ (قواعد التفسير ، خالد السبت : ج ١ / ٣٨

٤ (قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة : محمد فاكّر المبيدي : ٣٨

٢ . قواعد الترجيح : هي القواعد التي نعملها عند الترجيح بين أقوال المفسرين (١)

وأيضاً عُرِفَت قواعد الترجيح : هي ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله (٢)

بعد ذكر التعريف لا بد من شرح مفردات ألفاظ التعريف : (٣)

أ . (ضوابط وأمور) : باعتبار عدم التفريق بين القاعدة والضابط ، كما هو نهج بعض العلماء ، وقد فرق بينهم آخرون ،

ب . (أغلبية) : اعتبار أن القاعدة أغلبية وقد سبق الإشارة إلى ذلك في تعريف القاعدة

ت . (يتوصل بها إلى معرفة الراجح) : القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام وغيرها ، فالترجيح لا للاستنباط من الآية ، وإنما نظر في الأقوال المستنبطة من الآية ، للترجيح بينهما من خلال القاعدة .

ث . (من الأقوال المختلفة) : خرج به ما كان موضع وفاق بين العلماء ، فلا مجال للترجيح فيه ، وهو ما يعرف بالإجماع .

ح . (في تفسير كتاب الله) : خُرج به للترجيح في غيره من العلوم ، كالفقه والنحو وغيره

١ (فصول في أصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م ، دار ابن الجوزي ، الدمام : ٩٤)

٢ (قواعد الترجيح ، حسين علي الحربي : ٣٩)

٣ (المصدر نفسه : ٣٩)

المبحث الثالث

الفرق بين قواعد التفسير وقواعد الترجيح

هناك قواعد وضوابط وضعها علماء التفسير لدفع التنازع في تفسير آيات القرآن الكريم ، كي يتوصل بها المفسر إلى التفسير الصحيح والاستنباط السليم من الخطأ والانحراف ، ولهذا وضعوا قواعد للتفسير وقواعد للترجيح ، وسنفصلها كما يلي :

أولاً: قواعد التفسير

تعريفه : هي تلك الضوابط والكليات التي تُلتزم كي يتوصل بها إلى المعنى المراد من كلام الله تعالى ^(١)

والتفسير، وهو أشرف المواضيع ، لأن موضوعه أساس علوم الإسلام ، ومدار الأحكام ، وحبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تغنى ، وهي أشرف الغايات وأجداها نفعاً ^(٢) ، وله فائدة في تحصيل المقدرة على استنباط معاني القرآن الكريم ، وفهمه على الوجه الصحيح ، وضبط التفسير بقواعد صحيحة. ^(٣)

أقسام قواعد التفسير :

وضع العلماء قواعد لتفسير القرآن الكريم ، حتى يتوصل بها المفسر التفسير الصحيح الآيات القرآن الكريم: **أولاً : قواعد عامة :** وهي القواعد التي يمكن أن يعملها المفسر عندما يفسر آية من القرآن ، ويبدو على بعض هذه القواعد أنها تقدم لفوائد منها ما يكون لغوياً ومنها أصولياً ، ومنها بلاغياً ... ^(٤) ، ويستفاد منها في فهم القرآن الكريم ^(١) .

١ (قواعد التفسير ، خالد السبت : ١ / ٣٣

٢ (التيسير في قواعد علوم التفسير ، محيي الدين محمد بن سليمان الكافجي (ت ٨٧٩ هـ) ، تحقيق : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، مكتبة القدسي ، القاهرة . مصر : ٣٣

٣ (ينظر : نشر العبير في منظومة قواعد التفسير ، أبي الفضل عمر بن مسعود الحدوشي : ٥٣

٤ (فصول في أصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار : ٨٧

وهذه القواعد هي :

١ . قاعدة : (حجية ظواهر القرآن) :

تُعد حجية ظواهر القرآن من القواعد المعتبرة في تفسير القرآن الكريم ، إذ يتبع المفسرون ظاهر الآية في بيان

معنى الآية ، كما يستفاد من ظاهر الآية في اختيار القول الراجح بين الأقوال التفسيرية

الحجة في اللغة :

قال ابن فارس : ((حج : الحاء والجيم أصول أربعة ، فالأول القصد ، وكل قصد حج ، ويمكن أن يكون الحجة مشتقة من هذا ، لأنها تقصد وبها يقصد الحق المطلوب . يقال حاجبت فلان فحججته أي غلبته بالحجة ، وذلك الظفر يكون عند الخصومة ، والجمع حُجج ، والمصدر الحجاج))^(٢)

وفي الاصطلاح : عبارة عن كل شيء يكشف عن شيء آخر ، وبحكي عنه على وجه يكون مثبتاً له. ^(٣) ومن المعلوم أن استعمال الحجة هنا مأخوذ من معناها اللغوي ، أي يصح أن يحتج المكلف للعمل بها ، وصادفت مخالفة الواقع ، فتكون معذرة له ، كما أنه يصح أن يحتج بها المولى على المكلف إذا لم يعمل بها ، ووقع في مخالفة الحكم الواقعي ، فيستحق العقاب على المخالفة ^(٤)

معنى الظهور :

تكلّمنا عنه مسبقاً في الفصل الأول ، المبحث الأول (ظاهر القرآن وباطنه)

١ (قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره ، عبير محمد : ١٢١)

٢ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٢ / ٣٠)

٣ (أصول الفقه ، محمد رضا المظفر : ١ / ١٢)

٤ (قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكّر المبيدي : ١٧٦)

ومن الأمثلة على حجية ظواهر القرآن ، كقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى : ٥٢) ، حيث فسر السيد فضل الله معنى الروح على وفق قاعدة ظاهر القرآن ، هو القرآن الكريم ، وما يدل على ذلك قوله : ((والظاهر أن المراد منه القرآن الذي أوحى الله به إليه ، باعتبار أنه يمثل الروح المعنوية التي يبدعها الله من أمره وإرادته ، فهو الفكر الذي يعطي للمجتمع حياته ، وللحياة العامة والنظام المتوازن لحياة الناس حيويتها))^(١)

٢ . قاعدة في اعتبار السياق .

٣ . قاعدة في الجري والتطبيق .

٤ . قاعدة في ترابط الآيات وتناسبها .

٥ . قاعدة في خطابات القرآن .

٦ . قاعدة في العناية بموارد النسخ .

٧ . قاعدة من الحذر من التفسير بالرأي .

٨ . قاعدة في إرجاع القرآن إلى محكمه .

٩ . قاعدة في العناية بأسباب النزول .

١٠ . قاعدة في العناية بخصائص الكلام :

القسم الثاني : قواعد ترجيحية يستفاد منها في الموازنة بين الأقوال ، ومعرفة الراجح منها والمرجوح^(٢) ، كقاعدة (القول الذي يؤيده النص القرآني مرجح على من خالفه) ، منها في

(١) من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ، ط ٣ ، ١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان : ١٦ : ٤٣٣

(٢) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٦ / ٢٥٩

تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء : ٣٠)
 (حيث ذكر الطبري الأقوال في تفسير وترجيح ، في بيان معنى الرتق ، فقال : ((قول أبي جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ، وإن الله تعالى لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه ((

أو قاعدة (القول الذي يؤيده السياق مرجح على من خالفه) ، كمثل تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٨ . ٢٩) ، فقد اختلف المفسرون في المراد بيوم الفتح ؟

القول الأول : المراد به فتح مكة^(١) ، القول الثاني : المراد به يوم القيامة ، عن مجاهد^(٢) ، وهذا ما رجحه الطبرسي^(٣) ، أما السيد فضل الله ، فقد رجح القول الثاني ، على وفق قاعدة السياق ، حيث قال : ((والظاهر من سياق هذه الآيات وانسجامها مع سياق الآيات المتكررة التي تتحدث عن عدم انتفاع الكافر بإيمانه يوم القيامة ، ما يوحي بأن المراد بيوم الفتح يوم القيامة ، كما أنه لا معنى أن يكون المراد به فتح مكة ، لأن الإيمان مقبولٌ بعد ذلك))^(٤)

سنوافي ببقية قواعد الترجيح مع تطبيقاتها لاحقاً ، في الفصل الثالث : (تطبيقات السيد فضل الله لقواعد الترجيح)

(١) معاني القرآن ، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان : ج ٢ / ٣٣٣

(٢) تفسير مجاهد بن جبر (ت ١٠٢) ، تحقيق : محمد عبد السلام أبو النيل : ٥٤٥

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبي يعلى الحسن بن علي الطبرسي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م ، دار المرتضى ، بيروت . لبنان : ج ٨ / ٨٧

(٤) من وحي القرآن ، فضل الله : ج ١٥ / ٩٦

ثانياً : قواعد الترجيح :

تعريفها :

هي القواعد والضوابط التي تتوصل بها إلى القول الراجح بين الأقوال المرجوحة المختلفة في كلمات ومعاني القرآن ^(١) ، موضوع الترجيح ، دراسة أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى ، والبحث عن أصوبها وأقربها إلى الحق ^(٢)

الغاية من قواعد الترجيح :

معرفة أصح الأقوال وأولها بالقبول في تفسير كتاب الله ، ومن ثم العمل بها اعتقاداً إن كانت من آيات العقيدة ، وعملاً بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية ، وسلوكاً وأدباً إن كانت من الأخلاق والآداب .^(٣)

كما أن لها فائدة في تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها ، من أقوال شاذة أو ضعيفة أو مدسوسة فيها ، لتأكيد مذهب عقدي ، أو نصرت حكم فقهي ، أو تدعيم رأي ما ^(٤)

فأن تفسير الآية القرآنية أمرٌ يجب الأخذ به حتماً ، لأنه أقرب إلى الصحة ، ولايسع أحداً أن يعدل عن تفسير الآية بالراجح إلى المرجوح ، لأنه بعيدٌ عن الصواب ^(٥)

أقسام قواعد الترجيح :^(٦)

اولاً : قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني :ويندرج تحت هذه قواعد ما يلي :

١. لاتصح دعوى النسخ من كتاب الله إلا إذا كان التصريح بنسخها .

٢. قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات.

(١) قواعد الترجيح ، حسين علي الحربي : ٣٧

(٢) أسباب الخطأ في التفسير ، طاهر محمود : ٩١٩

(٣) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين علي الحربي : ٤١

(٤) ينظر : أسباب الخطأ في التفسير : ٩١٩

(٥) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين علي الحربي : ٤١

(٦) المصدر نفسه : ٥٠

٣. قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني .

٤. الترجيح بظاهر القرآن .

ثانياً: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار :

١. الترجيح بدلالة الحديث النبوي .

٢. الترجيح بقول الصحابي .

٣- الترجيح بأسباب النزول .

ثالثاً : قواعد الترجيح المتعلقة باللغة :

١. الترجيح بالأغلب من لغة العرب .

٢. الترجيح بناءً على الناحية البلاغية .

وقد طبق السيد فضل الله كل هذه القواعد الترجيحية في تفسيره ، بل وزاد عليها ، وهذا ما سنوافيه في (الفصل الثالث) في (المبحث الثاني) بشكل مفصل

ومن الفروق بين قواعد التفسير وقواعد الترجيح : أن قواعد التفسير من أشرف وأهم العلوم القرآنية ، والنسبة بين قواعد التفسير و قواعد الترجيح هي نسبة الجزء إلى الكل ، أي بمعنى إن قواعد الترجيح جزء من قواعد التفسير ومن هنا نجد أن قواعد التفسير تطلق على جملة القواعد في تفسير القرآن الكريم ، بينما قواعد الترجيح هي من ضمن قواعد التفسير ^(١)

ومن خلال هذه الفروق نرى : أن قواعد الترجيح مختصة لمعرفة الرأي الراجح بين الآراء التفسيرية في الآية ، مستنداً على قواعد الترجيح ، بينما قواعد التفسير هي أعم وأوسع من قواعد الترجيح الآن مهمتها أستنباط معاني القرآن الكريم من آياته .

١ (ينظر : قواعد التفسير والترجيح المتعلقة بالضمائر ، هناء عبد المحسن محمود ماضي : ٥٤٠)

ومما تقدم يتبين لنا إن قواعد التفسير أشمل من قواعد الترجيح ، بل أن قواعد الترجيح ناتجة عن قواعد التفسير ، مثلاً : قاعدة التفسير بالنص القرآني ، فهذه قاعدة تفسيرية تبنى عليها قاعدة ترجيحية وهي (قاعدة الترجيح بالنص القرآني) ، وقاعدة التفسير بالسياق تبنى عليها قاعدة الترجيح (قاعدة الترجيح بالسياق) ...

وبهذا تكون كل قاعدة من قواعد الترجيح هي في الأصل قاعدة من قواعد التفسير ، كما أن كل قاعدة من قواعد التفسير تصلح أن تكون قاعدة من قواعد الترجيح .

المبحث الرابع

أركان الترجيح

الركن الأول : وجود الأقوال المتعارضة :

حتى يتحقق الترجيح لا بد من وجود قولين أو أكثر متعارضين في معنى الآية ، ويرجع هذا التعارض لاختلاف دلالة الآية القرآنية ، أو حسب اجتهاد المفسر .^(١)

الركن الثاني : وجود الملكة التفسيرية عند المرجح :

أن تكون للمرجح ملكة تفسيرية ، ولهذا تكون شرطية الترجيح بمن له القدرة على التفسير ، وأن يكون عارفاً بالأقوال التفسيرية ووجوه التفسير وأدلتها ، ويكون ضمن الموازين العلمية المشروطة في عملية الترجيح.^(٢)

ويكونون متخصصين في ((علوم القرآن وعوالم التأويل وحقائق التفسير أولئك وحدهم الذي يصح لهم فنياً خوض غمار هذا البحر المتلاطم الأمواج))^(٣)

الركن الثالث : النظر في صاحب القول المفسر :

ينظر إلى أمانة المفسر واعتقاده ، وأن لا يكون من المبتدعه الذين يسعون لبث بدعهم عن طريق آيات القرآن ، ويدخل في هذه المسألة شروط المفسر ، كما ينظر إلى الدليل الذي أعتمده المفسر في تفسير معنى الآية ، ومعرفة مدى صحة مطابقته لمعنى الآية.^(٤)

١ قواعد الترجيح عند المفسرين رؤية جديدة ، حنان بنت قاسم العنزي : ١٦٩٥

٢ ينظر : أطروحة دكتوراه (الترجيحات التفسيرية عند علماء الحلة من القرن السادس حتى العاشر الهجري) ، ميثاق عباس الخفاجي : ١٠٩

٣ نظرات قرآنية معاصرة ، محمد حسين الصغير : ٢٣

٤ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين رؤية جديدة ، حنان بنت قاسم : ١٦٩٥

الركن الرابع : وجود الميزة والعلة المرجحة :

إن الترجيح لا بد أن يكون قائماً على أساس وجود علةٍ وميزةٍ للترجيح ، ويُلزم أن تكون هذه العلة أو الميزة منصوباً عليها بالأدلة المعتبرة المرجحة ، حيث لا بد للمفسر أن يعضد قوله من القرآن أو السنة ، أو حسب اجتهاد المفسر ، أما إذا كانت أدلة ضعيفة غير قائمة على أساس علمي ، فلا يمكن عدها ميزة تلزم الترجيح .^(١)

الركن الخامس : الترجيح :

الترجيح هو ثمرة البحث في قواعد الترجيح ، أو المنهج الذي اتبعه المفسر في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، ويتوقف الحكم فيه على اختيار الباحث ، ودقة نظره في الأقوال من خلال تقليب النظر في بطون الكتب ، فالمرجح يختار ما يرى أنه أقرب للنص ، أو أكثر ملائمة لقواعد الترجيح.^(٢)

١ (ينظر : أطروحة دكتوراه (الترجمات التفسيرية عند علماء الحلة من القرن السادس حتى العاشر الهجري) ،

ميثاق عباس الخفاجي : ١٠٩

٢ (قواعد الترجيح عند المفسرين رؤية جديدة ، حنان بنت قاسم : ١٦٩٥

الفصل الثالث

حالات الترجيح وقواعده عند السيد فضل الله

المبحث الأول : حالات الترجيح عند السيد فضل الله

المبحث الثاني : قواعد الترجيح عند السيد فضل الله

المبحث الأول

حالات الترجيح عند السيد فضل الله

اعتمد السيد فضل الله عدة حالات في بيان القول الراجح في تفسير كلام الله تعالى ، حيث تعرض في بعض الآيات القرآنية إلى خلاف المفسرين فيها ، ثم يردفه بذكر أصح الأقوال وأولها بالصواب ، ثم يدلل ويعلل لصحة ترجيحه ، وعلى هذا يمكننا أن نبين حالات الترجيح عند السيد فضل الله في تفسيره من خلال الحالات الآتية :

الحالة الأولى :

أن تكون جميع الأقوال متفقة في تفسير الآية ، ولا دليل يدل على تقديم بعضها أو ترجيحه ، منها في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٩) ، وقد اختلف المفسرون في تطبيق هذه كلمة (العفو) على الواقع العملي إلى عدة أقوال :

القول الأول : أنه ما فضل عن القوت والعيال ، عن ابن عباس ^(١)

القول الثاني : الوسط من غير إسراف ولا إقتار ، عن جميل بن دراج عن أبي عبدالله (ع) ، قال سألته عن قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ قال العفو الوسط ^(٢)

القول الثالث : العفو ما فضل عن القوت والسنة ، عن أبي عبدالله (ع) قال : عن قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان : ٦٦

^(١) أما السيد محمد فضل الله فهو يرى أن هذه الأقوال كلها تحمل معنى واحد ، وقد اعتمد السيد فضل الله في ذلك على وفق قاعدة اتساق المعنى وشموله ، وما يدل على ذلك قوله :

١ (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٣٨

٢ (تفسير العياشي : ج ١ / ١٢٥ ، أصول الكافي : ٤ / ٥٢ ، باب القصد ، الحديث ٣

((وقد تلتقي هذه المعاني تحت معنى واحد ،)) وهو أن لا يترك تأثيره على حاجاته الأساسية مما يتصل بمسؤولياته عن نفسه وعياله على النحو المتعارف ، فلا يكلف الإنسان الإنفاق من ضرورياته المعاشية ، بل يكفيه ، في إطاعة هذا التشريع ، أن ينفق مما يزيد عن حاجاته الأساسية ، وبذلك كان الإنسان منسجماً مع الطبيعة البشرية التي قد لا تستجيب للايثار دائماً ، وإن كانت قد تسير معه في بعض مراحل الحياة)) (٢)

الحالة الثانية :

أن تكون الأقوال محتملة في تفسير الآية غير أن بعضها أولى من بعض ، كتفسير قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٨) ، فقد اختلف المفسرون في المراد من صبغة الله :

أولاً : إنه دين الله ، وقد سمي دين الله بالصبغة ، عن ابن عباس : ﴿ صبغة الله ﴾ قال : دين الله (٣)

ثانياً : صبغة الله هي الختان ، أختن إبراهيم صلوات الله عليه فقال : قل ((صبغة الله)) ، يأمر بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤)

ثالثاً : صبغة الله هي الفطرة ، عن مجاهد ﴿ صبغة الله ﴾ قال : يعني فطرة الإسلام التي فطر الناس عليها (٥)

١ (ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٢ / ٣١٥ ، تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، تحقيق : هاشم الرسولي ، ط ٤ ، ١٤١٢ هـ ، مؤسسة أسماعيليان ، قم . إيران : ١ / ٢١١ ، حديث : ٧٩٨

٢ (من وحي القرآن : ٢ / ٢٦٢

٣ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٢ / ٦٠٥ ، مجمع البيان في تفسير القرآن : ١ / ٣٠٣

٤ (معاني القرآن ، للفراء : ج ١ / ٨٣

٥ (تفسير مجاهد بن جبر : ٢١٤

أما السيد فضل الله ، فهو يرى أن صبغة الله بمعنى الإيمان ، ولهذا رجح القول الأول على وفق قاعدة ظاهر الآية ، لأنه يرى أن ظاهر الآية السابقة ، في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ، يدل عليه ، فهو يقول ((ومن الواضح من حديث الآية السابقة عن الإيمان أن صبغة الله بيان لهذا الإيمان ، وهو يلتقي بالمعنى الأول ، لأن الإيمان يدخل في دين المرء)) (١)

الحالة الثالثة :

أن يكون الخلاف من قبيل خلاف التضاد ، ويتعذر معه حمل الآيات على الأقوال المجتمعة

فمثل هذا الخلاف لا بد فيه من ترجيح أحد الأقوال واعتماده في تفسير الآية ، ولا يمكن أن يفسر اللفظ بالقولين معاً في آن واحد (٢) ، كمثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء : ٤٣) ، وقد اختلف المفسرون في معنى سكارى إلى عدة أقوال :

الأول: إن المراد بها سكر الشرب، عن ابن عباس ومجاهد، وقالوا: ثم نسخها تحريم الخمر (٣)
 الثاني : إن المراد بها سكر النوم ، عن الضحاك (٤) ، ويعضد ذلك ما روته عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ((إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعوا على نفسه وهو لا يدري)) (٥)

١ (من وحي القرآن : ج ١ / ٤٦٦ . ٤٦٧)

٢ (منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، حسين علي الحربي : ٧٥)

٣ (تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ٩٣ ، تفسير مجاهد : ٢٧٥)

٤ (تفسير الضحاك (ت ١٠٥ هـ) ، تحقيق : محمد شكري أحمد ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٩ م ، دار السلام ،

القاهرة . مصر : ٢٨٨)

٥ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣ / ٧٨)

أما السيد فضل الله ، فهو يرى أن المراد بها سكر النوم ، حيث يقول : ((ربما كان القول الثاني أقرب إلى قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ما يوحى بأن الآية واردة في مجال معالجة الجو الروحي الواعي ، الذي ينبغي للمصلي أن يعيشه في حال الصلاة بحيث تكون هذه الفقرة دليلاً على صرف اللفظ عن معناه الظاهر بإرادة السكر بمعناه المتصل بسكر الشراب ((^(١) ، كذلك يرى أن الكلمة ليست مختصة فقط بسكر النوم بل تمتد إلى كل حالة غفلة ، فيقول : ((وعلى ضوء ذلك ، فلا تختص الكلمة بسكر النوم ، بل تمتد إلى كل حالة ذهول وغياب عن الوعي)) ^(٢) ، وإن السبب لترجيح السيد فضل الله لهذا المعنى ، لأنها وردت في القرآن الكريم ، في موضع آخر بمعنى النوم ، وما يدل على ذلك قوله : ((وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في هذا المعنى في قوله تعالى : { يَوْمَ تَذْهَبُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } (الحج : ٢))) ^(٣)

الحالة الرابعة :

أن يقوم الدليل على رد بعض الأقوال أو تضعيفها وأستبعادها ، لذا فإن رد هذه الأقوال يعتبر ترجيحاً لسواها من الأقوال في تفسير الآية ، حصراً للصواب فيها ، وهي من طرائق الترجيح المعتمدة ، كمثل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (الفرقان : ١٧)

١ (من وحي القرآن : ج ٤ / ٢٣٧)

٢ (المصدر نفسه : ج ٤ / ٢٣٧)

٣ (المصدر السابق : ج ٤ / ٢٣٧)

وقد اختلف المفسرون في شخصية هؤلاء المعبودين : احدهما : إن المقصود بهم الأصنام التي كان المشركون يعبدونها من دون الله ، فإن قيل لهم أن الوثن جماد فكيف خاطبه الله تعالى ؟ فقد رد عليهم بوجهين : (١)

احدهما : أن الله تعالى يخلق فيهم الحياة ، فعند ذلك يخاطبهم فيرددون الجواب .

ثانيهما : أن يكون ذلك الكلام لا بالقول اللساني ، بل على سبيل الحال ، ذكر بعضهم في تسبيح الأموات وكلام الأيدي والأرجل ، وكما قيل : سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً .

ثانياً : وقال الأكثرون : أن المراد هو الملائكة ، وعيسى ، وعزير (ع) (٢) ، وأستدلوا بقولهم هذا ، بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (سبا : ٤٠) ، وإن لفظة (ما) تستعمل لمخاطبة الجماد ، فكيف خاطب الله بها العقلاء ؟

وقد أجاب عن ذلك الشيخ محمد الصادقي صاحب تفسير الفرقان : ((التعبير عن أصلح الصالحين العقلاء ب (ما) لعله إخراجاً لهم عن أية مكانة حتى العقل ، فضلاً عن كونهم معبودين ، إضهاراً لواقع حالهم في ذواتهم لولا رحمة من الله ، ربما أن الله يستنتطق الأصنام فنقول ما هي في كيانها وطبيعتها ، فإن ما من شيء ألا يسبح بحمده)) (٣)

أما السيد فضل الله فهو يرجح القول الأول بناءً على قاعدة السياق ، حيث يقول : ((ولعل الأقرب هو القول الأول ، لأن أجواء الآيات يفتح على أجواء المشركين وما يعبدون من دون الله من الأصنام ، فلا بد أن تكون الآية شاملة لمعبودهم ، للإيحاء بأن هؤلاء لا ينفعونهم

١ (التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، محمد الرازي (ت ٥٤٤ . ٦٠٤ هـ) : ج ٢٤ / ٦١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ج ٧ / ٢٠٨ ،

٢ (تفسير مجاهد : ٤٩٦ ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري : ج ١٧ / ٤١٥ ، بدائع التفسير الجامع لما فسر ابن قيم الجوزية ، يسرى السيد محمد . صالح أحمد الشامي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ ، دار ابن الجوزي ، الدمام . السعودية : ج ٢ / ٢٥٤

٣ (الفرقان في تفسير الفرقان ، محمد الصادقي : ١٨ / ٢٨١

في الدنيا ، ولا يدافعون عنهم في الآخرة ، بل أنهم يكذبونهم في عبادتهم لهم ، أما بلسان الحال ، أو بإنطاق الله لهم بقدرته ، إذا كانوا من قبيل الأصنام ، ومما يقرب ذلك ، إن الآية واردة في مقام بيان أن المعبودين لا يملكون شخصية المعبود في ذاتيات وجودهم ، ولذلك فإنهم لا يؤيدون العابدين بطبيعة وجودهم أو بلسان حالهم ، وقد أستخدم القرآن هذا الأسلوب في الحوار مع الجمادات التي لاتملك حساً ولا شعوراً ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (فصلت : ١١) ، وعلى ضوء هذا فليس بمستبعد أن تكون الآية واردة في هذا الاتجاه))^(١)

ومن خلال هذه الحالات ، فقد تبين أن السيد فضل الله لم يعتمد على حالة واحدة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، فقد اعتمد عدة حالات في الترجيح ، فكان يرجح بين الأقوال التفسيرية وفق قاعدة ترجيحية أما أن تكون بالنص القرآني أو السياق أو الظاهر أو الأثر المروي وغيرها من القواعد التي ، سنوردها في المبحث اللاحق ، وأحياناً لم يعتمد على قاعدة في الترجيح ، فيذكر الأقوال ولم يرجح بينهما ولا يعقب عليها ، ومرة يذكر أقوال المفسرين ولم يرجح بين الأقوال ، ويعقب عليها بأنها من المعاني التي لا يعلم تفسيرها إلا الله تعالى

(١) من وحي القرآن : ١٣ / ٢٨٠ . ٢٨١

المبحث الثاني

قواعد الترجيح عند السيد فضل الله

هناك قواعد وضوابط وضعها علماء التفسير لدفع التنازع والاختلاف في تفسير آية من آيات القرآن الكريم ، كي يتوصل بها المفسر إلى التفسير الصحيح والاستنباط السليم في آيات القرآن الكريم ، وهذا ما نراه عند السيد فضل الله ، حيث تعرض في بعض آيات القرآن الكريم إلى اختلاف المفسرين فيها ، مبيناً القول الراجح فيها ، متعرضاً في بعض الأحيان إلى نقد الأقوال المخالفة .

ومن هذه القواعد التي اعتمدها السيد فضل الله ، منها ما يتعلق بالنص القرآني وظاهره وسياقه والقرائن ، ومنها ما يتعلق بالسنة المفسرة للقرآن والآثار ، ومنها ما يتعلق بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، ومنها ما يتعلق بلغة العرب التي نزل بها القرآن ، وغيرها من القواعد التي اعتمدها السيد في الترجيح بين الأقوال التفسيرية واختيار القول الراجح فيها ، والتي سنوردها في هذا المبحث .

المطلب الأول : قاعدة الترجيح بالنص القرآني :

غالباً ما يستدل المفسر في الترجيح بين أقوال المفسرين بآية أو آيات من القرآن الكريم ، أي إذا اختلف العلماء في تفسير آية من كتاب الله تعالى ، فيستدل المفسر بترجيح أحد الأقوال بآية أو آيات من القرآن الكريم ، لأن تأييد القرآن له يدل على صحته ، لأن القرآن الكريم أحسن الطرق في تفسير كتاب الله تعالى وأصدقها في الصواب ، وهو أعظم ما يفسر به القرآن الكريم .

أولاً : تعريف النص لغة وأصطلاحاً :

النص في اللغة :

قال الجوهري : (نصص) : نصصت الشيء رفعته ، ومنه منصة العروس ، ونصصت

الحديث إلى فلان ، أي رفعته إليه ، ونص كل شيء منتهاه))^(١)

١ (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري (٣٣٩ هـ) : ١٠٥٨)

قال ابن فارس : النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء ،
منه قولهم نص الحديث إلى فلان : رفعه إليه ، والنص في السير أرفعه ، ونص كل شيء
منتهاه^(١)))

قال ابن منصور : (نص) ((الارتفاع والظهور والتعيين ، وكل ما أظهر فقد نص ،
ومنه نصة العروس لظهورها وارتفاعها))^(٢)

أذن فالمعنى اللغوي للنص يدل على رفعة الشيء وأنتهائه ، ولهذا إن النص القرآني
أحسن وأرفع كلام ، وكيف لا يكون وهو كلام الله تعالى ؟

النص اصطلاحاً :

قيل : ((هو الصريح في معناه ، بحيث لا يشوبه احتمال في الدلالة على المعنى))^(٣)
إذن فالعلاقة بين المعنى اللغوي (وهو الرفع) والمعنى الاصطلاحي (ما يحتمل إلا معنى
واحد) ، ومعنى الرفع في هذه الجملة ، أخذ لازم النص وهو الظهور^(٤)

ثانياً : لمحة عن قاعدة الترجيح بالنص :

وهذا الوجه من الوجوه المعتبرة في الترجيح بين الأدلة المتعارضة ، فما كان موافقاً لآية
أو لآيات من القرآن الكريم ، فهو مقدم على غيره^(٥)

وإن تفسير القرآن بالقرآن من أحسن وأصح طرق التفسير في ذلك ، فما أجمل في مكان
، فإنه قد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في موضع فقد بسط في موضع آخر^(١)

١ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٣٥٦)

٢ (لسان العرب ، ابن منصور : ٧ / ٩٧ ، مادة (نصص))

٣ (قواعد تفسير القرآن ، خالد السبت : ٦٧١)

٤ (ينظر : أسباب الخطأ في التفسير ، محمود طاهر : ٨٨)

٥ (البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين بن عبد الله الشافعي (ت ٧٤٥ هـ . ٧٩٤ هـ) ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .

١٩٩٢ م ، دار الصفوة ، الغردقة ، ٦ / ١٧٥)

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع سابقاً بصورة مفصلة في الفصل الأول في المبحث الثاني ولا داعي للإطالة فيه لا بد أن نشير إلى أقوال العلماء في هذا الموضوع :

قال ابن تيمية في (مقدمة أصول التفسير) : ((إن أصح طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن ، وبين أن ما أجمل في مكان قد يفسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان قد يُبسط في موضع آخر)) (٢)

كما نص العز بن عبد السلام على هذه القاعده وهو يبين ضروب التفسير والترجيح بينهما ، حيث قال : ((قد يتردد المعنى بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع البعض ، ويترجح بعضها مع البعض ، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر ، أو السنة أو أجماع الأمة)) (٣)

كما نص ابن جزي الكلبي على هذه القاعده على أنها وجه من أوجه الترجيح عنده ، حيث قال : ((وأما وجوه الترجيح فهي إثنا عشر وجه ، الأول : تفسير بعض القرآن ببعض ، فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملنا عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال)) (٤)

وقد أشار السيد الخوئي إلى هذه القاعده ، فقال : ((وسيجد القاريء أني كثير ماأستعين بالآية على فهم أختها وأسترشد بالقرآن إلى ادراك معاني القرآن ، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً على هذه الاستفادة)) (٥)

كذلك من المفسرين من أهتم بتفسير القرآن بالقرآن هو ابن كثير ، حيث رجح بين الأقوال ، والناظر في تفسيره سيجد ذلك واضحاً وجلياً (١)

١ (خلاصة مقدمة أصول التفسير ، صالح بن عبدالله العصيمي : ١٨ ، أضواء البيان

٢ (مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية : ٩٣

٣ (الإشارة إلى الأيجاز في بعض أنواع المجاز ، العز بن عبد السلام : ٢٢٠

٤ (التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الكلبي : ج ١ / ٩

٥ (البيان في تفسير القرآن ، الخوئي : ٢٢

وأيضاً من المفسرين ، الذين أعتوا بتفسير القرآن بالقرآن ، هو العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) ، حيث يقول عندما بين أهم المقاصد من تأليفه : ((إن بيان القرآن بالقرآن على أن أجود أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله (جل وعلا) من الله (جل وعلا))) (٢)

أما السيد محمد حسين فضل الله ، فقد استعان في الترجيح بين أقوال المفسرين مستدلاً بآية أو آيات من القرآن الكريم ، حيث يرى أن تفسير القرآن بالقرآن من أرقى وأجود أنواع التفسير، باعتبار أن الآية تدل على معنى لآية أخرى (٣) ، بحيث يكون القرآن الأصل الذي يرجع إليه والمعيار الذي يتحكم إليه (٤)

كذلك وفي سياق الحديث عن موقع القرآن الكريم كمصدر رئيسي للمعرفة الإسلامية ، حيث يقول السيد فضل الله : ((وفي ضوء هذا فإن القرآن يمثل المصدر المعصوم للتصور الإسلامي الصافي لكل مجالات الحياة التشريعية والفكرية والعملية ، ويحدد لنا المفاهيم الأصلية التي ترتكز عليها الشخصية الإسلامية)) (٥)

ثالثاً : الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١. هوية الذين لا يعلمون : قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٨)

١ (ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٨ / ٢٥٥)
 ٢ (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٢٥ . ١٣٩٣ هـ) ، د ط ، د ت ، دار عالم الفوائد ، جدة . السعودية : ج ١ / ٨
 ٣ (الندوة ، محمد حسين فضل الله : ١ / ٢٣٨
 ٤ (السيد محمد حسين فضل الله مفسراً ، محمد الحسيني : ٥١
 ٥ (من وحي القرآن : ج ٢٤ / ٢٤٠ ، ط ٢

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في طبيعة الفئة التي عبر عنها القرآن بالذين لا يعلمون إلى أقوال :

الأول : أنهم النصارى ^(١)

الثاني : اليهود ^(٢)

الثالث : العرب ^(٣)

وقد أشار الشيخ الطوسي ، إلى هذه الأقوال حيث يرى أن هذه الأقوال كلها محتملة إلا أنه رجح القول الثالث ، فقال ((كل ذلك يحتمل غير أن مشركي العرب أليق ، لأنه يشاكل ما طلبو حين قالوا : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴾ (البقرة : ١١٩))) ^(٤) ، ويقوي الشيخ الطوسي في ذلك بقوله : ((وقال الذين لا يعلمون الكتاب ، فبين لهم أنهم ليس أهل كتاب . من اختار أن المراد بهم النصارى قال : لأنه قال قبلها وأتخذ الله ولدا ، وهذا لا دلالة فيه ، ولا يمتنع أن يذكر قوماً ، ويخبر عنهم ثم يستأنف قوماً آخرين فيخبر عنهم أن مشركي العرب قد أضافوا إلى الله البنات فدخلوا في جملة من قال : أتخذ الله ولدا)) ^(٥)

القول الرابع :

فقد رجح السيد فضل الله القول الثالث مستنداً على ترجيحه بآيات من القرآن الكريم ، حيث يقول : ((ولعله الأقرب ، لأنه أشبه بالمصطلح القرآني في الحديث عنهم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ تَعَالَى : كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ

١) تفسير مجاهد : ١٩٧

٢) الآء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي ، د ط ، د ت ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان : ج ١ / ١٢١ ، المقباس في تفسير ابن عباس :

٣) تفسير القرآن العظيم (مسنداً عن رسول الله (ص) والصحابة والتابعين ، عبد الرحمن بن محمد بن أديس الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٧ م ، مكتبة نزار مصطفى ، الرياض . السعودية : ج ١ / ٢٠٩

٤) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ج ١ / ٣٤٤

٥) المصدر نفسه : ج ١ / ٤٣٥

قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّتَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ البقرة: ٨١١، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة : ٦) ، وقد يتأكد ذلك من خلال دراستنا للطلبات التعجيزية التي كانت تقدم إلى النبي محمد (ص) في استحداث آيات جديدة مقترحة من قبل المشركين ، مما يلتقي بهذه الطلبات المذكورة في هذه الآية وهي أن يكلمهم الله وجهاً لوجه أو تأتيهم آية من الآيات التي كان يسمعون عنها في قصص الأنبياء))^(١)

٢. المراد بالوزن :

قال تعالى : ﴿ وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقَّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف : ٨)

اختلف المفسرون حول فقرة : ﴿ وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقَّ ﴾ ماهو المراد بالوزن ؟ ذكر فيه أقوال:

أولهما : أن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة ، وأنه لاظلم فيها على أحد ، عن مجاهد ، والضحاك ^(٢)

ثانيهما : إن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة ، فتوزن به أعمال العباد ، الحسنات والسيئات . عن ابن عباس ^(٣)

ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض لايجوز عليها الأعادة ، ولايكون لها وزن، ولاتقوم بأنفسها ، ف قيل : توزن صحائف الأعمال ، عن عبدالله بن عمر . وقيل : يظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة . عن ابن عباس . وقيل : توزن نفس المؤمن والكافر . عن عبيد بن عمر ، قال : يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة ^(٤)

١ (من وحي القرآن : ج ١ / ٤٠٩)

٢ (تفسير مجاهد : ٣٣٣ ، تفسير الضحاك : ٣٦١ . ٣٦٢)

٣ (تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ١٦٣)

٤ (بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦٨ / ٢٢٦)

ثالثهما : وذكر السيد الطباطبائي في الميزان ((أن الوزن يوم القيامة هو تطبيق الأعمال على ما هو الحق فيها ، وبقدر اشتماله عليه تستعقب الثواب ، وإن لم تشتمل فهو الهلاك ، وهذا التوزين هو العدل ، والكلام في الآيات جار على ظاهره من غير تأويل)) ^(١) ، ويتبين أن الطباطبائي قد فسر معنى الوزن : الحق ، حيث يقول : ((إن الوزن الذي يوزن به الأعمال يومئذ إنما هو الحق فيقدر اشتمال العمل على الحق يكون اعتباره وقيمته والحسنات مشتملة على الحق فلها ثقل كما أن للسيئات ليست ألا باطلة فلا ثقل لها ، فالله سبحانه يزن الأعمال يومئذ بالحق فما أشتمل عليه العمل من الحق فهو وزنه وثقله)) ^(٢) ، وهذا الرأي يتفق مع رأي سيد قطب حيث فسر معنى الوزن هو الحق ، حيث قال في تفسير معنى الآية ((فمن ثقلت في ميزان الله الذي يزن بالحق)) ^(٣)

القول الراجح :

أما السيد فضل الله فهو يتفق مع رأي الطباطبائي وسيد قطب ، فقال معلقاً على رأي الطباطبائي : ((ولعل هذا هو الأقرب إلى سياق الفقرة ، لأن الظاهر اعتبار الحق هو الميزان ، بحيث يكون الحق هو الأساس في النتائج الإيجابية والسلبية في مصير الإنسان ، وهذا هو الذي تؤكد الآية في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأنبياء : ٤٧) ، ^(٤) حيث يرى السيد فضل الله بأن المنتبغ لكلمات الوزن والموازن في القرآن الكريم تعطي نتيجة للأعمال وليس الأعمال نفسها ، وهذا ما يدل عليه قوله : ((والظاهر من كلمات الوزن والميزان والموازن التي تكررت في القرآن الكريم في مورد الحديث عن الأعمال بلحاظ النتائج المترتبة عليها في حساب ثواب الأعمال وعقابه مما لا علاقة له بالحجم المادي للأشياء ، الذي لا

١ (الميزان في تفسير القرآن : ج ٨ / ١٤)

٢ (المصدر نفسه : ج ٨ / ١١ . ١٢)

٣ (في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٣٢ ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الشروق ، القاهرة . مصر : ج ٨ / ١٢٦١)

٤ (من وحي القرآن : ج ٧ / ٢٥)

مجال له في عالم الأعمال التي هي حركة الإنسان في الواقع مما لا وزن له في الحسابات العينية المادية ، ويشكل العدل الإلهي المقياس لتقدير أعمال الإنسان ونتائجها)) (١)

٣ . المراد من النور :

قال تعالى : ﴿ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة : ١٥)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من النور ، بعضهم ، قال : يعني بالنور النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه يهتدي به الخلق كما يهتدون بالنور . (٢)

أما السيد فضل الله فيرى بأن معنى النور هو القرآن الكريم ، مستدلاً بآية من القرآن الكريم حيث يقول : ((لأننا في الوقت أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نوراً هادياً من خلال ذاته النورانية ، إلا أننا لا نجد أية كلمة وردت في القرآن بهذا المعنى ، بل أنها وردت بمعنى القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ الَّذِيْ اَنْزَلْنَا وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴾ (التغابن : ٨) (((٣)

٤ . الآية وعلاقتها بالجبر :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَرُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٤)

ذكر السيد فضل الله ختلاف المفسرين في علاقة الآية بالجبر إلى ما يلي :

الأول : فقد ذكر الرازي في كتابه مفاتيح الغيب أقوال المفسرين القائلين في الجبر في هذه الآية ، عن ابن عباس والضحاك : يحول بين المرء الكافر وطاعته ، ويحول بين المرء المطيع ومعصيته ، فالسعيد من أسعده الله والشقي من أضله الله ، والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ،

١ (المصدر نفسه : ٢٦ / ٧)

٢ (مجمع البيان ، الطبرسي : ٢٤٩ / ٣)

٣ (من وحي القرآن : ٩٥ / ٥)

فإذا أراد الكافر أن يؤمن والله تعالى لا يريد إيمانه يحول بينه وبين قلبه ، وإذا أراد المؤمن أن يكفر والله لا يريد كفره حال بينه وبين قلبه)) ^(١) ، حيث نرى أن الرازي يوافق ما ذهب إليه ابن عباس والضحاك ، وما يدل على ذلك قوله : ((وقد دللنا بالبراهين العقلية على إن صحة الأمر كذلك وذلك لأن الأحوال القلبية أما عقائد وأما الارادات والدواعي . أما العقائد : فهي أما العلم وأما الجهل ' أما العلم فيمتنع أن يقصد الفاعل إلى تحصيله إلا إذا علم كونه عالماً ولا يعلم ذلك إلا إذا علم كون ذلك الاعتقاد مطابقاً للمعلوم ولا يعلم ذلك إلا إذا سبق علمه بالمعلوم وذلك يوجب توقف الشيء على نفسه ، وأما الجاهل فالإنسان البتة لا يختاره ولا يريده إلا إذا ظن أن ذلك الاعتقاد علم ، ولا يحصل له هذا الظن إلا بسبق جهل آخر ، وذلك يوجب توقف الشيء على نفسه ، وأما الدواعي ولارادات فحصولها إن لم يكن بفاعل يلزم الحدوث لا عن محدث ، وإن كان بفاعل فذلك الفاعل أما العبد وأما الله تعالى ، والأول باطل ، وإلا لزم ذلك القصد على قصد آخر وهو محال ، فتعين أن يكون فاعل الاعتقادات والارادات والدواعي هو الله تعالى ، فنص القرآن على أن أحوال القلوب من الله ، والدلائل العقلية دلت على ذلك ، والحق ما ذكرناه)) ^(٢)

الثاني : معناه : قربه تعالى من العبد ، قال : الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) ((هو من باب التمثيل لقربه سبحانه من العبد كقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق : ١٦) ومعناه : أنه مطلع على ضمائر القلوب لا تخفى عليه خافية)) ^(٣)

القول الراجح :

أما السيد فضل الله ، فقد ذهب بعيد عن هذا الاراء التي فسرت معنى (يحول) بالجبر ، أما السيد فضل الله فقد فسرها بمعنى القدرة مستندلاً بآية من القرآن الكريم ، حيث يقول :

١ (التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، فخر الرازي (ت ٥٤٤ . ٦٠٤ هـ) : ج ١٥ / ١٥٢ ، تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة في تفسير القرآن الكريم ، تحقيق راشد عبد المنعم الرجال ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت . لبنان : ٢٥٠ ، تفسير الضحاك (ت ١٠٥ هـ) ، تحقيق : محمد شكري ، : ٣٨٧

٢ (التفسير الكبير مفاتيح الغيب : ج ١٥ / ١٥٢

٣ فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن عميره ، دار الوفاء : ٢ / ٤٣٠

((ولكننا نجد أن الآية بعيدة كل البعد، فهي ليست واردة في الحديث عن فعلية ذلك بأن الله يلاحق الإنسان فيما يفكر فيه أو يسعى إليه، فيحول بينه وبين قلبه فيه، بل هي واردة في مورد قدرة الله على ذلك على أساس إحاطته به وسيطرته عليه، وقد أقام الدليل العقلي على أن الله لا يجبر أحداً على الكفر كما لا يجبره على الإيمان، وإلا لكان تكليف الإنسان بالإيمان تكليفاً بغير المقدور، وهو قبيح عقلاً، ولما كان هناك وجه للأمر بالاستجابة لله والرسول، ولكانت الحجة للكفار على الله، ولم يكن حجة عليهم، وهو باطل جزماً بنص القرآن، وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الانعام: ١٤٩) ^(١)، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الشوكاني في تفسيره (فتح القدير)، حيث قال في معنى الآية: ((أن الله مطلع على ضمائر القلوب لا تخفى عليه منها خافية)) ^(٢) ، أي قدرته على معرفة ضمائر وقلوب الناس.

٥ . إبليس جن لا من الملائكة :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الكهف : ٥٠)
 ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين ، هل إن إبليس كان من الملائكة أم لم يكن من الملائكة ؟ ، حيث ذكر أقوالهم على النحو الآتي :
 القول الأول : ذكر السيوطي في الدر المنثور، عن ابن عباس ((أن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا)) ^(٣)
 القول الثاني : ذكر العياشي في تفسيره ، عن جميل بن دراج عن أبي عبدالله (ع) : قال : ((سألت عن إبليس أكان من الملائكة ؟ وهل كان يلي من أمر السماء الدنيا شيئاً ، كان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة تراه أنه منها ، وكان الله يعلم أنه ليس منها ، فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان)) ^(٤)

١ ينظر : من وحي القرآن : ٨ / ٥٥

٢ (فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : ٢ / ٤٣٠

٣ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٩ / ٥٦٥ ، وهذا الرأي أختاره أيضاً السيد محمد باقر الحكيم (ت ٢٠٠٣ م) ، ينظر : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، ط ٣ ١٤١٧ هـ ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم . إيران :

٤٧١

٤ (تفسير العياشي ، محمد بن مسعود السمرقندي : ٢ / ٣٥٤ ، البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني : ٥ / ٤٣

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل القول الثاني مستدلاً بآية من القرآن الكريم ، لأنه يرى أن الملائكة معصومون ، فكيف يعصون أمر الله تعالى عندما أمرهم بالسجود لآدم ، حيث قال معلقاً على القول الثاني : ((وهذا الذي أظهر حقيقته ، لأنه لو كان ملكاً لما عصى الله تعالى ، لأن الملائكة معصومون عن المعصية ، كما قال الله عنهم : { بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون }))^(١)

٥ . حلية زواج المتعة :

قال تعالى : ﴿ وَلِيُسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (النور : ٣٣)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في شرعية زواج المتعة كالآتي :

القول الأول : إن إباحة الاستمتاع موقوفة على النكاح ، ولذلك يحرم ما عداها ، لأن من لا يقدر على النكاح لعدم المال لا يقدر على شراء الجارية ، وهذا دليل على بطلان نكاح المتعة^(٢)

القول الثاني : الاعتراف بدخول المتعة موضوعاً في النكاح.^(٣)

القول الراجح :

أما السيد فضل الله فقد رجح القول الثاني ، وقد رد على منكري شرعية المتعة ، حيث قال : ((وقد حاول البعض أن يجعل من هذه الآية دليلاً على عدم شرعية المتعة ، لأنه فهم من كلمة النكاح الزواج الدائم ، فاستفاد منها أن الإنسان الذي لا يقدر عليه ، لا بد له من الاستعفاف وعدم اللجوء إلى أية وسيلة أخرى

١ (من وحي القرآن : ١١ / ٣٦٦)

٢ (ينظر : أحكام القرآن ، عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكنيا الهراسي (٥٠٤ هـ) ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .

١٩٨٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٤ / ٣١٤

٣ (الجامع لأحكام القرآن ، أبي عبدالله محمد بن عبدالله القرطبي ، صححه : هاشم سمير البخاري : ٢ / ٢٤٤

حيث ذكر السيد فضل الله الرد عليه : أن المتعة زواج مؤقت وهو أحد وسائل التشريع الإسلامي للحصول على العفة ، كما هو زواج الإماء

وقد استدل القائلون بالمتعة ، بقوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ (النساء : ٢٤) (١)

٦ . معنى لقاء الله :

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت : ٥)

اختلف المفسرون في المراد من كلمة (لقاء الله) إلى أقوال :

أحدهما : المراد بها الثواب ، أي من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله . (٢)

ثانياً : المراد بها لقاء الله في دار الآخرة (٣)

القول الراجح :

أما السيد فضل الله فقد رجح القول الثاني مستدلاً بآية من القرآن الكريم ، حيث قال : ((يراد بكلمة (لقاء الله) البعث في دار الآخرة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ١١٠))) (١)

١ (من وحي القرآن : ١٣ / ١٨٦)

٢ (التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزى الكلبي (ت ٧٤١ هـ) : ج ٢ / ١٥٥ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٣٠٧ / ٤ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧ هـ) ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٢٨٦ ، التفسير المنير في العقيدة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، ط ١٠ ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م ، دار الفكر ، دمشق . سوريا : المجلد العاشر / ٥٥٥

٣ (الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١٠٤)

٧ . مس الشيطان للنبي أيوب (ع) :

قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص : ٤١)

اختلف المفسرون في المراد من مس الشيطان إلى عدة آراء :

أحدهما : ما ذكره صاحب تفسير الكشاف ، حيث قال : ((الضر في البدن ، والعذاب في ذهاب الأهل والعيال ، فإن قلت : لم ينسبه إلى الشيطان ، ولا يجوز أن يسلطه الله في أنبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه ، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب ؟ قلت لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس ، سبباً في ما مسه الله من النصب والعذاب ، نسبته إليه وقد راعى الأدب في ذلك ، حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ، ولا يقدر عليه إلا هو)) (٢)

ثانياً : أما صاحب تفسير الميزان ، فقد ذكر ، إن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ، لمكان عصمتهم فهم في أمن من تأثير وسوسة الشيطان في نفوسهم ، وأنه من الممكن أن تكون الوسوسة في التأثير في أبدانهم وسائر ما ينسب إليهم بإيذاء أو إتعاب ، كما حكى الله تعالى عن فتى موسى : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ (الكهف : ٦٣) ، إضافة إلى بعض الأسباب العادية الطبيعية ، التي لا ينافي من إمكان تأثير الشيطان فيها ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة : ٩٠) (٣)

١) من وحي القرآن : ١٤ / ٢٠٦

٢) تفسير الكشاف ، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٤٦٧ . ٥٣٨ هـ) : ٥ / ٢٧١

٣) أنظر تفسير الميزان ، الطباطبائي : ١٧ / ٢٠٩ . ٢١٠

القول الراجح :

أما السيد فضل الله فكان له رأي آخر في هذه المسألة أن من خلال دراستنا لدور الشيطان في الأرض ، أنه لا يخرج من اجواء حركة الإنسان في اختياراته العملية المتصلة بأوامر الله ونواهيه لإضلاله بطريقة الوسوسة التي تدعوا الإنسان إلى الاستجابة في الانحراف عن الخط المستقيم ، وهذا ما عبر عنه الله في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ * ثُمَّ لَأَنبِتَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف : ١٦ . ١٧) ، وفي قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (إبراهيم : ٢٢) ، كما أنه لا يمكن أن يكون للشيطان تأثير في الجسد ، انما كون تأثيره في مدى ارتباط حركة العبد بالله ، وإننا نفهم من الجو القرآني ، أن الله يريد أن يعز الرسل برعايته وألطافه أمام إبليس ، فلا يتركهم تحت تأثيراته الذاتية المعقدة ، بل إن الله أراد ابعاد عباده المؤمنين عن سيطرة الشياطين ، وذلك هو قوله : ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ بَسِيطَر ﴾ (الحجر : ٤٢) ، وقوله تعالى في حكاية عن الشيطان في حوار مع الناس : ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (إبراهيم : ٢٢) ، وتوحي هاتان الآيتان توحيان بإعزاز الله تعالى لعباده عن أية سيطرة للشيطان.^(١)

٨ . المراد بالإماتتين والإحيائين :

قال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَّ وَأَحْيَيْنَا أَتُنَّ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (غافر: ١١)

وقد ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في تحديد هاتين الإماتتين ، وهذين الإحيائين على النحو الآتي :

(١) أنظر من وحي القرآن : ١٦ / ١١٧ . ١١٨

القول الأول : ذهب بعضهم أن الموتة الأولى هي التي تسبق وجود الإنسان ، والموتة الثانية هي التي تأتي بعد وجوده ، لتكون الحياة الأولى هي الحياة في الدنيا ، أما الحياة الثانية فهي حياة الإنسان بعد البعث في دار الآخرة (١)

القول الثاني : وذهب بعضهم إلى أن الموتة الأولى هي الإمامة عن الحياة الدنيا ، والإحياء للبرزخ ثم الإمامة عن البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة (٢)

القول الراجح :

أما السيد فضل الله فقد رجح القول الأول مستنداً إلى آيات من القرآن الكريم ، حيث قال : ((ولعل الأقرب إلى الذهن من خلال بعض الآيات القرآنية ، هو المعنى الأول ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (البقرة : ٢٨) ما يعني أن الله يعبر عن الحياة التي تسبق الحياة الدنيا ، بالموت ، مع ملاحظة إن القرآن لم يذكر شيئاً واضحاً عن حياة البرزخ وموته إلا في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) ، الأمر الذي يجعل الذهن متطلعاً إلى هذا العالم في حياته وموته من خلال الأسلوب القرآني)) (٣)

المطلب الثاني :

أولاً : قاعدة الترجيح بدلالة ظاهر القرآن :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على النبي محمد بلغة واضحة بيّنة ، حيث نرى الكثير من الآيات القرآنية واضحة المفهوم والدلالة لا تحتاج إلى تأويل لمعرفة معناها ، لأن الكثير من الآيات القرآنية يبرز معناها من خلال ظواهرها ، منها آيات التوحيد والأحكام ، حيث يحتج بها

١) ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي : ج ٨ / ٣٢٥ ، تنوير المقباس في تفسير أبْن عباس : ٤٩٥ ، تفسير الضحّاك

(ت ١٠٥ هـ) ، تحقيق : محمد شكري : ٧٢٩

٢) ينظر : تفسير الميزان : ١٧ / ٣١٣

٣) من وحي القرآن : ١٦ / ٢٣٨ . ٢٣٩

الله على المكلف إذا لم يعمل بها ، وبهذا جعل الله آياته حجة علينا ، فكيف يكون القرآن حجة علينا ولا يُعرف ظواهر آياته ؟ إذن لا بد أن يعرف القرآن من خلال ظواهره ، حيث نرى هذه القاعدة من القواعد المشتركة بين قواعد التفسير وقواعد الترجيح ، والترجيح بالظاهر من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء ، وقد استعمل السيد فضل الله هذه القاعدة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية

١ . تعريف الظاهر في اللغة والأصطلاح :

تعرضنا إلى تعريف الظاهر في اللغة والأصطلاح في الفصل الأول في المبحث الأول (ظاهر القرآن)

٢ . لمحة عن قاعدة الترجيح بظاهر القرآن :

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من القرآن الكريم ، فالأصل أن تحمل نصوص القرآن على ظواهرها ، وتفسر حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، ولا يجوز العدول عن ظاهر اللفظ إلا بدليل يدل عليه أو يرجع إليه .^(١)

وهذه القاعدة من القواعد المعتمدة عند المفسرين من الإمامية وأهل السنة .

قال الأصوليون من الإمامية : ((إن سيرة العقلاء حاكمة باتباع الظهورات من غير تقييد بأفادتها للظن فعلاً ، ولا بعدم الظن كذلك على خلافها قطعاً ، كما إن الظاهر عدم اختصاص ذلك بمن قصد أفهامه إذا خالف ما تضمنه ظاهر كلام المولى من تكليف يعمله أو يخصه ، وبصح به الاحتجاج لدى المخاصمة ، فإذا حرز المراد بحسب التفاهم العرفي ، فهو ، وإن لم يحرز الاحتمال لوجود قرينة ، فالأصل عدمها ، ولكن الظاهر يبني على المعنى الذي لولاه كان اللفظ فيه ابتداءً ، وإن كان الظاهر قرينية الموجود ، فالظاهر إن يعامل معه معاملة المجمل))^(١)

١ (ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن ، الشنقيطي : ٣٩٥ ، ينظر : منطق التفسير ، محمد علي الرضائي ، ترجمه : محمد الأزرق ، وهاشم بوطمسين ، ط ٥ ، ١٤٣٨ هـ ، مركز المصطفى العالمي ، قم . أيران : ٢٣٣

أما رأي أهل الجمهور ، حيث تبين من خلال كلامهم أنه لا بد للعمل بظواهر القرآن ، كما قال الشيخ عبد الرحمن العك : ((حكم الظاهر وجوب العمل بما دل عليه من الأحكام ، حتى يقوم دليل صحيح على تخصيصه أو تأويله أو نسخه حتى تُثبت به الحدود))^(٢) حيث إن هذا الظاهر يعم ظواهر الكتاب وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بصورة مفصلة في (الفصل الأول) في (المبحث الأول) ظاهر القرآن حيث نشير إلى بعض المسائل التي أشار إليها المفسر فضل الله في مسألة الظاهر منها :

٣ . منهج السيد فضل الله في الأخذ بظاهر القرآن :

وقد بين السيد فضل الله منهجه في الأخذ بظاهر القرآن ، حيث جعل القرآن هو المرجع الأساس للعقيدة والتوحيد والنبوة واليوم الآخر ، كما إن الظاهر القرآني حجة علينا ، باعتبار القرآن هو النور الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور ، حيث يقول في بيان منهجه في الأخذ بظاهر القرآن : ((فإن علينا أن نأخذ به ، ونلتزم بظواهره ما لم يخالف العقل القطعي ، أو تناقض مضموناً قرآنياً آخر ، لأن القرآن لا يخالف العقل القطعي ، ولا يناقض بعضه بعضاً ، فنؤمن بما جاء به ، ولا نتحفظ على ما دل عليه ظاهره، من خلال أفكار ذاتية سابقة من خلال نظريات فلسفية أو أحاديث قلقة مما أمرنا بطرحه، لأن ما خالف كتاب الله فهو زخرف))^(٣)

كما سجل السيد فضل الله موقفه من حيال بعض الظواهر القرآنية ، التي لا يمكن أن نحملها ونتصرف فيها حسب مدلولها الحرفي ، لأن الطريقة العقلانية في المفاهيم تقتضي بأن الظواهر حجة ما لم يكن هناك دليل يمنعها من الأخذ بها ، لأن هناك الكثير من القواعد لا بد من حملها على ما ينسجم معها من قواعد الاستعارة والكناية والمجاز ، كآيات التي تتحدث عن صفات الله تعالى ، كم في الآيات التي تتحدث عن وجه الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

(١) كفاية الأصول ، محمد كاظم آخوند الخراساني : ٢٨٦ ، ينظر : فرائد الأصول ، مرتضى الأنصاري (ت ١٨٦٥

م) ، ١٤١٩ هـ ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم . أيران : ١ / ١٤٠

(٢) أصول التفسير وقواعده : خالد عبد الرحمن : ٣٢٨

(٣) من وحي القرآن : ١٢ / ٤١٤

وَجْهَهُ ﴿ (القصص : ٨٨) ، أو عن يده الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة : ٦٤) ، وكذلك في قوله عز من قائل ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح : ١٠) ، توحى هذه الآيات بأن الله تعالى جسم كالأجسام ، ولما قام الدليل العقلي على أمتناع الجسمية عن الله تعالى ، حملنا هذه الآيات وأمثالها على مورد الاستعارة . (١)

وكذا الحال في مسألة ترجيع تسبيح الجبال والطير مع النبي داود (ع) ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ (سبأ : ١٠) ، حيث يرى السيد فضل الله إن ترجيع الجبال وتسبيح الطير مع داود وارد على سبيل الاستعارة ، حيث يقول : ((إذ يبدو أن ترجيع الجبال وتسبيح الطير وارد على سبيل الاستعارة ، تماماً كما يقول الناس إن الكون كله يتحرك معه ، أو يسبح معه ، ونحو ذلك .)) (٢)

٤ . الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . معنى خلافة الإنسان :

وقد ذكر السيد فضل الله معنيين للخلافة التي جعلها الله للإنسان :

أولها : الخلافة عن الموجودات السابقة عن خلق الإنسان ، انطلاقاً من بعض الأحاديث المروية التي تذكر أن هناك فصائل حية عاشت قبل خلق الإنسان وعاشت في الأرض فساداً ، ثم انقرضت وجاء بعدها الإنسان ليخلفها ، وهذه الموجودات تحمل صفة إنسانية

ثانيها : الخلافة عن الله ، وقد وردت عدة آيات بهذا المضمون ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (ص : ٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ

(١) ينظر : من وحي القرآن : ١ / ٢٠٠

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٥ / ٢٦٠

جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ (يونس : ١٤) ، وعلى هذا يكون معنى الخلافة إدارة الأرض وبناءها وأعمارها على وفق إرادة الله (١)

الرأي الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله الرأي الثاني على وفق قاعدة الظهور ، حيث : قال ((ولعل الرأي الثاني أوفق بظاهر الآيات ، لأن سياقها يوحي بأن الملائكة لم يطرحوا سؤالهم انطلاقاً من إفساد الإنسان في الأرض وسفكه الدماء فقط ، بل أعتبار أنفسهم مؤهلين لذلك ، وكان وحي الله إليهم في إطار بيان الخصائص التي يملكها هذا المخلوق ولا يملكونها هم ، ما يؤهله للقيام بامهمة الموكلة للخليفة ، فكأن القضية هي قضية الدور الذي يراد للخليفة القيام به ، لا مجرد خلق جديد يخلف الكائن القديم ، ولهذا كان الحوار منطلقاً من موضع الخصائص الموضوعية للخلافة الموجودة في الإنسان المفقودة في غيره)) (٢)

ويرى السيد فضل الله في ترجيحه للرأي الثاني ، لا ينكر ما ورد في الأحاديث من وجود خلق جديد ، قد تصلح هذه الأحاديث ، لأن تكون تفسيراً للسؤال المطروح ، وهو من أين عرف الملائكة هذا المخلوق الجديد ؟

وقد يكون الجواب عن هذا السؤال من خلال دراستهم للخصائص المادية التي يتميز بها الإنسان من وجود السلبيات التي تتوفر في كل عنصر أرضي مما يفسح له المجال أن يمارس مثل هذه السلبيات . (٣)

ومن هذه الأحاديث المأثورة ، ما جاء في تفسير العياشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((وما علم الملائكة بقولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ لولا أنهم كانوا قد رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء)) (١)

١ (ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٠٤)

٢ (من وحي القرآن : ١ / ٢٠٤)

٣ (المصدر نفسه : ١ / ٢٠٤)

٢ . معنى رافعك :

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٥٥

هران: ٥٥

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في معنى رافعك على النحو الآتي :

الأول : ما ذكره السيد الطباطبائي معنيين في بيان رافعك :

أحداها : يقصد به الرفع المعنوي ، حيث قال : ((إن المراد بالرفع الرفع المعنوي دون الرفع الصوري إذ لا مكان له تعالى من سنخ الأمكنة الجسمانية التي تتعاورها الأجسام والجسمانيات بالحلول فيها ، والقرب والبعد منها ، فهو من قبيل قوله تعالى في ذيل الآية {ثم إلي مرجعكم} ، وخاصة لو كان المراد بالتوفي هو القبض لظهور أن المراد حينئذ هو رفع الدرجة والقرب من الله سبحانه ، نظير ما ذكره الله في حق المقتولين في سبيله : قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ١٦٩ آل هران: ٩٦١ ، وما ذكره في حق ادريس (عليه السلام) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ

مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ٥٧ هريم: ٧٥

والآخر : رفعه بروحه وجسده حياً إلى السماء ، وهذا ما يشعر به ظاهر القرآن ، حيث إن السماء هي مقام القرب من الله تعالى ومحل نزول البركات ، ومسكن الملائكة . (٢)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الثاني استناداً على قاعدة ظاهر القرآن ، حيث يقول : ((وإننا نرجح الوجه الثاني من خلال ظاهر الآية ، لأن التعبير بالرفع إليه يوحي من الناحية التعبيرية بالجانب المكاني الذي يختص به ويمثل موقع العلو لديه الذي يتناسب مع علو مقامه

(١) تفسير العياشي : ١ / ٤٧ ، ح ٤

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٢٤٠ ، ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) : ١ /

١٤٧ ، ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني ، أبي الفضل شهاب الدين بن محمود الألويسي (

ت ١٢٧٠ هـ) ، د ط ، د ت ، دار أحياء التراث العربي : ٣ / ١٧٩

وسمو شأنه ، حتى إن كلمة ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩) توحى بذلك من خلال الذهنية الإيمانية التي تختزن في داخلها معنى اعتبار السماء بمعناها المادي الذي يجعلهم يتطلعون إليها هي المنطقة التي تمثل درجة العلو التي تنتسب إلى الله في مقابل الأرض التي دونها في درجة القرب المكاني ، ولو أراد الرفع المعنوي لكان الأقرب التعبير بالرفع بشكل مطلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة : ١١) ، أو في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم : ٥٧) ((^(١))

٤ . هل يؤمن الأنبياء والمعصومون مكر الله :

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في (أمن الأنبياء والمعصومون لمكر الله) كما يلي :

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٩)

لقد طرح صاحب (مجمع البيان) سؤالاً ، يقصد به هل يأمن الأنبياء والمعصومون مكر الله؟ ، تعليقا على قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ، قال : ((يُسأل عن هذا فيقال : إن الأنبياء والمعصومين آمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين ؟

وجوابه عن هذا من وجوه : أولها : إن معناها لا يؤمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون ، بدلالة قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (الدخان : ٥١)

ثانيها : أن معناها : لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرين ، والمعصومون لا يؤمنون عذاب الله للعصاة إلا الخاسرين ، ولهذا سلموا من واقعة الذنوب .

ثالثها : لا يأمن عقاب الله جهلاً بحكمته إلا الخاسرون . ومعنى الآية : الإنابة عما يجب أن

(١) من وحي القرآن : ٣ / ١٨٦ . ١٨٧

يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى ليسارع إلى طاعته ، واجتناب معاصيه ، ولا يستشعر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالتهالك في القبائح))^(١)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله الوجه الثالث بناءً على قاعدة ظاهر الآية ، لأن السياق فيها هو الحديث هي مسؤولية الناس أمام الله في تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وأن حكمته أقتضت أن يحارب المنحرفين عن خط الاستقامة ، وهذا يفرض الخوف من المسؤولية الإلهية لكل العباد ، والحذر من أي تقصير تجاه الله تعالى ، مما يعيش الإنسان حالة الخوف إلى جانب حالة الرجاء ، مما يستوي فيه المؤمن وغير المؤمن ، وإن اختلفت الدرجات ، لأن المسألة مرتبطة بالوعي الإنساني والإيماني لمقام الله ، ويبقى المنحرفون في غفلة عن مكر الله ، أما المؤمنون من الأنبياء والمعصومين والأتقياء فهم يبقون مع الله في خضوع إيماني ، ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أُنْهِمَ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (المؤمنون : ٦٠) ، من خلال عمق الإحساس في نفوسهم ، ويحدثنا الله تعالى عن نبيه ، مما يرشده إليه من القول : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنعام : ١٥)^(٢) ، وأيضاً جاء في نهج البلاغة : ((لا تأمن على خير هذه الأمة عذاب الله ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾))^(٣)

وبهذا فإن المؤمن مهما بلغت درجته ، حتى وإن كانت بمنزلة النبوة أو الإمامة ، فهو دائماً يعيش في حالة خوف ورجاء من الله تعالى .

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، ابي الحسن الطبرسي : ٤ / ٢٣٤)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ٧ / ١٦٨)

٣ (نهج البلاغة : ١٨٤ ، حكمة ٣٧٧)

٥ . الإنسان وغاية الخلق :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هود : ٧)

وقد ذكر السيد فضل الله ، رأي السيد الطباطبائي في الغاية من الخلق ، يقول السيد الطباطبائي : ((فإن قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ^١ ، يفيد أن القصد إلى تمييز من هو أحسن عملاً من غيره سواء كان ذلك الغير محسناً أم مسيئاً فمن كان عمله أحسن من سائر الأفراد سواء كانوا محسنين وأعمالهم دون عمله أم مسيئين كان تمييزه منهم هو الغرض المقصود من الخلقه)) ^(١) ويستدل بذلك ماورد من الحديث القدسي من خطابه تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لولاك لما خلقت الأفلاك) فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل الخلق ^(٢) ، وبهذا يرى السيد الطباطبائي أن الغاية من الخلق هو الشخص العامل في ذاته

القول الراجح :

ويرى السيد فضل الله أن الغاية من الخلق ، هو نتيجة العمل الصادر من ذلك الشخص ، وليس الشخص في ذاته ، مرجحاً لرأيه على وفق قاعدة ظاهر الآية ، حيث يقول : ((فإن الظاهر من الآية أن الغاية للخلق هو هذه الحركة الإنسانية في عبادة الله ، التي يتفاضل فيها الناس فيمن هو الأحسن عملاً ، بلحاظ طبيعة العمل لا بلحاظ الشخص العامل في ذاته ، فليست المسألة هي في تمييز من هو أحسن عملاً من غيره ، بحيث يكون القصد إلى الذات ليكون خلق الأفلاك لأجله ، إذ لا يتصور معنى لأن يكون الشخص غاية للخلق ، لأن الغاية في مثل هذا لابد أن تكون لمنفعة تتصل بصاحبها في حاجاته ، أو لتكون تشريفاً ذاتياً ، وهو ما لا نعقل معناه قبل وجوده الفعلي)) ^(٣)

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٤٦)

٢ (الأسرار الفاطمية ، محمد فاضل المسعودي : ٢٣١)

٣ (من وحي القرآن : ٩ / ١٦٩ . ١٧٠)

لأن السيد فضل الله فهم من خلال الآية إن ربط الحديث عن خلق السموات والأرض ،
وإثارة التسابق نحو العمل الصالح ، ينطلق من خلال الدور المميز لموقع الإنسان في عملية
الخلق وتحمله المسؤولية . (١)

٦ . معنى الأمانة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢)

وذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في معنى (الأمانة) على النحو الآتي :

الأول : هي الأحكام والفرائض التي أوجبها الله تعالى على العباد (٢)

الثاني : قيل : ((المراد بها العقل الذي هو ملاك التكليف ومناط العقل

الثالث : هي الأعضاء فالعين أمانة من الله يجب حفظها وعدم أستعمالها إلا فيما يرتضيه الله

الرابع : المراد بها أمانات الناس والوفاء بالعهود . (((٣)

الخامس : المراد بها الولاية الإلهية وهو الكمال الذي يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره ،
فيتولى هو سبحانه تدبير أمره (٤)

السادس : المراد بها ((التضحية بالمصلحة الفردية لصالح الجماعة ، لا لشيء إلا لوجه الله
والإنسانية ، لأن هذه التضحية قد بلغت من الثقل والضخامة مبلغاً لو عرضت على أقوى
مخلوق كالسموات والأرض والجبال لأشفق منها على فرض أنه يحس ويشعر)) (٥)

١ (ينظر : المصدر نفسه : ٩ / ١٧٠)

٢ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٨ / ١٤١)

٣ (الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ٣٥٨)

٤ (ينظر : المصدر نفسه : ١٦ / ٣٥٦)

٥ (التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م ، مطبعة أستاذ ، قم : ٦ / ٢٤٤)

القول الراجح :

وقد رجع السيد فضل الله رأيه ، مستنداً في ترجيحه على قاعدة ظاهر الآية ، وقد بين معنى الأمانة ، فقال : ((إن الظاهر من الآية المراد بها المسؤولية التي يتحملها الإنسان فيما يقوم به من أعمال وأقوال باعتبار أنها التي تتصل بالنتائج السلبية التي يخاف الإنسان من خلالها أن يتعرض لعقاب الله ، وهي التي يمكن أن يعرضها الله على مخلوقاته ، بأن تتحمل مسؤولية نفسها ، فتدير أوضاعها ، وتتحرك من موقعها الإرادي ، وهذا هو المعقول في ذلك كله))^(١)

وأيضاً نلاحظ على ذلك من خلال ظاهر الآية ، أن الله أوكل إلى الإنسان بتدبير أمر نفسه مما أراد الله منه ، بحيث يحمل الإنسان تدبير أمره بشكل مباشر^(٢) ، وبهذا فسر السيد فضل الله معنى الأمانة هي بمعنى المسؤولية المفروضة من الله على الإنسان والذي أراه ربما إن هذه المعاني المذكورة أنفاً ما عدا المعنى (الخامس والسادس) تصلح أن تكون مصداقاً من مصاديق معنى المسؤولية ، فالفرائض والأحكام تعد من الواجبات التي فرضها الله على المكلفين ، فأصبح كل مكلف مسؤولاً عن نفسه في أداء هذه الواجبات ، وكذلك العقل ، فهذه الجوهرة التي أودعها الله في الإنسان ، فأصبح كل أنسان مسؤولاً في توظيف عقله لكل منفعة تصب في مصلحة الفرد والمجتمع ، وكذلك أعضاء الأنسان ، فمسؤولية كل فرد أن لا يوظف أعضائه فيما يسخط الله ، وفي نفس الحال حفظ أمانات النس والوفاء بالعهود

٧ . المراد بالبحر العذب والبحر المالح :

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۚ ﴾ (فاطر : ١٢)

١) من وحي القرآن : ١٥ / ٢٣٩ . ٢٤٠

٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٥ / ٢٣٩

وقد ذكر السيد فضل الله قول السيد الطباطبائي في المراد بالماء العذب والماء المالح ، حيث يرى الطباطبائي ، أن الماء العذب هو المؤمن والماء المالح هو الكافر ، فيقول : ((وفي الآية تمثيل للمؤمن والكافر بالبحر العذب والمالح يتبين به عدم تساوي المؤمن والكافر في الكمال الفطري وإن تشاركوا في غالب الخواص الإنسانية وآثارها فالمؤمن باقٍ على فطرته الأصلية ينال بها سعادة الحياة الدائمة والكافر منحرف فيها ملتبس بما لا تستطيعه الفطرة الإنسانية وسيعذب بأعماله فمثلها مثل البحرين المختلفين عذوبةً وملوحةً فهما مختلفان من حيث البقاء على فطرة الماء الأصلية وهي العذوبة والخروج عنها بالملوحة وإن أشتراكا في بعض الآثار التي ينتفع بها)) (١)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله رأيه ، محتجاً بظاهر الآية ، فيرى أن التمثيل بالماء العذب والماء المالح هي مظهر من مظاهر قدرة الله الكونية ، وليس المراد بها تمثيل الماء العذب بالمؤمن والماء المالح بالكافر ، لأنه يرى إن هذا التمثيل بعيد عن مضمون الآية وسياقها ، حيث يقول : ((أن الظاهر من الآية ورودها في الحديث عن آيات الله الكونية ، في ما تمثله من دلائل التوحيد وعظمة القدرة ولا ظهور لها فيما ذكر من خلال المضمون والسياق)) (٢) ، وهذا الرأي يتفق مع ما ذهب إليه سيد قطب حيث يرى أن الحكمة من هذا التنويع للدلالة على التدبير حيث إن نظام هذا الكون قائم على موازنات ، ولا يصنع هذا النظام إلا الله خالق هذا الكون (٣) ، وأيضاً نرى أن هذا المضمون يتفق مع ما ذهب إليه صاحب تفسير الكشاف (٤)

والذي أراه أن ما ذهب إليه السيد الطباطبائي ربما لا يتفق مع معنى الآية ، فلو تطلعنا على الكلمات الموجودة في الآية لانجد فيها ذكر لكلمة المؤمن والكافر ، وكذلك إلى الآية التي قبلها ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ { والآية التي بعدها ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَرْءَ رَانَ

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٢٧

٢ (من وحي القرآن : ١٥ / ٣٣٨

٣ (في ظلال القرآن : ٢٢ / ٢٩٣٤

٤ (تفسير الكشاف ، محمد جواد مغنیه : ٢٢ / ٢٨٣

اللَّهِ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴿١﴾ ، فكلها تشير إلى الآيات الكونية التي تبين قدرة الله في الكون ، ولا نجد فيها تمثيل للمؤمن أو الكافر .

٨ . المراد بقطع السبيل :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَنتُمْ لَأَتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ (العنكبوت : ٢٨ . ٢٩)

وقد ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من قطع السبيل على النحو الآتي

الأول : المراد به قطع طريق التناسل أو إهماله ، وهو الطريق الذي جعله الله سبباً للتناسل من خلال إتيان النساء . (١)

الثاني : المراد بقطع السبيل قطع سبيل المارة بديارهم ، وكانوا يفعلون هذا الفعل بالذين يمرون من أمام ديارهم ، فيرمونه بالحجارة ، فإن أصابته كان هو أولى من غيره ، فيأخذون مال وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاضٍ يقضي بذلك (٢)

الثالث : المراد ((إتيان المنكر في النادي أن مجالسهم كانت تشمل على أنواع المنكرات والقبائح مثل الشتم والسخف والقمار ، وخذف الأحجار على من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط)) (٣)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الأول ، لأنسجامه مع ظاهر اللفظ ، مع العلم أنهم لم يكونوا تاركين لنكاح النساء ، لأن هذا الفعل قد تحول عندهم لشذوذ جنسي ، ونرى أن المفسر قد أيد رأيه برواية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال : ((ولعل الوجه الأول أقرب

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٨ / ١٨)

٢ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٦ / ١٢٧ ،

٣ (المصدر نفسه : ١٦ / ١٢٧)

لظهور اللفظ في ذلك ، ولعدم تعارف التعبير عن ذلك نكاح النساء بذلك ، وعدم تبادره إلى الفهم العرفي حتى على نحو الكناية ، مع ملاحظة أنهم لم يكونوا تاركين لنكاح النساء ، بحيث تحولت المسألة عندهم إلى شذوذ جنسي معقدٍ رافضٍ للوضع الطبيعي بشكلٍ مطلقٍ ، بل كل ما هناك ، أنهم الوضع المذكور ويمارسونه مما لا يؤدي إلى قطع التناسل)) ^(١) ، ويؤيد هذا القول ما رواه العديد من أصحاب الجوامع عن أم هاني بنت أبي طالب قالت : سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قول الله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : (كانوا يجلسون بالطريق فيخذفون ابن السبيل ويسخرون منه) ^(٢) ، ويرى السيد فضل الله بأن هذا الحديث وارد لتفسير الفقرة الأولى : ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾ ، لأن لفظه يتناسب معها ولا يتناسب مع الفقرة الثانية ^(٣)

٩ . هل الشهادة للرجعة أم للطلاق ؟

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَھُنَّ فَأَمْسِكُوھُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوھُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْھِدُوا ذَوُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّھَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ (الطلاق : ٢)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين بين قائل بأن الشهادة في هذه الآية على الطلاق وقائل بأنها للرجعة على النحو الآتي :

الأول : الاشهاد للرجعة ، قال القرطبي : ((الأشهاد للرجعة ، والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا للطلاق)) ^(٤)

١ (من وحي القرآن : ١٤ / ٢٣٦)

٢ (المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي : ٢٤ / ٤١١)

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ١٤ / ٢٣٧)

٤ (تفسير القرطبي : ١٨ / ١٥٧)

وذكر الفقهاء حكم الأشهاد في الفرقة والرجعة ؟

قال أبو حنيفة : الأشهاد مندوبٌ إليه في الفرقة والرجعة ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تباعتم ﴾ فإن الأشهاد مندوب في البيع لا واجب قال الشافعي وأحمد بن حنبل : الأشهاد واجب في الرجعة ومندوب في الطلاق. ^(١)

والفائدة من الأشهاد هو إذا مات الزوج أو الزوجة حتى لا يدعي أحدهما ببقاء الزوجية فيرث أحدها الآخر ، وفي هذا يقول القرطبي ((وفائدة الأشهاد ألا يقع بينهما التجاعد ، وألا يتهم في أمساكها ، ولئلا يموت أحدهما الآخر فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث)) ^(٢)

الثاني : وجاء في أحاديث الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وجوب الأشهاد في الطلاق ، كشرط في صحة الطلاق وجاء في الكافي عن أبي الصباح الكناني ، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال : ((من طلق بغير شهود فليس بشيء)) ^(٣)

وعن محمد بن مسلم قال : ((قدم رجلٌ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة ، فقال إني طلقت امرأتي بعدما طهرت من حيضها قبل أن أجامعها ؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : أشهدت رجلين ذوي عدلٍ كما أمر الله عز وجل ؟ فقال : لا ، فقال : أذهب فإن طلاقك ليس بشيء)) ^(٤)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الثاني ، مستنداً على قاعدة ظاهر الآية ، حيث قال : ((وهذا هو الظاهر من الآية ، باعتبار أن الموضوع الذي ورد في عنوان المسألة في الآيات

١) ينظر : روائع البيان في تفسير القرآن ، محمد علي الصابوني ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ . ١٩١٨ م ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت . لبنان : ٢ / ٦٠٢

٢) تفسير القرطبي : ١٨ / ١٥٨

٣) الكافي ، الشيخ الكليني : ٦ / ٧٣ ، باب الأشهاد في الطلاق ، حديث : ٢

٤) وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ١٥ / ٢٨٣ ، باب أشتراط صحة الطلاق بأشهاد شاهدين عدلين وإلا بطل وإنه لاتجوز فيه شهادة النساء ، حديث : ٧

هو الطلاق ، فلا بد من أن يكون الأَشهاد عائداً إليه ، أما الرجعة فهي من التفاصيل المترتبة عليه من خلال التخيير بينها وبين الفراق)) (١)

ويرى السيد فضل الله بأن التشديد في الأَشهاد كشرط في صحة الطلاق ، باعتبار أنه أبغض الحلال عند الله ، وكذلك لإفصاح المجال لإصلاح ذات البين بين الزوجين بفعل تدخل الشاهدين أو الأهل . (٢)

١٠ . المساجد لله :

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن : ١٨)

ذكر السيد فضل الله أقوال المفسرين في المراد ب (المساجد لله) على النحو الآتي :

الأول : المراد بالمساجد مواضع السجود ، وهي أعضاء السجود التي يُسجد عليها ، وهي : الجبهة والكفان والركبتان وأصابع الرجلين ، وهي الرواية المروية عن الإمام محمد الجواد (ع) عندما سأله المعتصم عن السارق من أي موضع يجب أن يقطع ؟ فقال : ((إن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع ، فيترك الكف . قال : وما الحجة في ذلك ؟ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : السجود على سبعة أعضاء : الوجه ، واليدين ، والركبتين والرجلين فإذا قطعت يده من المرفق لم يبق له يدٌ يسجد عليها ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ ، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ، ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ، وما كان لله لم يقطع)) (٣) . وجاء في (الكشاف) : قال رسول الله (صلى

١ (من وحي القرآن : ١٩ / ١٦)

٢ (ينظر : المصدر نفسه : ١٩ / ١٧)

٣ (تفسير العياشي : محمد بن مسعود السمرقندي (ت ٣٢٠ هـ) : ١ / ٣٢٠)

الله عليه وآله وسلم) : ((أمرت أن أسجد على سبعة آراب ، وهي : الجبهة والأنف واليدين والكفتان ، والقدمان)) (١)

الثاني : قيل : المراد بها المسجد الحرام ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) الجن: ٨١ ، قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا : ببيت المقدس)) (٢)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الثاني محتجاً بظاهر الآية ، حيث يرى أن المراد من المساجد هي الأبنية التي يقام بها العبادة ، وليس أعضاء السجود ، حيث يقول : ((فلا بد من العمل بالظاهر ، لأنه الحجة إذا لم تثبت حجة على خلافه ، وهو أن المراد بالمساجد هي أماكن العبادة التي يعبد فيها ويدعى ، للوصول بالناس إلى مقاصدهم من خلال رجوعهم إليه، وطلبهم منه ، وهذا مما يتناسب مع كلمة ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) الجن: ٨١، باعتبار ظهورها في إشراك غير الله في الدعاء)) (٣)

والذي أراه ربما أن هناك توجيه آخر للآية يتفق مع ما ذهب إليه السيد فضل الله غير ظاهر الآية ، وهو أننا لو تتبعنا مكان نزول الآية لرأينا أنها نزلت في مكة ، فلايات المكية تحمل ذات طابعاً عقائدياً ، والآيات المدنية تحمل ذات طابع تشريعي ، ولذلك فالأولى أن نحمل معنى هذه الآية على أماكن العبادة لخصوصية مكان نزولها في مكة.

ثانياً : قاعدة العدول عن الظهور القرآني :

نرى السيد فضل الله أحياناً يعدل عن ظاهر الآية في بيان معناها ، لأن العمل بظاهر القرآن في تفسير آياته لا يعني أنه عدم جواز العدول عنه مطلقاً ، حتى لا نبتعد عن مراد الله تعالى

١ (الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨) : ٦ /

٢ (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابه والتابعين ، عبد الرحمن بن محمد بن أدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) : ١٠ / ٣٣٧٨ ، ح ١٩٠٠٦

٣ (من وحي القرآن : ١٩ / ٢١٣

في بيان آياته الكريمة ، فعلى سبيل المثال من الآيات التي لا بد من العدول عن ظاهرها في تفسيرها تلك الآيات التي تحمل صفات الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، أو قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ **الفتح: ١٠** ، فإن هذه الآيات القرآنية إذا

حملناها على ظاهرها ، سنقع في مشكلة التجسيم ، وهذا محال عن الله سبحانه وتعالى ، وكذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ، فهذه الآية الكريمة لا يمكن أن نحملها على ظاهرها ، لأن العمى في هذه الآية يقصد به عمى البصيرة لا عمى البصر .

وأن العدول عن ظاهر القرآن لا بد أن يكون متفقاً مع مضمون القرآن الكريم ، والسنة القطعية أو العقل ، حيث يقول في هذه المسألة : ((إن الخروج عن ظواهر القرآن يجب أن لا يكون إلا بدليل قطعي من السن والعقل ، وبما ينسجم مع قواعد اللغة العربية وفنون بلاغتها وفصاحتها)) ^(١)

وأكد السيد فضل الله ، أن يكون العدول عن ظاهر القرآن مشروطاً بما يبرره ، حيث يقول في هذه المسألة : ((إن حمل القرآن على خلاف ظاهره لا بد فيه من حجة واضحة تقرب الفكرة الجديدة إلى الفهم العام بحيث تتبادر إليه بعد البيان)) ^(٢)

ويؤكد السيد فضل الله أنه لا يمكن العدول عن الظهور القرآني لمجرد الاستبعاد لأنه لا يصلح دليلاً على ذلك ، ولذلك فقد سجل اعتراضاته على بعض المفسرين في محاولاتهم في تفسير بعض ما يتصل بالغيب مما لا ينسجم مع الظهور القرآني ، فلا يجوز حملها على خلاف ظاهرها ، إلا إذا كان هناك دليل يدل عليها ^(٣)

الأمثلة التطبيقية على قاعدة العدول عن الظاهر :

١ . المراد من كلمة السكر :

١ (من وحي القرآن : ١ / ٢٣)

٢ (المصدر نفسه : ١ / ٢٢٨)

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ٢ / ٤٧٤)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء : ٤٣)

ويثير السيد فضل الله حول هذه الآية سؤال ، يقول : ((ماهو المقصود بكلمة سكارى ؟ هل المراد منها معناها الظاهر سكر الشراب ؟ وحينئذ يبرز سؤال آخر : ما معنى توجيه هذا الحديث عن الصلاة في حالة السكر للمؤمنين الذين حرم الله عليهم الخمر ؟ فكيف يطرح هذه الفرضية التي لا تتناسب مع صفة الأيمان التي يناديهم بها ؟ أو المراد بها المعنى (الكنائي) الذي يتحدث عن غياب الوعي الذي يشبه حالة السكر ، سواء كان في حالة النعاس الشديد ، أم حالة الذهول المسيطر على حالة الإنسان انطلاقاً من أزمة نفسية عنيفة؟))^(١)

حيث فسر السيد فضل الله كلمة (السكر) بسكر النوم ، لأنه يرى أن هذا التفسير هو أقرب إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَقُولُوا مَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، حيث تكون هذه الفقرة دليلاً عن صرف اللفظ عن معناه الظاهر ، ولا تختص هذه الكلمة بسكر النوم بل تمتد إلى كل حالة ذهول وغياب عن الوعي، فيكون الأساس هو الوقوف بين يدي الله تعالى في حالة من الخشوع والحضور الواعي .^(٢) حيث فسر السيد فضل الله كلمة (السكر) بهذا المعنى لأنها تنسجم مع قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج : ٢)^(٣)

٢ . المراد من التسبيح :

من قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الأسراء : ٤٤)

١ (من وحي القرآن : ٤ / ٢٣٦

٢ (المصدر نفسه : ٤ / ٢٣٧

٣ (المصدر السابق : ٤ / ٢٣٦

وقد ذكر السيد فضل الله ، ما أثاره السيد الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان) حول التسبيح في الموجودات الجامدة أو غير الناطقة ، ((تسبيحاً حالياً ، يتمثل الإنسان فيه مظاهر العظمة بوجودها بتنزيه الله وتعضيمه ، أو تسبيحاً قولياً ، باعتبار أن القول أو الكلام يكشف عما يدور في الضمير ، أو ربما يستعين البعض في بيان مقاصده بالإشارة بيده أو رأسه أو غيرهما ، أو ربما يستعين بكتابة أو نصب علامة فالتسبيح في هذه الموجودات الجامدة ليس من قبيل القول والكلام المعهود عندنا نحن البشر ، وقد سماه الله قولاً وكلاماً))^(١)

القول الراجح :

ويرى السيد فضل الله أنه لا يمكن حمل معنى التسبيح الوارد في هذه الآية على ظاهره ، لا بد من العدول عن صرف اللفظ عن ظاهره ، حيث يرى أن التسبيح في هذه الآية وارد على سبيل الاستعارة المجازية ، وأما ما يتوفر في الأحياء العاقلين ، فهو التسبيح الحقيقي الذي يصدر عن حياة ووعي وحركة في الفكر وأرادة في الذات ، مما يجعل ذلك قرينة عقلية على أرادة المعنى المجازي الذي يشير إلى المعنى الواقعي من خلال صورة المعنى.^(٢)

٣ . إيجاد الصلة بين المغفرة والفتح في شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمْ نِعْمَةً عَلَيْكَ وَيُهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح : ٢ . ١)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في إيجاد الصلة بين المغفرة والفتح على النحو الآتي:

القول الأول : ذكر الطبرسي إن العلاقة بين غفران ذنب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو معصوم في أقواله وأفعاله ، وبين الفتح يكون على النحو الآتي :

١ (الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٣ / ١٠٦)

٢ (من وحي القرآن : ١١ / ١٢٧)

منها : أن الذنب ليس ذنب النبي مع الله ، إنما ذنبه مع أهل مكة ، لأنهم يعتقدون أن دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام تمثل الذنب الكبير لأنها أدت إلى صراعات عسكرية وغير عسكرية ، قتلت الكثير من رجالهم ودمرت هيبته ، وبذلك كان الفتح الذي بدأ بصلح الحديبية وانتهى بفتح مكة ، وبعدها وقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليعفو عن المشركين بعد السيطرة عليهم ، ولأن عظمة عفو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحقهم يلغي كل الذنب في ماضيه ومستقبله ، وبهذا تكون كامة الفتح منسجمة مع التعليل بالمغفرة

أما نسبة المغفرة إلى الله ، على نحو المجاز منها : المراد بذنب أمته ، باعتبار أنه يمثل مسؤولية الأمة التي تتحمل معنوياً مسؤولية أعمال أتباعها منها : المراد ذنب أبويه آدم وحواء ببركته منها : باعتبار أن المسألة قائمة على الفرضية الطبيعية ، على أنه بشر يمكن أن يُخطئ ويصيب في المستقبل كما كان ذلك ممكناً في الماضي ، باعتبار أن هذا الفتح المبين الذي قام به يمثل العمل الأفضل الذي تسقط أمامه كل الذنوب ، بحيث يكون هو الحسنه التي لا تضر معه سيئة. (١)

القول الثاني : وهناك وجوه أخرى ، في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) تركز على أن غفران الذنب هو غفران ذنوب شيعة علي (عليه السلام) ماتقدم منها وما تأخر. (٢)

أما تأويل السيد فضل الله على هذين القولين فإن القول الأول الذي يعني إن للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذنباً متقدماً ومتأخراً ، فهذا القول لا يتناسب مع عصمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو كماله ، أو الشخصية النبوية التي تمثل النموذج القدوة ، وأن رسالته التي أنطلقت من الوحي ، لا بد أن درست مؤهلاته التي عاشها مدة أربعين سنة قبل الرسالة ، فكان مؤهلاً حمل الرسالة ، على أساس شخصيته التي لم يستطيع الناس الذين عاشو معه ، أن يسجلوا عليه أية نقطة سوداء في ما يرونه من ماضيه الشخصي ، وبهذا كانت

١ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٩ / ١٤٢ . ١٤٣)

٢ (بحار الأنوار : ١٧ / ٦٠١ . باب ١٥)

مسألة الذنب تتنافى مع هذا الماضي الطاهر المشرف الذي زاد حاضراً الرسالة حركية وقوة وإشراقاً وصفاء ...

أما تأويله على القول الثاني، فهو لا يعتقد بصحة هذه الرواية، لأنها لا تتسجم مع الأسس الفكرية الإسلامية، لأنه لا معنى لتحميله تلك الذنوب، كما لا معنى لاعتبار الفتح أساساً في ذلك ، في الوقت الذي لم يكن للشيعة فيه أي وجود واقعي في المجتمع الإسلامي .^(١)

القول الراجح :

يرى السيد فضل الله لا بد من تجاوز هذا اللفظ عن ظاهره ، حتى يتناسب مع شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيكون معنى المغفرة المحبة والرضوان ، نتيجة جهاده من أجل الدعوة ، فهو يقول في هذا المعنى : ((وعلى ضوء ذلك ، فلا بد من تجاوز هذا المعنى إلى ما يختزنه من إحياءات تتناسب مع صفاء العمق الروحي للشخصية النبوية ، ولعل الأقرب إلى الجو أن نستوحي من المغفرة معنى الرضوان والمحبة والرحمة ، باعتبار أنها تمثل نتائج المغفرة ، ليكون المعنى ، هو أن الله يمنحك رضوانه ومحبته ، في ما يوحي به من معنى إيجابي يستلزم أنتقاء المعنى السلبي ، باعتبار أن الفتح ، في ما يمثله ، هو الانطلاق الذي يفتح للإسلام باب الحياة الواسع الذي يدل الناس على الطريق إلى الله ، وقد جاهد النبي أقصى الجهاد حتى وصل إلى هذه النتيجة بتوفيق الله ورعايته ، ومن هنا كان سبباً في محبة الله له التي تشمل أول الجهاد قبل الفتح وآخره بعد الفتح))^(٢)

٤ . المراد في كيفية الإسراء :

في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الأسراء : ١)

١ (ينظر : من وحي القرآن : ١٧ / ٢٣٥)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ١٧ / ٢٣٦)

ذكر السيد فضل الله اختلاف الأقوال حول المراد في كيفية إسرائ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على النحو الآتي :

الأول : قيل : كان إسرائه بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى البيت المقدس ، ثم منه إلى السموات. (١)

الثاني : كان بروحه وجسده من مكة إلى بيت المقدس ، ثم بروحه من بيت المقدس إلى السموات (٢)

الثالث : إن الإسرائ كان بروحه وحصل لروحه أنواع من المكاشفات والمشاهدات (٣)

القول الرابع :

يرى السيد فضل الله أن الإسرائ بالجسد هو الظاهر ، وذلك لما توحىه كلمة (الإسرائ) من معاني الحركة والتنقل من مكان إلى مكان ولكنه يرى أيضاً أنه يمكن العدول عن ظاهر الآية، في بيان معنى (الأسراء) ، كما ورد في بعض الروايات حيث يقول في هذه المسألة : ((وإن هذا لا يمنع من الخروج عن الظاهر ، إذا قام دليل قطعي ينفيه)) (٤) ، كما في رواية عائشة في ما نقل عنها بعض الرواة ، أنها كانت تقول : ((ما فقد جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن الله أسرى بروحه)) (٥)

ولكن السيد فضل الله قد أشكل على هذه الرواية ، لأنه يرى أنها قد تكون اجتهاداً منها لا رواية ، لأنها لم تسند ذلك إلى ما سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما أنها لم تكن معه في ليلة الإسرائ (٦)

١ (الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي : ٣١ / ١٣

٢ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري (ت ٣١٠ هـ) : ١٤ / ٤٢٠

٣ (التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، محمد الرازي فخر الدين (ت ٦٠٤ . ٥٤٤) : ٢٠ / ١٥٢

٤ (من وحي القرآن : ١١ / ١٠

٥ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٩ / ٢٢٩

٦ (ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٠

المطلب الثالث : قاعدة الترجيح بالسياق القرآني :

يعد السياق من أهم القواعد التي أعتنى بها علماء التفسير ، وهذه القاعدة من القواعد المشتركة بين قواعد التفسير وقواعد الترجيح ، والترجح بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء ، وقد اعتمد السيد فضل الله هذه القاعدة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية .

أولاً : تعريف مفهوم السياق لغة واصطلاحاً :

وقد أفرد العلماء عدة تعاريف للسياق ، نذكر الأهم منها :

السياق لغة :

قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : ((السين والواو والقاف أصل واحد وهو حد الشيء ، يقال ساق يسوقُ سوقاً))^(١)

وأبن منصور قال : ((قد أتسافت وتساوقت الإبل تساوقاً ، وتقاودت ، فهي متتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً))^(٢)

وفي المعجم الوسيط : السياق : هو تتابع الكلام والأسلوب الذي يجري عليه .^(٣)

ومن خلال هذه التعاريف يتضح لنا أن معنى السياق هو التتابع والسير على طريق واحد ومنتظم من دون انفصال بينهم .

السياق اصطلاحاً :

قال السيد الصدر في تعريف السياق قال : ((نريد بالسياق : كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى ، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تُشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه

١ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ١١٧ ، مادة سيق

٢ (لسان العرب ، ابن منصور : ١٠ / ١٩٦ ، مادة ساق

٣ (المعجم الوسيط ، أبراهيم أنيس وآخرون : ٤٦٥

كلاماً واحداً مترابطاً ، أو حالة كالظروف والمناسبات التي تحيط بالكلام ، وتكون ذات دلالة في الموضوع)) (١)

وعرفه الباحث عبد الرحمن المطيري : ((هو بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والتراكيب والجمل القرآنية المرتبطة)) (٢)

وعرفه سعد الشهراني ، قال : ((إن السياق هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية وخارجية ، لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به ، أو حال المُخاطَب أو المخاطَب ، والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه)) (٣)

وكذلك عبد الرحمن العك ، وإن لم ينص على تعريف السياق ، ولكنه أشار إليه ، حيث قال في المنهج الذي يجب على المفسر نهجه : ((مراعاة التناسب بين الآيات ، فيبين وجه المناسبة ، ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن ، حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه ، وإنما هو آيات متناسبة ، يأخذ بعضها بعجز البعض)) (٤)

والسياق يشمل كل القرائن المحيطة بالآية سواء كانت قرائن متصلة سواء كانت لفظية كالسياق أم قرينة المقام ، وقرينة النزول ويقصد به الجو العام الذي نزلت فيه الآية ، وأيضاً يشمل القرائن المنفصلة المكانية والزمانية ، ولهذا أن ما ذكره السيد الصدر هو أوسع مما ذكر من تعريفات ، لأنه يحوي كل هذه القرائن المتصلة والمنفصلة التي ذكرناها. (٥)

١ (دروس في علم الأصول ، محمد باقر الصدر : ١ / ٩٠)

٢ (السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من طريق تفسير ابن كثير ، عبد الرحمن المطيري (رسالة ماجستير) ، جامعة أم القرى . كلية الدعوة وأصول الدين ٢٠٠٨ م : ٧٢)

٣ (السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة ، سعد بن محمد بن سعد الشهراني ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ ، الرياض . السعودية : ٢٩)

٤ (أصول التفسير وقواعده : عبد الرحمن العك : ٨١)

٥ (ينظر : قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكّر المبيدي : ٢٧٩)

ثانياً : أثر السياق في الترجيح :

للسياق أثر كبير في توجيه المعنى التفسيري ، وأستند الكثير من المفسرين على السياق القرآني في بيان مراد الله تعالى ، وأشار الكثير من المفسرين إلى السياق القرآني في تفسيراتهم :

وقد أشار السيد محمد فضل الله كثيراً من دلالات السياق في تفسيره ، في بيان وترجيح المعاني القرآنية ، حيث نراه يشكل على كثير من المفسرين الذين لم يتعاملوا مع السياق القرآني بدقة وموضوعية ، حيث يقول : ((ولعل مشكلة الكثير من المفسرين في تفسيراتهم لكلمات القرآن أنهم يحملونها على معناها الحرفي غير ملتفتين إلى أساليب البلاغة من الاستعارة والمجاز من خلال القرائن المتنوعة التي يحددها السياق العام للكلمة الذي قد يتحدث عن العمق المعنوي لا عن السطح المادي بطريقة الإيحاء))^(١)

وكذلك من المفسرين الذين أشاروا إلى السياق وأهتموا به ، السيد المدرسي صاحب تفسير من (هدى القرآن) ، قال : ((للسياق أثر كبير في بيان الواقع العلمي للقرآن ، والسبب : أن القرآن يلاحظ ارتباط آية بأخرى ملاحظة دقيقة ، ولا تتلاحق الآيات ولا الكلمات داخل آية واحدة ، ألا بأحدى علاقيتين : علاقة علمية أو تربوية))^(٢)

وأيضاً السيد الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) ، فقد أهتم بالسياق اهتماماً كبيراً ، حيث عده أحد القرائن المعتبرة على فهم الكلام ، والكشف عن معاني القرآن ، قال : ((وللسياق أثر واضح على فهم الكلام ، وكذلك أعتبر السياق دليلاً للفصل بين مكي القرآن ومدنيه ، وفي تحديد بعض الألفاظ القرآنية المبهمة ، كما أستخدم دليلاً في قبول بعض الروايات ورفض البعض الآخر ، كما أستعان في الترجيح بين القراءات ، كما عني بمسألة الترابط والمناسبة بين الآيات ، وكان حريصاً في بيان وجه المناسبة))^(٣)

١ (من وحي القرآن : ٧ / ٢٧)

٢ (ينظر من هدى القرآن ، المدرسي : ١ / ٦٢)

٣ (الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١ / المقدمة (ح))

وللسياق له دورٌ مهم في ترجيح أحد القول التفسيرية ، ويساهم في تحديد المعنى المراد من اللفظة ، ويقول مساعد بن سليمان الطيار : ((إن النظر في سياق الآيات من حيث سياقها ولحاقها يعين على تعيين القول الراجح ، وقد أهتم كثير من المفسرين بالسياق في ترجيح أحد لأقوال أو ردها لمخالفتها السياق ، وقد يكون اللفظ عاماً محتملاً لأكثر من معنى فيحدد السياق أحد هذه المعاني ، لأنه أولى به وأقرب إليه ، مع أن غيره من الأقوال محتمل)) (١)

ثالثاً : أنواع السياق

١ . السياق اللغوي :

ويقصد به النص الذي تذكر فيه الكلمة ، وما يحتويه من عناصر لغوية مختلفة تفيد الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة . (٢)

وللسياق اللغوي أثر واضح في تفسير (من وحي القرآن) ، إذ إن كثيراً ما يستشهد بالسياق في تفسير الآيات ، ويذكر كثيراً من المصاديق التي تدلنا على أستعماله الواسع للسياق اللغوي ، ومحاولة الإفادة منه في الكشف عن المعنى (٣)

ومثال ذلك : بيانه لفظة (الكفر) في قال تعالى: ﴿ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢] حيث فسر السيد فضل الله لفظة (الكفر) بالكفر الاصطلاحي الذي هو الكفر بالله ويكون ضد الإيمان لا الكفر المطلق الذي يقترب من المعنى اللغوي الذي هو (الستر) ، مستفيداً في مقابلة (الذين كفروا في هذه الآية ب (الذين آمنوا) في آية أخرى ، في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (البقرة : ٢٠٨) ، ويقول السيد فضل الله : ((إن الكلمة قد

(١) فصول في أصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار : ١٠١

(٢) ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين (رسالة ماجستير) ، عواطف كنوش ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٢ م : ٤٨

(٣) ينظر : البحث الدلالي في تفسير من وحي القرآن ، جابر محيسن عليوي ، ط ١ ، ٢٠١٢ م ، تموزه ، دمشق . سوريا : ٢٢٥ . ٢٢٦

تكون ظاهرة في السياق القرآني ، كما هي في الاستعمالات العرفية بالكفر المصطلح ، ولا سيما في الآيات التي يذكر فيها (الذين آمنوا) في مقابل (الذين كفروا) ، فإنها واضحة الدلالة على الكفر الذي يقابل الإيمان من ناحية المبدأ ^(١))

بينما فسر السيد الطباطبائي (الكفر) في هذه الآية بالكفر المطلق الذي يقابل الإيمان المطلق ، حيث عد السيد الطباطبائي الانحراف عن كل حقيقة من الحقائق الدينية يعد كفراً ، قال : ((الكفر المطلق في مقابل الإيمان المطلق ، بحيث يعد الانحراف عن كل حقيقة من الحقائق الدينية من تفاصيل العقيدة ، أو تغيير أية نعمة دينية كفراً ، وذلك من جهة ظهور كلمة (الكفر) في القرآن بالستر الذي يعم المعنيين ، وأن تزيين الحياة الدنيا لا يختص بالكفار اصطلاحاً ، وذلك اعتبر من مصاديق هذه الآية المؤمنين بالله الذين زينت لهم الحياة الدنيا فدعتهم إلى اتباع هوى النفس وشهواتها)) ^(٢)

٢. السياق الحالي :

وهو ما يلزم النص وما يحيط به من ظروف وملابسات ، أو ما يحيط اللفظ من ظروف التي تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب ، في أثناء التكلم ، فهذه الظروف تعطيها دلالتها التي يعطيها هذا النوع من السياق. ^(٣)

وهو عندما يساعد سبب النزول في توجيه الآية توجيهاً صحيحاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمُرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَبَّ الْإِيْتَاءُ أَوْ اِغْمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ ﴾ (البقرة : ١٥٨)

وقد استعان السيد فضل الله بأسباب النزول في الكشف عن معاني العبارات التي تبدو غامضة في ظاهرها ، وما يحيط بها من ظروف زمانية .

١) من وحي القرآن : ٢ / ١٨٦

٢) الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ١١٠

٣) ينظر : الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، حامد كاظم عباس ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الشؤون الثقافية ، العامة ، بغداد : ١٧٠

حيث ورد في أسباب النزول أن العرب كانوا يتخرجون في الطواف بين الصفا والمروة ، لأنهم يرون أن هذا العمل شرك كانوا يصنعونه في الجاهلية ، وفي ضوء هذا يكون الطواف على الحاج أو المعتمر واجباً ^(١)

ومن خلال ما يحيط بالآية من ظروف زمانية ومكانية يتضح ما ذكره السيد فضل الله : ((أن كلمة ﴿ فلا جناح ﴾ لاتفيد معنى الرخصة بمعنى الإباحة ، بل تعني عدم الحرج فيما أعتقدوه من منافاته لخط التوحيد ، تأكيداً لهم لعدم المنافاة ، فهي ليست من شعائر الشرك ، وإن نصبت الأصنام عليها ، بل هي من شعائر الله التي جعلها للمؤمنين ، لتكون موضعاً لعبادته ومقصداً للقرب إليه ، فكأنه قال إن لوجود الأصنام لا يمنع من العبادة)) ^(٢)

٣. قبول السياق :

كثيراً ما يعول السيد فضل الله على السياق في بيان وترجيح المعاني القرآنية من خلال الجو الذي يحيط بالآية .

وقد رودت الكثير من تعبيرات السيد فضل الله ب (الجو القرآني) ويقصد به السياق. ^(٣)

الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١. المراد من وسع كرسيه :

قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (البقرة : ٢٥٥)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من (وسع كرسيه) على النحو الآتي : حيث ذكر صاحب الكشاف أربعة أوجه في تفسير معنى (وسع كرسيه) : ((احدها : إن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض ، لبسطته وسعته ، وما هو إلا تصوير لعظمة ، وتخيل فقط لا كرسي ثمة ولا قعود ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً

١) أسباب نزول القرآن ، ابي الحسن بن علي الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، تحقيق : كمال بسيوني : ٤٩ . ٥٠

٢) من وحي القرآن : ١ / ٥٢٨

٣) ينظر : السيد محمد حسين فضل الله مفسراً ، محمد الحسيني : ٨٥

قَبْضَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿ (الزمر : ٦٧) من غير تصور قبضة وطي يمين ،

وأنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾

الثاني : وسع علمه ، وسمي العلم كرسيًا تسميةً بمكانه الذي هو كرسي العالم

الثالث : وسع ملكه ، تسميةً بمكانه الذي هو كرسي الملك

القول الرابع :

فقد رجع السيد فضل الله القول الثالث لأنه يرى إن هذا المعنى يفيد السلطة المطلقة

على المخلوقات كلها ، حيث يقول : ((وربما كان الأنسب بجو الآية المعنى الثالث ، الذي هو

يعطي معنى السلطنة المطلقة التي تتمثل في التدبير والإشراف ، وبذلك تتخذ كلمة ﴿ وسع ﴾

معنى الإحاطة والحفظ ، فتتسجم مع قوله تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ ، أي لا يجهد حفظهما

وتكون خلاصة المعنى : أن ملك الله وسعته يسعان السموات والأرض ، فهو الذي يدبرهما

وبرعاهما ويحفظهما من دون جهد ولا تعب ، لأن قوته لا تقف عند حدٍّ ، فلا معنى للجهد

وللتعب معها في أي حالٍ من الأحوال ، وفي أي موقعٍ من المواقع)) ^(١)

٢ . المراد ب (حبل الله) :

قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من (حبل الله) على النحو الآتي :

١ (من وحي القرآن : ٢ / ٤٢٧ . ٤٢٨)

الأول : أنه القرآن . (١)

الثاني : أنه دين الله الإسلام (٢)

الثالث : ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال : ((نحن حبل الله الذي قال { واعتصموا بحبل الله جميعاً })) (٣)

ويرى الطبرسي (صاحب مجمع البيان) أن حبل الله هو (القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام)) حيث يقول : ((والأولى حمله على الجميع ، والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ((أيها الناس إني تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) (٤) وما يؤيد هذا الوجه ما رواه أهل البيت (عليهم السلام) في كثير من مروياتهم : ((إنا إذا حدثنا بموافقة كتاب الله ، فلا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق كتاب الله)) (٥) ، بمعنى أن كلامهم ينطلق من كتاب الله لفظاً ومضموناً ، فمن تمسك بهما تمسك بكتاب الله

القول الراجح :

ويرى السيد فضل الله من خلال سياق أن حبل الله هو الإسلام الذي جمع الناس على الإيمان وأبعدهم عن العداوة والبغضاء ، مستندلاً بسياق الآية على قوله ، حيث يقول : ((والظاهر من سياق الآية أن (حبل الله) هو الذي أراد الله أن يجمع المسلمين ، أو أنه هو الذي جمعهم وأنقذهم من العداوة والبغضاء التي كانت تفتك بهم عندما كانوا كافرين ، في استحقاقهم في الدخول في النار التي أنقذهم الله منها . ومن الطبيعي أن هذه الآية الموجهة

١ (الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبي أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) ، تحقيق : عبدالله بن جمعة أبو طعيمة ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٥ م ، دار التفسير ، جدة . السعودية : ٨٩ / ٤

٢ (المقياس في تفسير ابن عباس : ٦٩

٣ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٢ / ٢٦٧

٤ (المصدر نفسه : ٢ / ٢٦٧ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٣ / ٧١١

٥ (بحار الأنوار ، الكليني : ٢ / ٢٥٠ ، حديث : ٦٣

للمسلمين جميعاً تتطلق في خط الوحدة المتمثلة بالإسلام الذي ينتمون إليه جميعاً ، وبالقرآن الذي يتضمن أصول الإسلام ومفاهيمه وتشريعاته ، ويؤمنون به جميعاً))^(١)

أما روايات أهل البيت (عليهم السلام) المفسرة لكلمة (حبل الله) ، فيرى فضل الله أنها واردة في بيان المصداق على أساس التطبيق ، وليس واردة في مقام التفسير ، باعتبار أن أهل البيت (عليهم السلام) يمثلون القرآن في التزاماتهم الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية^(٢)

والذي أراه أن كلمة (حبل الله) تكون واردة في بيان التفسير والمصداق معاً في معنى أهل البيت (عليهم السلام) ، كما ورد في حديث الثقلين فأوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التمسك بهما إلى جانب القرآن الكريم ، كما أن أهل البيت (عليهم السلام) هم ورثة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته من بعده ، كما أننا لو فسرنا هذه الآية ممكن أن تنطبق على أهل البيت (عليهم السلام) ، فمن اعتصم بأهل البيت (عليهم السلام) نجا من الضلالة ، كما أن الله تعالى أنقذ العرب برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غياهب الكفر والضلالة بعد أن كانوا أعداءً ، فكانوا على شفا حفرة من النار ، كما ورد في خطبة فاطمة الزهراء (عليهم السلام) الفدكية عندما خاطبت بعض سادات قريش قائلاً : ((فكنتم على شفا حفرة من النار ... تشربون الطرق ، وتقتاتون الورق ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب))^(٣)

٣ . من هم المخاطبون في هذه الآية ؟ :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (النساء : ٨)

١ (من وحي القرآن : ٣ / ٣١٨)

٢ (ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٣٢٨ . ٣١٩)

٣ (الأسرار الفاطمية ، محمد فاضل المسعودي ، تحقيق : عادل العلوي ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م ، امير ، قم . ايران : ٤٧٩)

وقد ذكر السيد فضل الله الآراء حول المخاطبين في هذه الآية على النحو الآتي :

الأول : قيل : إن المخاطب بذلك هم الورثة الذين يريد الله منهم أن يرزقوا هؤلاء الفقراء من الأقرباء واليتامى والمساكين شيئاً من نصيبهم صدقةً وإحساناً حيث كان لا سهم لهم في الميراث ^(١)

الثاني : قيل : ((إن المخاطب بذلك من حضرته الوفاة وأراد الوصية ، فقد أمر بأن يوصي لمن لا يرثه من المذكورين بشيء من ماله. ^(٢)

القول الرابع :

وقد رجح السيد فضل الله الرأي الأول معتمداً على سياق الآية ، حيث يقول : ((والظاهر أن الوجه الأول أقرب للسياق ، لأن الحديث يتركز في حالة حضورهم قسمة التركة ، وهذا مما لا يتناسب مع الوجه الثاني ، لأن حالة الاحتضار ليس حالة القسمة ، حتى لو كان الميت يريد الوصية لبعض الناس ، فهو لا ينطبق عليه عنوان القسمة الواردة في حالة الشركة الحاصلة بعد الموت من خلال الإرث)) ^(٣)

٤ . المراد بالعفو :

في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩)

ذكر السيد فضل الله أختلاف المفسرين في المراد (بالعفو) على النحو الآتي :

الأول : المراد من العفو ما كان متصلاً بالجانب المالي ، أي ما فضل من النفقة ، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ الفضل من أموالهم ، ليس فيها شيء مؤقت ، ثم نزلت آية الزكاة فصارت منسوخة بها ^(٤)

١ (ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٣ / ١٢٢)

٢ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣ / ٢٠)

٣ (من وحي القرآن : ٤ / ٨٠)

٤ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٤ / ٣٠٦ ، تفسير الضحاك (ت ١٠٥ هـ) ، تحقيق :

محمد شكري : ٣٧٨ . ٣٧٩

الثاني : المراد من العفو ما كان متصلاً بالجانب الأخلاقي ^(١)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني لأنه أن العفو ما كان متصلاً بالجانب الأخلاقي ولا علاقة له بالجانب المالي ، لأنه يرى ان سياق الآية يدل على ذلك ، حيث يقول : ((والظاهر من سياق الآية أنها متصلة بالمنهج الأخلاقي في التعامل مع الناس ، ولا علاقة لها بالجانب المالي)) ^(٢) ، وقد أكد السيد فضل الله قوله هذا بروايات ، ويؤيده ما جاء في (تفسير العياشي) ، عن الحسين بن علي بن النعمان ، عن أبيه ، عن سمع أبا عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) وهو يقول : ((إن الله أدب رسوله فقال : يا محمد ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾)) قال : خذ منهم ما ظهر وما تيسر والعفو الوسط)) ^(٣)

وجاء في (الدر المنثور) : ((أخرج ابن مردويه عن أنس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن مكارم الأخلاق عند الله أن تغفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك . ثم تلا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾)) ^(٤)

وأيضاً ما جاء في (الدر المنثور) : ((أخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ، عن إبراهيم بن ادهم قال : لما نزل الله : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرت ان آخذ العفو من أخلاق الناس)) ^(٥)

والذي أراه أن ما ذهب إليه السيد فضل الله لهو الأنسب ليس فقط من جانب سياق الآية حتى أن ظاهر الآية يساعد على ذلك ، إلا أننا لو تتبعنا ألفاظ هذه الآية لوجدناها ، تشير إلى

١ (ينظر : معاني القرآن الكريم ، ابي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط ١ ،

١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨ م ، مركز احياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة . السعودية : ٣ / ١١٩

٢ (من وحي القرآن : ٧ / ٣٢٧

٣ (تفسير العياشي : ٢ / ٤٦ ، ح ١٢٦

٤ (الدر المأثور في التفسير بالمأثور : ٧ / ٧١٢

٥ (المصدر نفسه : ٧ / ٧٠٨ ،

الجانب الأخلاقي ، ويتفق مع ما ذهب إليه السيد فضل الله أكثر المفسرين ، حيث يقول الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية : ((يكون العفو في قبول العذر من المعتذر ، وترك المؤخذة بالإساءة ، وقوله : ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعني بالمعروف ، وهو كل ما حسن بالعقل فعله أو في الشرع ، وقوله عز وجل : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أمر بالإعراض عن الجاهل : السفیه الذي أن كلمه سفه عليه وآذاه بكلامه ، وأمره إذا قام عليهم الحجة ، وبين بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصي أن يعرض عنهم ولا يجاوبهم في مكره يسمعه ، صيانة لنفسه عليهم))^(١)

وقد أشار الكثير من المفسرين إلى اتصال هذه الآية بالجانب الأخلاقي^(٢)

٥ . المراد من (وهم بها وهمت به) :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهْ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف : ٢٤)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من (هم بها) على النحو الآتي :

الأول : وهو ما ذكره السيد الطباطبائي في تفسير (الميزان) فهو يرى أن (الهم) الوارد في هذه الآية مخالف عن المعنى اللغوي في المراد من (الهم) ، لأنها بعيدة عن مقام وعصمة الأنبياء (عليهم السلام) ، حيث يقول : ((بأنه مخالف لما ورد في اللغة من معنى الهم ، وهو القصد إلى الفعل ، مع مقارنته ببعض الأعمال الكاشفة عن ذلك ، من حركة إلى الفعل المراد ، أو شروع في بعض مقدماته ، كمن يريد ضرب رجلاً فيقوم إليه ، وأما مجرد ميل الطبع ومنازعة القوة الشهوانية فليس يسمى همّاً البتة ، والهم بمعناه اللغوي مذموم لا ينبغي صدوره من

١ (التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٥ / ٦٢)

٢ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ٣٧٩ ، زبدة التفاسير ، فتح الله بن شكر الله الكاشاني ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم : ٢ / ٦٣٨ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الحمين بن محمد الثعالبي : ٣ / ١٠٦ ، تفسير البغوي ، حسيني بن مسعود البغوي : ٢ / ٢٦٠ ، تفسير روح البيان : إسماعيل بن منصفى الحقي : ٣ / ٢٩٨)

نبي كريم ، والطبع وإن كان غير مذموم ، لخروجه من تحت التكليف ، لكنه لا يسمى هماً))
 (١) ، حيث كان هذا رده على البيضاوي ، حيث ذكر في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)
 ، حيث فسر (الهم) بمعنى القصد من إتيان الفعل والاندفاع إليه ، حيث يقول : ((وقصدت
 مخالطته وقصد مخالطتها ، والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم
 بالشيء أمضاه ، والمراد بهمه (عليه السلام) ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
 ، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه
 عن الفعل عند قيام هذا الهم ، أو مشاركة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله)) (٢) ، ولكن هذا
 لا ينسجم مع مقام النبوة .

الثاني : وهو ما ذكره الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن) ، حيث يرى إن (الهم)
 هو بمعنى ميل الشهوة إليها ، حيث يقول : ((إن معنى قوله : ﴿ وهم بها ﴾ اشتهاها
 وما طبعه إلى ما دعت إليه ، وقد يجوز أن تسمى الشهوة هماً على سبيل التوسع والمجاز ، ولا
 قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى)) (٣)

الثالث : الهم بمعنى الضرب ، وهذا مما رواه الصدوق في (عيون أخبار الرضا (عليه السلام))
 ، عن ابن أبي الصلت الهروي عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في حديث أنه
 ((قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال : يا ابن رسول الله ، أتقول بعصمة الأنبياء ، قال :
 فما تعمل في قول الله عز وجل في يوسف (عليه السلام): ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ ؟
 فقال الرضا (عليه السلام)... وأما قول الله عز وجل في يوسف : ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ :
 فإنها همت بالمعصية ، وهم يوسف بقتلها إن أجبرته ، لعظم ما تداخله ..)) (٤)

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٣٩)

٢ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي (٦٤١ هـ) : ٣ / ١٦٠)

٣ (مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥ / ٣٠٠)

٤ (عيون أخبار الرضا ، الصدوق)

أما تعليق السيد فضل الله على هذا القول : ((والجواب عن تفسير معنى الهم بالضرب : أنه لا دليل عليه ، وأما مجرد اتفاق على ذلك في بعض نظائر القصة فليس يوجب حمل الكلام عليه من غير قرينة تدل على ذلك))^(١)

الرابع : ذكر الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، أن المراد (بالهم) حل الهميان يعني (السروال) وجلس منها مجلس الخائن ، عن ابن عباس^(٢) وأيضاً ذكر الطبري المراد بالهمين مختلفين ، هي همت مخالطته ، هو قصده أن يضربها للدفاع عن نفسه .^(٣)

ويرى السيد فضل الله إن هذا خلاف الظاهر :^(٤)

وأيضاً ذكر في رواية عن علي بن محمد بن الجهم عن الرضا (عليه السلام) قال : ((... ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق (عليه السلام) ، أنه قال : همت بأن تفعل ، وهم بأن لا يفعل ، فقال المؤمنون : لله درك يا أبا الحسن))^(٥)

ولكن السيد فضل الله والسيد الخوئي قد ضعفا هذه الرواية ، لضعف علي بن الجهم ، لأنه نصب العداء للإمام علي (عليه السلام) ، فكان يلعن أباه وعندما سُئل عن ذلك ، فقال : بتسميتي علي.^(٦)

والذي أراه إن ما ذكره الطبري في هذين القولين لا يتناسب مع مقام وعصمة النبوة ، فإنهم منزّهين عن الخطأ فكيف يفعلون كبائر الذنوب وهو الزنا وأما ما ذكره في القول الثاني : فهو بعيد عن شخصية وصفات الأنبياء (عليهم السلام) ، لأنهم يرشدون الناس ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان الأولى أن يعرضها بدلاً من أن يضربها

١ (من وحي القرآن : ٩ / ٣٧٤)

٢ (ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٣ / ٨٦ ، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ٢٤٨)

٣ (ينظر : المصدر نفسه : ١٣ / ٨٥)

٤ (ينظر : من وحي القرآن : ٩ / ٣٧٤)

٥ (عيون أخبار الرضا ، الصدوق : ١ / ١٧٩)

٦ (ينظر ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، الخوئي (ت ١٤١١ هـ) : ١٢ / ٣٢٣ ، رقم : ٧٩٨٤)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله رأيه ، معتمداً على سياق الآية ، حيث يرى أن معنى الهم هو الانجذاب الغريزي نحو الشهوة من دون قصد ، ولكن العصمة قد حالت بينه وبين الانجذاب إليها ، حيث يقول : ((والظاهر من السياق العام للآية هو ما ذكرناه من أن الذي حدث ليوسف (عليه السلام) هو الانجذاب الغريزي العفوي ، من خلال إحساس الجسد بالإثارة من دون قصد للفعل في أندفاع الأنفتاح الذهني نحو ذلك في تحريك الإرادة وكاد أن ينجذب إليها لولا أن أدركته العصمة ، من خلال ما أعطاه الله من العلم والحكم والإخلاص الذي يمنع أحاسيس جسده من السيطرة عليه . وهذا هو ما يوحي به قوله تعالى : ﴿ لولا أن رأى برهان ربه

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾)) ^(١)

وبهذا يكون معنى ﴿ وهم بها ﴾ هي حالة شعورية يتحرك فيها الإنسان من دون تفكير ، لأن من الطبيعي لأي شاب يعيش في أجواء الإثارة أن ينجذب إليها ، تماماً كما هي في حالة غريزة الجوع في أفرزاتها الجسدية عندما يشم رائحة الطعام ، وهذا الموقف يتبين فيه المؤمن من غير المؤمن وكان موقف يوسف (عليه السلام) ، فقد أحس بالانجذاب نحوها لا شعورياً ، إنما استجابة لذلك الإحساس ، ولكنه توقف وتراجع ، ورفض الحالة بحزم وشدة وتصميم ، لأن موقفه ليس متعمداً كما هو موقفها المتعمد ^(٢)

وهذا الرأي لم يتفرد به السيد فضل الله ، إنما ذهب إليه جلّ من المفسرين ، منهم الطبرسي وقد أشرنا إليه آنفاً وأشار إليه ابن أبي الجامع العاملي ، قال ﴿ وهم بها ﴾ : ما طبعه

١ (من وحي القرآن : ٩ / ٣٧٥)

٢ (ينظر : المصدر نفسه : ٩ / ٣٧٢)

إليها ، فهمه منازعة الشهوة الطبيعية ، لا القصد الاختياري ، فلا قبح فيه ، إذ لا اختيار فيه ، إنما معه يُمدح ويُثاب من كف نفسه عن العمل)) (١)

وأيضاً ذهب إليه العلامة عبدالله شبر في تفسيره قال : ((﴿ و همت به ﴾ : قصدت مخالطته ، ﴿ وهم بها ﴾ ، : مال طبعه إليها ، لا القصد الاختياري ، والمدح لمن كف نفسه عن العمل)) (٢)

كما ذهب أيضاً إلى هذا التفسير ، العلامة المشهدي في تفسيره : قال : ((﴿ وهم بها ﴾ : ميل الطبع ومنازعة الشهوة ، لا القصد الاختياري ، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف ، بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف عن العمل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم)) (٣)

أما المراد من : قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف: ٤٢ فقد ذكر السيد فضل الله فيه عدة احتمالات ذكرها على النحو الآتي :

الأول : هو اللطف الإلهي لعباده في حالات الشدة ، أو العصمة النبوية ، وهذا ما ذكره الشيخ الطوسي من أن المراد من برهان ربه عدة احتمالات هي : ((أن يكون البرهان لطفاً لطف الله تعالى في تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الأمتناع عن المعاصي ، وهو الذي أقتضى كونه معصوماً ويجوز أن تكون الرؤيا بمعنى العلم ، أو هو ما دل الله تعالى يوسف على تحريم ذلك

١ (الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، علي بن الحسين ابن ابي الجامع العاملي (ت ١١٣٥ هـ) ، تحقيق : الشيخ مالك المحمودي ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، دار القرآن الكريم ، قم . ايران : ٢ / ٩٩
٢ (تفسير القرآن الكريم ، عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ) ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، دار البلاغة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان : ٢٤١ .

٣ (كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد بن محمد بن رضا المشهدي ، تحقيق : حسين دركهايي ، ط ١ ، ١٣٦٨ هـ ، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي ، ايران : ٦ / ٢٩٤

الفعل ، وعلى من فعله استحق العقاب ، لأن ذلك صارف عن الفعل ومقوي لدواعي الامتناع ((^(١)

الثاني : حصلت له اليقضة من موقفها عندما سترت الصنم ، كما جاء في الدر المنثور : أخرج ابو النعيم في الحلية ، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، في قوله : ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ ، قال : طمعت فيه وطمع فيها ، وكان من الطمع أن هم بحل التكة ، فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه ، فقال : أي شيء تصنعين ؟ فقالت : أستحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة ، فقال يوسف (عليه السلام): تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب ولا أستحي من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : لا تتالينها مني أبداً ، وهو البرهان الذي رأى ((^(٢)

والسيد الطباطبائي يرى أن هذه الرواية من الموضوعات ، فقد علق على هذه الرواية ، فقال: ((والرواية من الموضوعات كيف وكلامه [أي الإمام علي (عليه السلام)] وكلام سائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مشحون بذكر عصمة الأنبياء ، ومذهبهم في ذلك مشهور ؟ على أن سترها الصنم وانتقاله من ذلك إلى ما ذكره من الحجة لا يعد من رؤية البرهان ، لأن هذه الروايات آحاد لا يعول عليها))^(٣)

وكذلك السيد فضل الله أيضاً له نفس التوجيه على هذه الروايات ، فهو يرى أن هذه الروايات لا تتسجم مع شخصية النبي يوسف (عليه السلام) ، لأنه من عباد الله المخلصين ، وقد أتاه الله من عنده حكماً وعلماً ، فكيف يجوز أن يغفل عن ذكر ربه بينما المرأة لم تغفل عن ذكر ربه الصنم ؟ فهذا بعيد عن عصمة النبوة ، كما أن هذه الروايات تتحدث عن إقدام يوسف

١ (التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : ٦ / ١٢٤

٢ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٣ / ٨٩

٣ (الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٧١

على المعصية بعزمٍ وتصميم ، وهذا لا يمكن الأخذ به ، فالأولى طرح هذه الرواية لضعفها في السند وفي المتن معاً ^(١)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الأول ، بناءً على سياق الآية ، فهو يرى أن معنى (برهان ربه) هي العصمة التي جعلها الله في ذات النبي ، حيث يقول : ((فالظاهر من السياق أن المراد من البرهان الإلهي هو النور الذي اشرق في قلبه ، فانفتحت له من خلال ذلك كل عناصر العلم والحكمة في حركة العصمة في الذات)) ^(٢) .

٦ . المراد من الرؤيا :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (الأسراء : ٦٠)

وقد ذكر الطبرسي عدة وجوه في (المراد بالرؤيا) على النحو الآتي :

((أحدها : أن المراد بالرؤيا رؤية العين ، وهي ما ذكره في أول السورة من إسرائ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى بيت المقدس ، وإلى السموات في ليلة واحدة ، إلا أنه لما رأى ذلك ليلاً وأخبر بها حين أصبح سماها رؤيا .

ثانيها : أنها رؤية نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة ، فقصدها فصدده المشركون في الحديبية عن دخر لها ، حتى شك قوم ودخلت عليهم الشبهة ، فقالوا : يارسول الله : أليس أخبرتنا أنا ندخل المسجد الحرام آمنين ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أوقلت لكم إنكم تدخلونها العام ؟ قالوا لا ، فقال : لندخلها أن شاء الله ، ورجع ثم دخل مكة في العام القابل ، فنزل : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾

١ (ينظر من وحي القرآن : ٩ / ٣٨١)

٢ (المصدر نفسه : ٩ / ٣٨١)

ثالثها : أن ذلك رؤيا رآها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في منامه ، أن قروداً تصعد منبره وتنزل ، فسأه ذلك واغتم به ، وروى سهل بن سعيد عن أبيه أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى ذلك ، وقال : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستجمع بعد ذلك ضاحكاً حتى مات ، وروى سعيد بن يسار أيضاً ، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وأبي عبد الله (عليه السلام)، وقالوا على هذا التأويل أن الشجرة ملعونة في القرآن هي بنو أمية ، أجبره الله سبحانه بتغلبهم على مقامه ، وقتلهم ذريته))^(١)

رابعاً : أن يكون ما رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مصارع المشركين يوم بدر ، وهو ما ذكره صاحب تفسير (الكشاف) : ((ولعل الله أراه مصارعهم في منامه ، فقد كان يقول حين ورد ماء بدر : ((والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ، وهو يوميء إلى الأرض ، ويقول : هذا مصرع فلان ، هذا مصرع فلان)) فتسامعت قريش بما أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من يوم أمر بدر ما رأى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء))^(٢)

وقد علق السيد فضل الله على الآراء المذكورة :

فهو يرى أن الرأي الأول خلاف الظاهر الكلمة التي تدل حسب إطلاقها على ما يراه الإنسان في المنام .

أما التفسير الثاني ، فهو لا ينسجم مع الطبيعة المكية للسورة ، مما لا يتفق مع رؤيا دخول مكة التي كانت في المدينة ، حيث كانت متأخرة عن مورد نزول الآية

أما التفسير الرابع ، فهو ضعيف لأنه لا دليل على وجود الرؤيا من هذا القبيل في هذا الشأن ، لأن ما ذكره الله من منام الرسول يوم بدر ، هو ما يتعلق بحجم الأعداء لا بمصارعهم .^(٣)

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٦ / ٢٠١ . ٢٠٢)

٢ (الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل : ٣ / ٥٢٧)

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٦١)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الثالث من خلال كلمة (الإحاطة) التي بينت الأحداث المستقبلية التي جرت على الإسلام ، حيث ذكر : ((وبذلك يكون التفسير الثالث أقرب إلى الذهن وإلى جو الآية ، من خلال ما توحى به كلمة (الإحاطة) من الانفتاح على الأشياء المستقبلية ، المتصلة بحركة الإسلام في المستقبل ، فيما يريد الله أن يعرف به رسوله ، بما ينتظره دينه من تطورات على صعيد التطبيق في حركة الواقع ، كما أن مفهوم الفتنة يلتقي بالواقع المنحرف ، الذي يقود إلى الارتباك أكثر مما يلتقي بما يختلف الناس حوله من الأخبار ومن الأمور التي تؤكد هذا التفسير ، التقاء روايات أئمة أهل البيت (عليه السلام) الذين هم حجة في تفسير القرآن بروايات غيرهم من أهل السنة ، وانسجامه مع حركة الآية ، في تحذير الناس من الانحراف عن خط الله ، من خلال الواقع المنحرف الذي يقودهم إلى الهلاك)) (١)

والذي أراه أن مذهب إليه السيد فضل الله هو الأنسب ، من خلال الأحداث التي جرت على الإسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حيث صعد على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفاسق والفاجر وسب آل بيت النبوة على المنابر ، وقد أشار إلى هذا التفسير الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان) ، في رواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) ، أن ذلك رؤيا رآها في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل ، فسأه ذلك ، وفي رواية : فأنزل الله عليه جبرائيل وأخبره ما يكون من تغلب أمر بني أمية على مقامه وصعودهم منبره. (٢)

كما أشار إلى هذا التفسير السيد هاشم البحراني صاحب تفسير (البرهان) ، في رواية عن أبي الطفيل ، قال : كنت في مسجد الكوفة فسمعت علياً (عليه السلام) يقول : وهو على

١ (ينظر : المصدر نفسه : ١١ / ١٦١ . ١٦٢)

٢ (ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٦ / ٤٩٤ ، ينظر : مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ، : ٥ /

المنبر وناداه ابن الكواء ، وهو في مؤخرة المسجد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن قول الله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ ، فقال : (الأفجران من قريش ، ومن بني أمية) ((^(١)

٧ . المراد ب (ولا تعجل بالقرآن) :

في قوله تعالى : ﴿ قَتَّاعَى اللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه : ١١٤)

ذكر الطبرسي عدة وجوه في معنى (ولا تعجل بالقرآن) على النحو الآتي :

((الأول : إن معناه : لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل (عليه السلام) من إبلاغه ، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقرأ معه ، ويعجل بتلاوته مخافة النسيان . أي : تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته ، ولا تقرأ معه ، ثم أقرأ بعد فراغه منه . وهذا كقوله: ﴿ ولا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾

الثاني : إن معناه : ولا تقرأه لأصحابك ، ولا تمله عليهم ، حتى يتبين لك معانيه

الثالث : إن معناه : ولا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه ، لأنه تعالى إنما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة))^(٢)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله الوجه الأول لأنه الأقرب إلى سياق الآية ، فقال : ((ولعل الوجه الأول هو الأقرب إلى سياق الآية الذي يدل على أن هناك قرآناً نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي استعجل قراءته قبل أن ينتهي الوحي بتممة الآية أو الآيات ، وهو

١ (البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني : ٤ / ٥٧٥

٢ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٧ / ٤٤

المراد في قوله : ﴿ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيِهِ ﴾ . وربما كان في قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ توجيه لها بأن يستزيد من الآيات بما تتضمنه من العلم الذي يزيد علمه به (١)

وليس السيد فضل الله وحده ممن تفرد بهذا الرأي ، فقد أُنْفِقَ معه ابن عطية في تفسيره ، حيث ذكر : أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخاف وقت نزول جبرائيل عليه أن ينسى من القرآن فكان يقرأ قبل أن يتم جبرائيل (ع) قراءته ، فنزلت في ذلك ، وهي على هذا في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (القيامة : ١٦) (٢) .

٨ . آداب التعامل مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

في قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاءُ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور : ٦٣)

ذكر السيد فضل الله عدة وجوه في توجيه هذه الآية :

الوجه الأول : هو الالتزام في الأدب الإيماني في التعامل مع الرسول ، في ما يدعوهم إليه في قضايا ترتبط برسالته ، أو ترتبط في إدارته وقيادته في الشؤون العامة للمسلمين ، عندما يدعوهم إلى العمل الصالح ، أو ليشاورهم في أمور الحرب والسلم ، أو يدعوهم إلى الصلاة جامعة ، وعليهم أن يعتبروا دعوة الرسول ملزمة ، كما هي العبادات في ذاتها ، ولا ينظروا إلى دعوته كما ينظروا إلى دعوة بعضهم بعضاً ، لأن طبيعة علاقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمسلمين تختلف عن علاقة المسلمين بعضهم مع بعض ، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يمثل القيادة والمسلمين يمثلون القاعدة ، لأن علاقة القاعدة بالقيادة تتصل بالجانب المصيري في تنظيم المجتمع من أجل سلامة خطه وتوازن موقعه . (٣)

١ (من وحي القرآن : ١٢ / ١٨١)

٢ (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي : ٤ / ٦٦)

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ١٣ / ٢٥٠)

الثاني : أن المراد به : ((أن لا تتادوه كما ينادي بعضكم بعضاً ، أي : لا تسموه إذا دعوتموه :
يا محمد ، ولا تقولوا : يا ابن عبدالله ، ولا يا أبا القاسم ، ولكن شرفوه وعظموه في الدعاء ،
فقولوا : يا رسول الله ، ويا نبي الله)) ^(١)

الثالث : أن المراد به دعاؤه عليهم لو أغضبوه ، أي : لا تتعرضوا لمواقع دعائه عليكم ،
فتستهينونه كما يستهين أحدكم بدعاء صاحبه عليه ، فإن الله لا يرد له دعاء ^(٢) .

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الأول ، بناءً على قاعدة سياق الآية ، حيث قال : ((
ولكن الأقرب هو ما ذكرناه من الوجه الأول ، لأن سياق الآية مع الآيات التي قبلها ، يوحي
بأن الجو هو جو الطاعة والانسجام مع خط قيادته في إدارة شؤون الأمة ، كما أن الفقرة التي
بعدها توحى بذلك أيضاً)) ^(٣)

والذي أراه أن ما ذكره السيد فضل الله هو الأقرب إلى الواقع ، في الالتزام في أوامر
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فأوامره تُعد حجة لأن قوله هو قول الله عزوجل ، لأن الله
تعالى أراد أن يؤدب المسلمين في كيفية التعامل مع القيادة العليا المتمثلة برسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) ، والامتداد الرسالي لها هم أهل البيت (عليه السلام) ، كما قال تعالى : ﴿ يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

٩ . المراد ب (يوم الفتح) :

في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴾ (السجدة : ٢٨ . ٢٩)

١ (التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٧ / ٤٦٦ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٧ / ٢٠٢)
٢ (ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري (ت ٣١٠ هـ) : ١٧ / ٣٨٨ ، ينظر : التبيان في تفسير
القرآن ، الطوسي : ٧ / ٤٦٦)
٣ (من وحي القرآن : ١٣ / ٢٥٠)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد ب (يوم الفتح) على النحو الآتي :

الأول : قال الفراء : المراد به فتح مكة ^(١)

الثاني : الفتح هو القضاء بعذابهم في الدنيا ، وهو يوم بدر ^(٢)

الثالث : هو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة ، وكانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله

عليهم ، فقالوا لهم : متى هذا الفتح ؟ أي متى هذا الحكم فينا ؟ ^(٣)

الرابع : المراد به : ((يوم القيامة)) وهذا ما اختاره الطبرسي ، عن مجاهد ^(٤)

القول الرابع :

وقد رجح السيد فضل الله القول الرابع بناءً على قاعدة سياق الآية ، فهو يرى أن يوم الفتح هو يوم القيامة ، حيث يقول : ((والظاهر من سياق هذه الآية وانسجامها مع سياق الآيات المتكررة التي تتحدث عن عدم انتفاع الكافر بإيمانه يوم القيامة ، ما يوحي بأن المراد بيوم الفتح يوم القيامة)) ^(٥)

وقد بين السيد فضل الله سبب رفضه للأقوال الأخرى حيث قال : ((ولا تتسجم مع فكرة أنه يوم بدر ، إذ لا معنى للحديث عن الإيمان بعد القتل ، كما لا معنى لأن يكون المراد فتح مكة ، لأن الإيمان مقبولٌ بعد ذلك)) ^(٦)

١٠ . المراد من (اللوح المحفوظ) :

في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج : ٢١ . ٢٢)

١ (معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧) : ٢ / ٣٣٣ ، التبيان في تفسير القرآن : ٨ / ٣١٠

٢ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٨ / ٧٨

٣ (ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٢١ / ٧٣

٤ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٨ / ٧٨ ، تفسير مجاهد (ت ١٠٢ هـ) ، تحقيق : محمد عبد السلام ابو النيل : ٥٤٥ ، ينظر : التفسير الوسيط هبة الزحيلي ، د ط ، ٢٠٠٠م ، دار الفكر ، دمشق . سوريا : ٢٠٥٠

٥ (من وحي القرآن : ١٥ / ٩٦

٦ (المصدر نفسه : ١٥ / ٩٦

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من (لوح المحفوظ) على النحو الآتي :

الأول : علو مجده ورفعة منزلته ، فهو الكتاب الذي لا يقترب إليه الباطل لامن بين يديه ولا من خلفه ومحفوظ من التحريف ومن الزيادة والنقصان ، فهو المرجع لكل حقيقة . (١)

الثاني : ومن المفسرين من فسره تفسيراً مادياً ، ينطلق من أجواء غيبية من حيث جمعه ، ولم يستدلوا بذلك على نص ثابت . (٢)

القول الراجح :

وقد رجح السيد فضل الله القول الأول بناءً على قاعدة سياق الآية ، حيث قال : ((والظاهر من السياق هو ما ذكرناه ، من التأكيد أن هذا القرآن الذي أنزله الله وحفظه ، هو الذي يمثل الحجة التي تمنع المكذبين من الاستناد إلى أية قاعدة لتكذيبهم ، لأن حجة القرآن فوق كل حجة ، وهو المحفوظ بإرادة الله وقدرته وعلمه ، فلا يعرضه التحريف والتبديل ، بل يبقى نوراً يضيء للناس طريق المعرفة بالله وبرسالته .)) (٣)

٢. قاعدة العدول عن السياق :

يمكن للمفسر أن يعدل عن السياق إذا وجد هناك دليلاً يصلح لتأييد تفسيره ، ونرى السيد فضل الله كثيراً ما يعدل عن السياق في تفسيراته بعد أن يقدم دليلاً يصح عدوله

(١) ينظر : من وحي القرآن : ٢٠ / ٩٠ ، ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا ، د ط ، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ، الرياض . السعودية : ٩١٩

(٢) ينظر ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ١٠ / ٢٤٦ ، ينظر : فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن عميره : ٥ / ٥٥٦

(٣) من وحي القرآن : ٢٠ / ٩٠ . ٩١

الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . فاعل (زين) :

في قوله تعالى : ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران : ١٤)

ذكر السيد فضل الله الاختلاف في فاعل (زين) على النحو الآتي :

الوجه الأول : أن فاعل (زين) هو الشيطان لا الله ، وذكر صاحب تفسير (الميزان) : أولاً : فلأن المقام ذم الكفار بركونهم إلى هذه الشهوات من المال ولأولاد واستغنائهم بتزينها لهم عن الله سبحانه ، والأفضل أن لا تنسب إلى الله تعالى هذه الزينة الشاغلة عن ذكره

أما ثانياً : لو كان هذا التزيين المنسوب إلى الله تعالى ، لكان المراد به ، الميل الغريزي للإنسان إلى هذه الأمور ، فكان الأنسب أن يقال : زين للإنسان أو لبني آدم ، كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ (التين : ٤ . ٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (الإسراء : ٧٠) ، وأما لفظ الناس ، عرفاً أنه يستعمل في الموارد التي فيها ، إلغاء التمييز ، أو حقارة الشخص ، أو دناءة الفكر ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ أَلاَّ يَكُونُوا ﴾ وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ الحجرات: ١٣

أما ثالثاً : لأن الأمور التي عدها الله تعالى بياناً لهذه الشهوات لا تناسب التزيين الفطري ، لأن لأنسب عليه أن يبدل لفظ النساء بما يؤدي معنى مطلق الزوجية ، ولفظ البنين بالأولاد ، ولفظ القناطر المقنطرة بالأموال ، لأن الحب موجود عند الرجال والنساء معاً ، كما هو مغرور في الأولاد والأموال^(١)

(١) الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ١١٨ . ١١٩

الثاني : أن فاعل (زين) هو الله تعالى ، لأن الآية تتجه في بيان الشهوات الدنيوية التي خلقها في الإنسان من خلال الغريزة التي أودعها الله فيه ، فأنها فانية ، في مقابل ما وعد الله عباده من نعيم في الآخرة ، الأمر الذي يريد الله الإنسان أهتمامه أخروية لا دنيوية (١) .

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، لأنه أنه يرى لا بد من العدول عن سياق الآية ، لما ورد في سورة الأعراف آية (٣٢) ، يقول : ((ومن خلال ذلك نفهم أن قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ **الأء راف ٢٣** ، المتفق في مضمون الآية في نسبة الزينة إلى الله ، باعتبار أنه أخرجها لعباده ، تماماً كما هو تزيين الله للناس حب الشهوات ، لأنها هو الذي أثارها في وجودهم ، مع كون السياق مختلفاً ، من حيث انطلاق تلك الآية لرفض فكرة حرمتها ، بينما كانت هذه الآية في سياق اعتبارها حالة طبيعية من حالات الإنسان الذي يراد له أن يحركها في اتجاه الآخرة لا أن يسقط أمامها في أجواء الأستغراق في الدنيا)) (٢)

٢ . المراد من معنى الآية :

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة : ٦٧)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من الآية على النحو الآتي :

الأول : ذكر الفخر الرازي في تفسيره أن المراد منها : أن الله أمر نبيه بتبليغ رسالة ربه وقد آمنه الله من مكر اليهود والنصارى وعصمه من القتل ، وأمره بإظهار التبليغ من غير المبالاة من الكفار والمنافقين ، فإن لم يفعل فما بلغ رسالته ، لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير ، لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى . (٣)

١ (ينظر : من وحي القرآن : ٣ / ٦٣ . ٦٤)

٢ (من وحي القرآن : ٣ / ٦٤)

٣ (ينظر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الفخر الرازي (ت ٦٠٤ هـ) : ١٢ / ٥٣ ، ينظر : تفسير البغوي ، حسبي بن مسعود البغوي : ٢ / ٦٨ ، زبدة التفاسير ، فتح الله بن شكر الكاشاني : ٢ / ٢٩٥)

الثاني : المراد منها : أن الله تعالى أمر نبيه بتبليغ رسالته ، بتتصيب الإمام علي (عليه السلام) خليفته من بعده ، أي بلغ ياعياها الرسول ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . (١)

وقد ذكر السيد فضل الله إن ما ذهب إليه الفخر الرازي ، لا يتناسب مع جو الآية التي يوحي أن هناك أمراً عظيماً يتعلق بسلامة الرسالة ، بحيث يعادل الامتناع عن تبليغه الامتناع عن تبليغ الرسالة من الأساس . (٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، لأنه يرى ضرورة العدول عن السياق في تفسير هذه الآية ، لأن مسألة عصمة الرسول من الناس تنطلق من أمرٍ عظيم يريد الله من الرسول أن يبلغه للناس ، ولا نجد أية ضرورة في الانسجام بين الآيات ، بل من الممكن أن تكون هذه الآيات خاضعة للارتباط في الأجواء العامة للفكرة التي قد تشمل على جزئيات ومفردات متنوعة ، ولذلك يعدل السيد فضل الله عن السياق بما ورد في أسباب النزول ، هو ما رواه أبو سعيد الخدري ، في نزولها في غدير خم في نصب الأمام علي (عليه السلام) أميراً للمؤمنين ، لأنه هو الذي كان من الممكن أن يثير الأقاويل من المنافقين ضد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باختيار صهره وابن عمه خليفة من بعده الأمر الذي يحتاج إلى حماية إلهية في الوجدان العام للناس (٣)

٣ . المراد ب (أهل البيت) :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الأحزاب : ٣٣)

١) ينظر : الأصفى في تفسير القرآن ، محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني : ١ / ٢٨٥ ، تفسير كنز الدقائق

وبحر الغرائب ، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي : ٤ / ١٦٦ ، من وحي القرآن : ٥ / ٢٤١

٢) ينظر : من وحي القرآن : ٥ / ٢٣٩

٣) ينظر : المصدر نفسه : ٥ / ٢٤٠ . ٢٤١

ذكر السيد فضل الله أختلاف المفسرين في المراد ب (أهل البيت) على النحو الآتي :

القول الأول : ذكر الطبري في تفسيره أن المراد بهم نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو كل من لازم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأزواج والأقارب ^(١) ، روي أن عكرمة كان ينادي في السوق : { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } . قال : نزلت في نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة . ^(٢)

الثاني : أن المراد ب (أهل البيت) عليهم السلام هم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) خاصة ، وقد روى الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : نزلت هذه الآية في خمسة اشخاص ، النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهما السلام) قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٣)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، لأنه يرى لا بد من العدول عن الاستدلال بالسياق الظاهر في اختصاصها بنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذلك لأن الأحاديث على كثرتها وتعدد طرائقها لم تشر من قريب أو بعيد إليهن ، إذن لابد من العدول عن السياق في بيان معنى الآية بما ورد في أسباب النزول ، يقول : ((والظاهر أن القول الأول هو الأقرب للصواب والأرجح بحسب الدليل ، فإن الرواية التي رواها عكرمة لم يسندها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ما سمعه الراوي أو المسلمون منه ، وربما كانت رأياً شخصياً له على أساس اجتهاد خاص ، لم يأت عليه بدليل واضح للنظر فيه ، فلا يلزم غيره ، بينما نجد الرواية الأخرى التي تؤكد القول الثاني مروية عن أم سلمة فيما سمعته من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري (ت ٣١٠ هـ) : ١٩ / ١٠٨ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) : ٤ / ٣٨٤ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج :

٢٢ / ١٠ ، التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر الفخر الرازي : ٢٥ / ١٦٧

٢) ينظر : تفسير روح المعاني ، الألوسي : ٢٢ / ١٣

٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٩ / ١٠٧ ،

وآله وسلم) وفي ما نقلته من نزول الآية في بيتها أثناء وجود الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه مع أهل بيته ، كما رواها غيره عنه ، مما يجعل التفسير أساساً ثابتاً من مصدر الرسالة الأول))^(١).

المطلب الرابع : قاعدة الترجيح بالقراءات القرآنية :

الترجيح بالقراءات القرآنية من الأوجه المعتمدة عند المفسرين في تعضيد الأقوال المختارة وكذلك الاستدلال بها عند الاختلاف وقد قرر بعض العلماء أن تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات.^(٢)

أولاً : تعريف القراءات لغة وأصطلاحاً :

كثرت التعاريف الاصطلاحية في علم القراءات القرآنية نختار الأهم منها :

القراءات في اللغة :

قال ابن فارس : ((جمع مفردة قراءة وأصله قري ومعناها : المعجمي جمع وأجتمع ومنه القرآن سمي ذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك))^(٣) أما ابن منصور فيرى معنى القراءة هي : ((جمع قراءة وهي في الأصل مصدر قرأ ، يقال : قرأ فلا يقرء))^(٤) ، أذن فالمعنى اللغوي للقراءات هي بمعنى الجمع .

أما في الاصطلاح :

فعرف الزرقاني القراءات : بأنها ((مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها))^(٥)

١ (من وحي القرآن : ١٥ / ١٦٩

٢ الترجيحات التفسيرية عند الجصاص في كتابه أحكام القرآن ، نور نضال الدين المدرس ، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٧ م ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان . الأردن : ١٠٣

٣ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٧٩ مادة قري

٤ (لسان العرب ، ابن منصور : ٦ / ١٠٧ مادة قرأ

٥ (مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني : ١ / ٣٣٦

وعرفها الزركشي ت ٧٩٤ هـ بقوله : ((اختلاف الفاظ الوحي المذكورة في الحروف
وكيفيتها من تخفيفٍ وتشديد ، ولا بد فيها من التلقي والمشافهة ، لان القراءات أشياء لا تحكم إلا
بالسمع والمشافهة)) (١)

عرف الباحث حسين الصافي علم القراءات : ((هو علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب
الله واختلافهم في الحذف والأثبات ، والتحريك والتسكين ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من
هيئة النطق والإبدال وغيره)) (٢)

ونستخلص من هذه التعريفات أن القراءات : هي كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم من
حيث تخفيف الحرف أو تشديده ، بناءً على إحدى القراءات المعتبرة الموافقة لرسم المصحف
وقواعد اللغة العربية .

ثانياً : لمحة عن علم القراءات القرآنية :

أن للقراءات القرآنية أهمية بالغة في الكشف عن معاني القرآن الكريم ، ويظهر ذلك من
خلال اهتمام علماء التفسير بوجوهها وترجيحها ، في اختيارهم للقراءات الصحيحة التي تتناسب
مع مضمون ومعنى الآية .

ولهذا فإن (القراءات القرآنية) تعد علم من علوم القرآن التاريخية ، وقد صب فيه
العلماء كثيراً من عنايتهم وجهدهم من لدن الصحابة (رضوان الله عليهم) إلى عصرنا
الحاضر دراسةً وتأليفاً. (٣)

وربما يعود نشوء الاختلافات القرآنية إلى عهد الصحابة ، حيث عمد عدد من الصحابة
في جمع القرآن الكريم في مصاحف ، منهم : عبدالله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن

(١) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ هـ : ٣١٨ / ١

(٢) دروس موجزة في علوم القرآن ، حسين الصافي ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م ، دار السيدة رقيه (ع) ، قم .
ايران : ٧٣

(٣) ينظر : أبحاث في علوم القرآن ، غانم قدوري الحمد ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٦ م ، دار عمان ، عمان . الأردن : ٧

جبل ، ومقداد بن الأسود ، لأنهم ربما اختلفوا في كتابة المصحف ، أو في كيفية قراءته ، مما أدى ذلك إلى اختلاف القراءة في مصاحف الصحابة (١)

كما أن من أسباب اختلاف القراءات القرآنية ، هو اختلاف المصاحف في الأمصار العربية ، فكل أهل مصر ملتزمون على وفق مقرئهم الخاص ، كذلك خلو حروف القرآن من التنقيط مما أدى إلى وقوع الخلط والاشتباه في كثير من الحروف (٢)

كما أثبت المتخصصون في القراءات القرآنية عدم تواتر القراءات القرآنية لأسباب أهمها :

أولاً : أن القراءات نقلت إلينا بطرق الآحاد ، كما أن هذه القراءات مقطوعة الأسانيد ، وأن كان القراء الذين نقلت عنهم القراءة ممن يمتنع توأطئهم عن الكذب ، لأن كل قارئ كان ينقل قراءته عن نفسه ، إضافة إلى ذلك احتجاج كل قارئ عن صحة قراءته ، وأعراضه عن قراءة غيره من القراء ، مما يدل على أن القراءات خاضعة لأجتهد القراء ، لأنها لو كانت متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحتج في أثبات صحتها (٣)

ثانياً : إنكار بعض المحققين بعض القراءات ، فلو كانت متواترة لما صح إنكارها ، مثل ابن جرير الذي أنكر قراءة ابن عامر (٤)

وهذه القراءات سواء كانت متواترة أو آحاداً فلا بد أن تتوفر فيها هذه الأركان ، حتى تكون قراءة صحيحة : ((١ . قوة لوجه من وجوه اللغة العربية ٢ . موافقتها لرسم المصحف ٣ . صحة السند)) (٥) ، فإذا توفرت فيها هذه الشروط ، فهي القراءات الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل أنكارها ، بل يجب الأخذ بها ، وهي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن (٦)

١ (ينظر : تلخيص التمهيد ، محمد هادي معرفه ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ . ٢٠١٢ م ، ستاره ، قم . إيران : ١ / ٢١٣)

٢ (ينظر : دروس موجزة في علوم القرآن ، حسين الموسوي الصافي : ٧٥)

٣ (ينظر : البيان في اعجاز القرآن ، ابو القاسم الخوئي : ١٥٢)

٤ (ينظر : البيان في تفسير القرآن ، ابو القاسم الخوئي : ١٥٢ . ١٥٣)

٥ (القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، عبد الهادي الفضلي ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ، دار القلم ، بيروت . لبنان : ٤٧)

٦ (ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، حققه : فواز أحمد زلمي ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ١ / ٣٤٠)

وأن هذا التنوع في القراءات القرآنية إنما يكسب القرآن الكريم ضروباً جديدة في البلاغة ، مما يزيده أعجازاً وتعاضماً. ^(١)

ولا بد أن نشير إلى أمر مهم وهو أن القراءات ليست بقرآن لأن القرآن الكريم والقراءات حقيقتان متغايرتان ، وأن اختلاف القراءات لا يغير من تعابير وكلمات القرآن الكريم ، يقول السيد فضل الله في هذه المسألة : ((إن اختلاف القراءات لا يبرر تغيير عما ورد فيه من الكلمات والتعابير ، لأن مسألة ثبات القرآن هي مسألة حاسمة لا مجال للتغيير ولا للتبديل فيها)) ^(٢)

يقول الزركشي في نفس المورد : ((وأعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في كتبه الحروف ، أو كيفيتها من تخفيف وتنقيح وغيرها)) ^(٣)

والذي أراه أن مصدر القراءات هو الوحي ، فالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يحق له أن يبدل في كلمات القرآن الكريم ومعانيها ، فكيف بالذين يأتون من بعده من الصحابة ؟ ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المسألة في مواضع منها ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس : ١٥) ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (النجم : ٣ . ٥) ، ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (الحاقة : ٤٤ . ٤٦)

١ (ينظر : أبحاث في علوم القرآن ، غانم قدوري الحمد : ٢٥٣)

٢ (من وحي القرآن : ١٨ / ١٢٩)

٣ (البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١ / ٣١٨)

وبهذا تكون القراءات سنة ثابتة ((إن القراءات سنة متبعة لامجال للاجتهاد أو القياس حتى ولو كان لقوة وجهة في اللغة ، فالرواية إذا ثبتت عندهم لا يردّها قياس عربية ولا شاهد لغة ، لأن القراءات سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها))^(١)

إذن فالقراءات الصحيحة الثابتة ، هي المؤخوذة من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((القراءات الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، ومن هنا قالوا القراءات توقيفية وليست اختيارية ، بمعنى أنها مأخوذة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بواسطة القراء الذين أخذوا عنه والذين أنتشر بعضهم في الأمصار لتعليم الناس كيفية قراءة المصحف))^(٢)

والذي نفهمه من كون القراءات القرآنية مأخوذة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هو في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * صَفْهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمّل : ١ . ٤) وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان : ٣٢)

فهذا واضح أن القرآن نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتلاً ، والآيتان المذكورتان لاتدعان مجالاً للشك في هذا .^(٣)

لم يتعرض السيد فضل الله كثيراً إلى القراءات القرآنية في تفسيره (من وحي القرآن) وعلى الرغم من ذلك نجد بعض الإشارات التي لا يمكن إغفالها نذكر في بعض المواضع منها

١ (أتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل حسن عباس ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، دار الفرقان ، الأردن : ٢ / ١١٤)

٢ (مدخل إلى القرآن الكريم ، محمد عابد الجابري ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان . بيروت : ١ / ١٧٩)

٣ (ينظر : مدخل إلى القرآن الكريم ، محمد عابد الجابري : ١ / ١٧٩ . ١٨٠)

ثالثاً: الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . قراءة الأرحام :

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١)

ذكر السيد فضل الله الاختلاف في قراءة (الأرحام على النحو الآتي :

القراءة الأولى : القراءة بالجر : ، وهي قراءة حمزه (١) ذكر الطبري في تفسيره بأنها القراءات التي لا يستجيزها ، لأنها مخالفة لكلام العرب ، قال : ((أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على مكنى في حال الخفض إلا في ضرورة الشعر)) (٢)

وذكر صاحب تفسير (الميزان) ، أن هذه القراءات مخالفة لأدب القرآن ، قال : ((لكن السياق وأدب القرآن في بيانه لايلائمانه ، فإن قوله : (والأرحام) ، أن جعل صلة مستقلة للذي ، وكان تقدير الكلام : واتقوا الله الذي تسألون بالأرحام ، كان خالياً من الضمير ، وهو غير جائز ، وأن كان المجموع منه ومما قبله صلة واحدة للذي ، كان فيه تسوية بين الله عز اسمه وبين الأرحام في أمر العظمة والعزة وهي تنافي أدب القرآن)) (٣)

وصاحب تفسير المراغي وأن لم يتعرض لمسألة القراءات ، يبدو أنه قرأها بالجر قال : ((أتقوا الله الذي يسألكم به بعضكم ، بأن يقول سألتك بالله أن تقضي هذه الحاجة ، وهو يرجو بذلك أجابة سؤاله ، والمراد من سؤاله بالله سؤاله بإيمانه به وتعظيمه إياه ، أي أسألك بسبب ذلك أن تفعل كذا . واتقوا إضاعة حق الأرحام ، فصارت بالبر والإحسان)) (٤)

١ (النشر في القراءات العشر ، أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ت ٨٣٣ هـ ، قدم له علي محمد الضباع ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان : ١٨٦ / ٢)

٢ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٦ / ٣٥٠)

٣ (الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ١٤٢)

٤ (تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ط ١ ، ١٣٦٥ هـ . ١٩٤٦ م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر : ٤ / ١٧٧)

القراءة الثانية : القراءت بالنصب : وهذا ما اختاره جل النحويين والمفسرين ، قال الطوسي : ((
(والأرحام) القراءة المختارة عند النحويين النصب في الأرحام على تقدير : أتقوا الأرحام
وتكون معطوفة على موضع (به))) ^(١)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القراءة الثانية فهي الأرجح والأقرب عنده ^(٢) ، وذكر مايؤيد ذلك
ما رواه الضحاك عن ابن عباس كان يقرأ (والأرحام) ، يقول : ((أتقوا الله الذي تعاقدون
وتعاهدون به واتقوا الله في الأرحام فصلوها)) ^(٣) ، وهذا وجهه القراءة عند البصريين ، والحجة
عندهم أنه عطف الله تعالى وأراد واتقوا الأرحام لا تقطعوها ^(٤)

وأيضاً ذكر مايؤيد هذه القراءة : ما جاء في الحديث عن جميل بن دراج ، عن أبي عبدالله
(عليه السلام) قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ قال : هي أرحام الناس . أمر الله تبارك وتعالى بصلتها وعظمها . ألا ترى أنه
جعلها معه ؟)) ^(٥)

٢ . قراءت ملكين :

في قوله تعالى : ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ
هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٠)

ذكر السيد فضل الله الاختلاف في قراءت (ملكين) على النحو الآتي :

١ (التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٣ / ٩٨)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ٤ / ٢٧)

٣ (تفسير الضحاك (ت ١٠٥ هـ) ، محمد شكري : ٢٧١)

٤ (الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن احمد بن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط ٥ ، ١٤١٠ هـ -
١٩٩٠ م ، مؤسسة الرسالة ، الكويت : ١١٨)

٥ (بحار الأنوار : ٧١ / ١١٦ ، باب : ٣ ، رواية : ٧٤ ، وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٢١ / ٥٣٣ ، باب : ١٧
(أستحاب صلة الرحم) ، حديث : ١)

الأول : قراءة (مَلِكِينَ) بكسر اللام ، جاء في مجمع البيان ((روي عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأ ملكين بكسر اللام ، قال الزجاج : قوله ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (طه : ١٢٠) يدل على (الملكين) بكسر للام))^(١)

ولكن السيد فضل الله يرى أن هذا السؤال لا يكفي للدلالة على صحة هذه القراءة ، لأن كلمة (ملكين) بكسر للام ، تعني السلطة على المخلوقات الحية وهذا ليس وارداً في حسابات الجنة ، أو في احتمالات آدم في أحلامه المستقبلية التي يحاول إبليس أن يداعب فيها خياله^(٢)

الثانية : قراءة (ملكين) بالفتح

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءات الثانية ، قراءت (ملكين) بالفتح ، قال ((ويمكن تأكيد قراءة (الملكين) بالفتح بما ورد في رواية عن القمي في تفسيره عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((فجاء أبلّيس فقال : إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنة أبداً ، وإن لم تأكلتا منها أخرجكما الله من الجنة))^(٣)

٣ . قراءة (يَغُل) :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٦١)

ذكر السيد فضل الله الاختلاف في قراءة (يَغُل) على النحو الآتي :

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤ / ١٧٤)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ٧ / ٥٤)

٣ (من وحي القرآن : ٧ / ٥٤ ، تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ ، مؤسسة الأمام المهدي ، قم . ايران : ١ / ٤٣ . ٤٤)

الأولى : قراءة (يَغُل) ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين ، عن الضحاك : ((أنه كان يقرأ ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يُغْلَ ﴾ قال : أن يعطي بعضاً ويترك بعضاً إذا أصاب مغنماً)) (١)

الثانية : قراءة (يُغَل) وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين (٢)

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءة المشهورة وهي الثابتة المتبعة في المصحف (يَغُل) فتح الياء وضم الغين ، لأنها دليل على عصمة الأنبياء (عليهم السلام) عن الخيانة ، في تبليغ الرسالة للناس ، ليشعر المسلمون بالثقة المطلقة بعصمة القيادة ، في إبلاغ الوحي ، وتوزيع الحقوق بين الناس بصورة عادلة ، بعيداً عن أية حالة ذاتية تفرض عليه ذلك . (٣)

٤ . قراءت (ننسها) :

في قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (البقرة : ١٠٦)

ذكر السيد فضل الله الاختلاف في قراءة (ننسها)

الأولى : قراءة (نَنسأها) ، فقرأ ابو عمرو بفتح النون والهمز من الإنساء ، وهو التأخير إلى أجل معين . (٤)

الثانية : قراءة (نُنسِها) قرأ ابي جعفر بضمها وكسر السين وترك الهمز ، من الرفع أو الإزالة ، وهو الرفع أو الإزالة في اللفظ أو الحكم أو التلاوة . (٥)

١) ينظر : النشر في القراءات العشر ، محمد بن محمد الدمشقي : ٢ / ١٨٣ ، تفسير الضحاك (ت ١٠٥ هـ) ،

محمد شكري : ٢٦٣

٢) ينظر : النشر في القراءات العشر ، محمد بن محمد الدمشقي : ٢ / ١٨٣

٣) ينظر : من وحي القرآن : ٣ / ٤٥٤ . ٤٥٥

٤) ينظر : النشر في القراءات العشر ، محمد بن محمد الدمشقي : ٢ / ١٦٥ ، ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن

كثير : ١ / ٣٧٧

٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ١٦٥ ، الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن احمد بن خالويه : ٨٦ ، ينظر :

من وحي القرآن : ١ / ٣٨٠

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءة الثانية ((لأنها واردة في سياق الاستبدال الذي يعني الإزالة في المبدل منه أساساً))^(١)

٥ . قراءت (عن الأنفال) :

في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال : ١) ذكر السيد فضل الله الاختلاف في قراءة (الأنفال) على النحو الآتي :

الأولى : قراءة (ويسئلونك الأنفال) ذكر الطبرسي في (جمع الجوامع) : ((قرأ ابن مسعود ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، والباقر والصادق (عليه السلام): (يسئلونك الأنفال) وهذه القراءت مؤدية للسبب في القراءة الأخرى التي هي ﴿ عن الأنفال ﴾ وذلك أنهم أنما سألوه عنها أستهلاماً لحالها ، هل يسوغ طلبها ؟ وفي القراءة بالنصب تصريح بطلبها ، وبيان عن الغرض في السؤال عنها))^(٢)

وأختار الطبرسي هذه القراءة ، قال : ((وقد صح أن قراءة أهل البيت (عليهم السلام): ((يسألونك الأنفال))^(٣) ، قال الضحاك : ((هي قراءة ابن مسعود (ويسئلونك الأنفال) سؤال طلب))^(٤) ، قال الطبري : ((هي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف))^(٥)

١ (من وحي القرآن : ١ / ٣٨٤)

٢ (جمع الجوامع ، الطبرسي ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم - إيران : ٢ / ٤)

٣ (مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤ / ٣١٣)

٤ (تفسير الضحاك : ٣٨١)

٥ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١١ / ١٩)

الثانية : قراءة (ويسئلونك عن الأنفال) ، وهي القراءة المشهورة الموافقة لرسم المصحف المتبعة عند أغلب المفسرين (١)

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءة الثانية المشهورة الموافقة لرسم المصحف ، لأن المسلمين لم يسألوا عن حكم الغنائم إنما المسألة كانت نزاعاً بينهم في الاستحقاق بالغنائم ، لأن المسلمين كانوا مقسمين الأدوار في المعركة ، فريق يقاتل وفريق يدافع عن الرسول وفريق يجمع الغنائم ، وكل واحد منهم يرى أن له الحق في الغنائم ، وهذا ما يوحي به التفريع في قوله تعالى : { فأتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم } (٢)

٦ . قراءة (يأيىس) :

في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (الرعد : ٣١)

ذكر السيد فضل الله الاختلاف في قراءة (يايئس) على النحو الآتي :

الأولى : قراءة (أفلم يتبين) ذكر الطبري في تفسيره : روي عن علي (عليه السلام) أنه كان يقرأ : ((أفلم يتبين الذين آمنوا)) (٣) ، وذكر الدر المنثور في تفسيره : ((عن ابن عباس ، أنه قرأ (أفلم يتبين الذين آمنوا) فقل له : إنها في المصحف : (أفلم يايئس) فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس)) (٤)

١ (ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٤ / ٥ ، ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري : ١١ / ١٩ ،

ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٩ / ٧ ،

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ٨ / ١٣ . ١٤)

٣ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٣ / ٥٣٧)

٤ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٨ / ٤٥٧)

الثانية : قراءة (يَأْيُس) ، وهي القراءة المشهورة الموافقة لرسم المصحف ^(١) ، وايضاً قرءها ابن عباس (أفلم يَأْيُس) ^(٢)

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءة الثانية ، لأنها المشهورة عند المسلمين جميعاً ، أما القراءة الأولى ، فهو يرى أنها واردة على أسلوب التفسير ، قال : ((والظاهر أن المسلمين جميعاً ، حتى من أتباع أئمة أهل البيت (عليه السلام) على القراءة المشهورة ، لأنه لم تثبت مثل هذه القراءة التي تنقلها الرواية عن بعض الصحابة ، بشكل قطعي ، وربما لو كانت القراءة لو ثبتت واردة على أسلوب التفسير)) ^(٣)

٧ . قراءة (وليَعْلَمَن) :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت : ٤ ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في قراءة (فليَعْلَمَن) على النحو الآتي :

الأولى : قراءة (فليُعْلَمَن) ، جاء في الدر المنثور : ((أخرج ابن أبي حاتم عن علي (عليه السلام) أنه كان يقرأ : فليُعْلَمَن الله الذين صدقوا وليُعْلَمَن الكاذبين ، قال : يعلمهم الناس)) ^(٤)

وجاء في مجمع البيان : ((قرأ علي (عليه السلام) : فليُعْلَمَن الله الذين صدقوا وليُعْلَمَن الكاذبين . بضم الياء وكسر اللام ، وهو المروي عن جعفر بن محمد ، ومحمد بن عبدالله بن الحسن ، ووافقهم الزهري في : وليُعْلَمَن الكاذبين ، وقرأ أيضاً : وليُعْلَمَن المنافقين)) ^(٥)

١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٦ / ٣٠

٢) ينظر : تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس ، تحقيق : راشد عبد المنعم الرجال : ٣٠٠

٣) من وحي القرآن : ١٠ / ٨٢

٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي : ١١ / ٥٢٩

٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٨ / ٥ ، زاد المسير في علم التفسير ، ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ هـ) ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت . لبنان : ٦ / ٢٥٥

الثانية : قراءة (فليعلمن) ، وهي القراءة المشهورة المتبعة عند أغلب المفسرين .^(١)

ولكن صاحب تفسير (الدر المصون) ذكر ، أن (علم) فتح الياء المضارعة ، إذا كانت متعدية لمفعول واحد كانت بمعنى (عرف) ، فهذا المعنى فيه أشكال ، فهو لا يجوز أسناده إلى الله تعالى ، لأنه يستدعي سبق جهل .

أما إذا قرأ بضم مضارع (أعلم) ، فيحتمل أن يكون (علم) بمعنى (عرف) ، فلما جاء بهمزة النقل أكسبتها مفعول آخر فحذف ، ثم أن هذا المفعول يحتمل أن يكون هو الأول أي : ليُعلمن الله الناس الصادقين ، وليُعلمن الكاذبين ، أي بشهرة يعرف بها هؤلاء من هؤلاء منازلهم في الآخرة ، ويحتمل أن يكون من العلامة هي السيمياء ، فلا تتعدى إلا لمفعول واحد : أي لنجعل لهم علامة يعرفون بها .^(٢)

والذي أراه : أن (علم) وردت في هذه الآية بمعنى السيمياء أي ملامح الصدق ، أو ملامح الكذب التي تظهر عليهم في سلوكهم العملي ، وهذا ما أكده السيد فضل الله في معنى الآية ، وهي ليس المراد بها حدوث العلم لله ، لأن الله يعلم حاضر الإنسان ومستقبله ، بل أن المراد بها ظهور ملامح الصدق أو ملامح الكذب التي تظهر في سلوكهم العملي ، فهي واردة على سبيل أستعارة كلمة العلم في تعلقها بالله ، على الطريقة التي تتعلق بها بالناس .^(٣)

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءة الثانية ، لأنها المشهورة عند المسلمين ، كما أن هذه القراءة الأولى لم تثبت عند الإمام علي (عليه السلام)، وهو أعلم الناس بنزول القرآن ، ولانجد لها أثراً

١ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١٠٢ ، ينظر : التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) : ٢٥ / ٣٠

٢ (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق . سوريا : ٩ / ٧٠٦

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ١٤ / ٢٠٢

بين المسلمين ولاسيما بين أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، كما لا نجد لها أثراً بين أية نسخة قرآنية^(١)

٨ . قراءة ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة : ٨٢)

الأولى : قراءة (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) ، ورد في تفسير الكشاف : ((قرأ علي (ع) : (تجعلون شكركم أنكم تكذبون) قيل : هي قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به))^(٢)

الثانية : قراءة (تجعلون رزقكم أنكم تكذبون) ، وهي القراءة المتبعة عند المفسرين^(٣)

القراءة الراجعة :

رجح السيد فضل الله القراءة الثانية ، لأنه يرى أن القراءة الأولى على تقدير صحة الرواية ، ربما تكون قراءة تفسيرية لا تنزيلية^(٤)

المطلب الخامس : قاعدة الترجيح بالنسخ :

ومعنى هذه القاعدة لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا كان هناك دليل يدل على التصريح بنسخها ، فإذا تنازع المفسرون في آية من كتاب الله تعالى ، فمنهم من أدعى بالنسخ ، ومنهم من منع ذلك ، فأصح الأقوال المنع منه ، إلا بثبوت التصريح بنسخها ، أو أنتفاء حكمها من كل وجه.^(٥)

١ (ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ٢٠٣)

٢ (الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : ٦ / ٣٩)

٣ (ينظر : تفسير الضحاك (١٠٥ هـ) : ٨٣٩)

٤ (ينظر : من وحي القرآن : ١٨ / ١٤٥)

٥ (ينظر : قواعد الترجيح ، حسين علي الحربي : ٧٢ . ٧١)

أولاً : تعريف النسخ لغة واصطلاحاً :

وردت مادة النسخ في القرآن الكريم دالة على معنيين ، أحدهما : النقل قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْنِسُ مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية : ٢٩) ، والآخر بمعنى الإزالة قال تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ (الحج : ٥٢) ، قال تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (البقرة : ١٠٦) ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ (النحل : ١٠١)^(١)

وردت عدة تعاريف في معنى (النسخ) لغة واصطلاحاً نذكر منها :

النسخ لغة :

وردت في المعاجم اللغوية عدة تعريفات للنسخ نذكر منها :

قال الجوهري (ت ٣٨٩ هـ) : ((نسخت الشمس الظل وانتسخته : إزالته ، نسخت الكتاب وانتسخته ، ونسخ الآية بالآية ، إزالة مثل حكمها ، فالثانية ناسخة ، والأولى منسوخة))^(٢)

قال ابن فارس : ((النون والسين والحاء أصل واحد يدل على إزالة شيء بشيء يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس ، فتارة يفهم منه الإزالة ، وتارة يفهم منه الإثبات ، وتارة يفهم منه الأمران))^(٣)

قال ابن منصور (ت ٧١١ هـ) : ((النسخ إبطال الشيء وإقامة حكم مقامه))^(٤)

وكذلك عرف النسخ لغة هو : ((يطلق بمعنى الإزالة ، ومنه يقال : نسخت الشمس الظل : أي أزالته ، ونسخت الريح أثر المشي . ويطلق بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع آخر ،

١ (ينظر : أضواء البيان في علوم القرآن ، عامر الخفاجي : ٦٥

٢ (الصحاح في اللغة ، الجوهري : ١ / ٣٨٠

٣ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٤٢٤

٤ (لسان العرب ، ابن منصور : ٤ / ٣٨٩٩ مادة نسخ

ومنه نسخت الكتاب : إذا نقلت ما فيه ، وفي القرآن : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ الجاثية : ٩٢

، والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف ^(١)

إذن فالمعنى اللغوي للنسخ هو الإزالة ((فقد وضح منه أن قياس النسخ رفع الشيء وإثبات غيره مكانه ، أما نقل شيء إلى شيء فهو مجاز عنه)) ^(٢)

وهذه التزييفات كلها متفقة من حيث المضمون ، فهي تشير إلى أن معنى النسخ : هو إزالة حكم وتبديله بحكم آخر

النسخ في الاصطلاح :

قال السيد الخوئي : النسخ هو ((رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمدّه وزمانه ، سواء كان ذلك الأمر في الأحكام التكليفية ، أم الوضعية ، وسواء أكان من المناصب الإلهية ، أم غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله بما أنه شارع)) ^(٣)

قال الأستاذ محمد هادي معرفه : ((إن النسخ عبارة عن رفع تشريع سابق كان يقتضي الدوام حسب ظاهره بتشريع لاحق ، بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً ، أما ذاتاً إذا كان التنافي بينهما بيناً أو بدليل خاص ، من إجماع أو نص صريح)) ^(٤)

أما السيد فضل الله عرف النسخ في مفهومه العلمي هو : ((انتهاء أمد الحكم الأول بانتهاء أمد المصلحة التي ساهمت في وجوده وحدثت مصلحة أخرى في الاتجاه المعاكس من أجل حكم آخر مخالف)) ^(٥)

١ (مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان : ٢٢٤

٢ (النسخ في القرآن الكريم ، مصطفى زيد ، ط ٣ ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٧ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة . مصر : ٦٧ :

٣ (البيان في تفسير القرآن ، ابو القاسم الخوئي : ٢٩٦

٤ (التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة : ٢ / ٢٧٤

٥ (من وحي القرآن : ٤ / ١٥٨

قال الشيخ خالد عبد الرحمن العك: ((هو أن يراد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه))^(١)

وفي ضوء هذه التعريفات يتبين لنا أنها متفقة من حيث المضمون ، فيُعلم منها ((أن رفع الحكم عن بعض أفراد الموضوع لم يكن ناسخاً ، إذا لم يرتفع التشريع السابق نهائياً))^(٢)

والذي أراه : أن تعريف السيد فضل الله للنسخ ربما يكون أوسع هذه التعريفات الأخرى ، لأنه يحتوي على معنى المصلحة في تبديل الحكم ، لأن من المؤكد أن الله تعالى لا يبديل حكماً مكان حكم إلا لمصلحة تقتضي ذلك ، أن الله تعالى يُنزل الحكم الشرعي يتناسب مع طبيعة المجتمع الإسلامي ، ثم تبديله بحكم آخر صالح لكل زمان ومكان .

ثانياً : قسم الباحثون في التفسير والدراسات القرآنية إلى امكانية وقوع النسخ من عدمه إلى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : ذهب بعضهم إلى عدم وقوع النسخ في القرآن الكريم ، كأبي مسلم الأصفهاني ، مستنداً على ذلك بقوله تعالى في وصف القرآن الكريم : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٣)

وقد رد عليه السيد محمد باقر الحكيم قائلاً : ((لكن هذه الآية لا يمكن أن تكون دليلاً لمذهب أبي مسلم ، لأن النسخ ليس باطلاً حتى يكون وروده على القرآن الكريم خلافاً لمنطوق الآية إنما هو محض حق وموافق لواقع الحكمة والمصلحة ، وإذا كان النسخ باطلاً فلا نحتاج في رفضه إلى الاستعانة بالآية الكريمة بل يكفي بطلانه سبباً لذلك))^(٤) ، ويقصد أبو مسلم بالباطل الذي هو قبالة الحق ، وليس الابطال الذي هو بمعنى الإزالة ، ويقول السيد محمد باقر الحكيم : ((ففكرة أبي مسلم هذه تقوم على الحقيقة على أساس من المغالطة والإيهام ، حيث

١ (أصول التفسير وقواعده ، خالد العك : ٢٩٧)

٢ (مباحث علوم القرآن : مناع القطان : ٢٣)

٣ (ينظر : المصدر نفسه : ٢٢٧ . ٢٢٨)

٤ (علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ : ٢٠٣)

يقصد من الباطل هنا ما يكون قبالة الحق سواء في العقيدة أو النظام أو الأسلوب البياني ،
والقرآن الكريم لا يأتيه شيء من الباطل في كل هذه الجوانب ، ولا يقصد منه الإبطال والإزالة
اللذان هما بمعنى النسخ))^(١)

كما رد عليه مناع القطان أن هذه الآية لا تصح دليلاً ، لعدم جواز النسخ :)) أن
معنى الآية أن القرآن الكريم لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله))^(٢)

الاتجاه الثاني : ذهب جمهور العلماء إلى جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً

أما جوازه عقلاً ، فالطبيب عندما يعالج مريضاً يرى يصف له هذا دواء معين ثم يستبدله بدواء
آخر يصلح لمرحلة أخرى ، ولا يوصف عمله بالعبث والجهل ، لأنه عندما وضع الحكم كانت
هناك مصلحة تقتضيه كما أنه حين رفع الحكم كانت هناك مصلحة تقتضي هذا الرفع ونظير
هذا في النسخ ، فإن الله حين وضع الحكم المنسوخ وضعه من أجل مصلحة تقتضيه ، كما أنه
حين استبدل الحكم المنسوخ بالحكم الناسخ استبدله من أجل مصلحة معينة تقتضيه ، فكل من
وضع الحكم ورفعها كان من أجل حكمة ومصلحه لا يعلمها إلا الله تعالى^(٣)

أما جواز النسخ ووقوعه في الكتاب ، فقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تؤكد وقوع
النسخ في القرآن الكريم منها :

١ . قال تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ النحل : ١٠١

٢ . قال تعالى : ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ (البقرة : ١٠٦)^(٤)

١ (المصدر نفسه : ٢٠٤)

٢ (مباحث علوم القرآن ، مناع القطان : ٢٢٨)

٣ (ينظر : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم : ١٩٧ . ١٩٨)

٤ (ينظر مباحث علوم القرآن ، مناع القطان : ٢٢٨)

كما ذهب الشيخ عبد الرحمن العك إلى جواز النسخ ووقوعه في القرآن الكريم ، حيث بحث في هذا المجال عن شروط النسخ وحكمته، وما يعرف به النسخ، وهذا يدل على قبوله (١)

الاتجاه الثالث : وقد ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى الموقف الوسط بين وقوع النسخ من عدمه

ومنهم السيد الخوئي حيث أشكل على كثير من المفسرين في وقوع النسخ لبعض الآيات ، لأنهم لم يتأملوا في معاني القرآن الكريم ، قال : ((ولكن كثير من المفسرين لم يتأملوا حق التأمل في معاني الآيات الكريمة ، فتوهموا وقوع التنافي في كثير من الآيات ، وألتزموا من أجله بان الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة)) (٢)

كما أكد في موضع آخر على وقوع النسخ في الشريعة ، قال : ((إن جملة من أحكام هذه الشريعة قد نسخت بأحكام أخرى من هذه الشريعة نفسها ، فقد صرح القرآن الكريم بنسخ حكم التوجه في الصلاة إلى القبلة الأولى ، وهذا مما لا ريب فيه)) (٣)

أما السيد فضل الله فقد سار على نهج أستاذه السيد الخوئي في امكانية وقوع النسخ في الآية ، وهذا ما بينه في بيان معنى آية النسخ في **قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ قُلْ﴾** البقرة: ٦٠١

قال : ((نزيلها من الكون لتحل محلها ظاهرة أخرى ، أو نزيلها من التشريع ، باعتبار أن تبديل مضمونها من التداول في حياة الناس إلى مضمون آخر وحكم آخر يمثل إزالة عملية للآية حتى لو بقت في القرآن لفظاً ، لأنها خرجت منه عملاً لتبقى في مضمونها مجرد تاريخ في التشريع)) (٤)

كما بين السيد فضل الله أن الحكمة من التدرج في الأحكام هو من أجل خلق حالة من الانسجام الفكري والروحي لدى المسلمين ، قال : ((لم تكن أحكام التشريع الإسلامي تنزل على

١ (ينظر : أصول التفسير وقواعده ، عبد الرحمن العك : ٢٩٧

٢ (البيان في تفسير القرآن : ٢٨٧

٣ (المصدر نفسه : ٢٨٤ . ٢٨٥

٤ (من وحي القرآن : ١ / ٣٨٥

الناس دفعة واحدة في وقتٍ واحدٍ ، بل كانت تنزل بطريقة التدرج ، بغرض خلق الانسجام بين الحكم الشرعي النازل ونمو الفكري والروحي على هدى الإسلام . وكان ذاك التدرج يستعمل في بعض الحالات أسلوب التغيير والتبديل في الأحكام ، تبعاً لبعض المصالح التي يقتضي تحقيقها مراعات الزمان والمكان))^(١)

ثالثاً : أنواع النسخ في القرآن :

النوع الأول : نسخ التلاوة والحكم معاً . لا تجوز قراءته والعمل به ، كآية التحريم بعشر رضعات ، ثم نسخن بخمس رضعات ، قالت عائشة : كان مما أنزل عشر رضعات معلومات ، فنسخن بخمس رضعات معلومات ، فتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي مما تقرأ من القرآن.^(٢)

إلا أن الدكتور مناع القطان قد أجاز العمل بهذا النوع ، لأنه يرى أن ثبوت النسخ يكفي فيه أخبار الآحاد ، أما ثبوت نزول القرآن يشترط فيه الدليل القطعي بالخبر المتواتر ، والذي معنا ثبوت النسخ لا ثبوت القرآن.^(٣)

النوع الثاني : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم^(٤) ، منها آية الرجم : ((الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، والله عزيز حكيم))^(٥)

ويرفض السيد فضل الله هذين النوعين لأنهما يؤديان إلى لزوم الانحراف في القرآن الكريم ونقصانه ، قال : ((ونحن لا نوافق على نسخ التلاوة مع نسخ الحكم أو بدونه ، لأن ذلك يؤدي إلى الالتزام بتحريف القرآن ونقصانه ، كما أن هذا النوع من النسخ لم يثبت إلا بخبر

١ (من وحي القرآن : ١٠ / ٣٤٢)

٢ (ينظر : مباحث علوم القرآن ، مناع القطان : ٢٣)

٣ (ينظر : المصدر نفسه : ٢٣)

٤ (البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٣٥٣)

٥ (الأتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : ٣ / ٧٢)

الواحد الذي لا يثبت النسخ به على ما هو رأي جمهور المحققين مما هو مذكور في محله))^(١)

النوع الثالث : نسخ الحكم دون التلاوة : وهي ((أن تبقى الآية ثابتة في الكتاب والسنة يقرؤها المسلمون عبر العصور ، سوى أنها من ناحية مفادها التشريعي منسوخة ، ولا يجوز العمل بها بعد مجيء الناسخ القاطع لحكمها))^(٢) ، وهذا هو المشهور بين العلماء والمفسرين ومنهم السيد فضل الله ، قال : ((أما نسخ حكم الآية فقط ، فهو ممكن في ذاته))^(٣)

رابعاً : الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢٢١)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في نسخ الآية أو عدمه على النحو الآتي :

أن الآية ناسخة الآية المائدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُنْجِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٥)^(٤)

بينما ذهب السيد فضل الله إلى عدم نسخ الآية ، قال : ((وقد تبين فساد هذا القول مما ذكرناه في تحديد المراد من لفظ المشركين في القرآن وعدم شمولها لأهل الكتاب ، فلا تكون هناك علاقة بين الآيتين في مدلوليهما ، لأن آية البقرة واردة في حرمة نكاح المشركات اللاتي

١ (من وحي القرآن : ١ / ٣٨٢)

٢ (التمهيد في علوم القرآن محمد هادي معرفة : ٢ / ٢٨٣)

٣ (من وحي القرآن : ١ / ٣٨٢)

٤ (ينظر : الآيات الناسخة والمنسوخة ، علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى ، تحقيق : علي جواد الحساني ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م ، مؤسسة البلاغ ، بيروت . لبنان : ٩٨)

يشركن بالله غيره بشكل غير مباشر بينما كانت آية المائدة واردة في حلية نكاح الكتابيات دون غيرهن))^(١) ، وذلك من خلال ما توحيه كلمة المشركين في القرآن الكريم ، فقد جرى المصطلح القرآني على التفريق بين المشركين وأهل الكتاب في ما فصل من أحكام ، وما أطلقه من لفظ ، لأن المراد من المشركين الذين يشركون بالله بشكل مباشر ، أما أهل الكتاب فهم يتصفون بالشرك بشكل غير مباشر ، فهم يقولون بربوبية عيسى (عليه السلام) أو أن الله ثالث ثلاثة ، ولكن بطريقة لا تتنافى مع التوحيد على حد زعمهم ، فقد ورد في قوله تعالى في سورة البينة : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة : ١) ، وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة : ١٠٥) ، فإن العطف يدل على المغايرة بين الفريقين ، وفي ضوء ذلك : لا تدل الآية على حرمة التزواج بين المسلمين وأهل الكتاب ، فلا بد من ألتماس دليل ذلك من غير القرآن^(٢)

٢ . قال تعالى : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْغِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء : ٦) ، ذكر السيد فضل الله الخلاف في نسخ الآية من عدمها على النحو الآتي : جاء في الدر المنثور : ((أخرج أبو داود ، والنحاس ، كلاهما في " الناسخ " ، وابن المنذر ، من طريق عطاء ، عن ابن عباس : { ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف } . قال : نسختها : { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما } (النساء : ١٠)))^(٣)

فقد ذهب السيد فضل الله إلى عدم نسخ الآية ، ولا يوجد مبرر للنسخ في الآية ، حيث رد على رواية صاحب " الدر المنثور " : قال : ((ولكن يرد على هذا الكلام أن النسخ يفرض

١ (من وحي القرآن : ٢ / ٢٦٩)

٢ (ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٦٨)

٣ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ٤ / ٢٣٩ . ٢٤٠ ، تفسير الضحاك :

التنافي بين الآية الناسخة والآية المنسوخة ، ليكون النسخ حلاً للتنافي بلحاظ اختلاف الزمن ، وهذا لم يتوفر في الآيتين ، لأن هذه الآية تؤكد على الأكل بالمعروف في مقابل الجهد الذي يبذله الولي في رعاية شؤون اليتيم وتدبير أموره ، تماماً كأبي أجره على أي عمل يتصل بحياة اليتيم وإصلاح ماله في شؤونه العامة والخاصة . أما الآية الأخرى ، فإنها تنهى عن أكل أموال اليتيم ظلماً ، أي بلا حق ، وذلك بطريق الغصب والتصرف فيه بطريقة غير مشروعة ، فأين التنافي لتكون الثانية ناسخة للأولى ؟))^(١)

وأيضاً ذهب الشيخ محمد هادي معرفه إلى عدم المبرر في النسخ ، قال : ((لا نرى تنافياً بين تحريم أكل مال اليتيم ظلماً وجواز أكله بالمعروف إزاء ما يقوم به من خدمات ، فلا مبرر في النسخ هنا))^(٢)

٣ . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة : ٣٤)

جاء في الدر المنثور : ((أخرج ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، عن عراك بن مالك ، وعمرو بن عبد العزيز أنهما قالوا في قول الله : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ قالوا : نسختها الآية الأخرى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة : ١٠٣)))^(٣)

وقد ذهب السيد فضل الله إلى عدم النسخ ، لأنه يرى أنه لا مبرر للنسخ ، قال: ((والظاهر أنه لا تنافي بين الآيتين لتكون الثانية ناسخة للأولى ، لأن الأولى تتضمن تحريم الكنز الذي لا ينفق الإنسان منه في سبيل الله ، بينما الآية الثانية تتحدث عن وجوب أخذ الصدقة التي يطهرهم النبي ويزكيهم بها ، فلا نسخ هناك))^(٤)، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الشيخ محمد هادي معرفه، حيث يرى أنه لا منافاة بين تحريم كنز المال دون إنفاقها ووجوب

١ (من وحي القرآن : ٤ / ٧٠)

٢ (التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفه : ٢ / ٣٢٠)

٣ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٧ / ٣٢٣)

٤ (من وحي القرآن : ٨ / ٢٥٧)

الزكاة عند توفر شروطها ، فالإنفاق في سبيل الله واجب على المتمكنين الأثرياء، مستقلاً عن وجوب الزكاة^(١)

٤ . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ٤١) ، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في دعوى النسخ على النحو الآتي :

ذكر صاحب مجمع البيان : ((قيل : إن هذه الآية منسوخة بآية القتال . وقيل : إنه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال لأنها براءة ووعيد ، وذلك لا ينافي الجهاد))^(٢)

وقد ذهب السيد فضل الله إلى عدم النسخ ، لأنه يرى أن الآية بعيدة عن أجواء الجهاد ، قال : ((ونلاحظ : أن الآية بعيدة عن كل أجواء الجهاد ، نفيًا وإثباتًا ، بل هي واردة في نطاق الأسلوب الحركي في حركة الدعوة إلى الله ، لإنهاء الحوار بعد أستنفاد كل الوسائل الحوارية، فلا يبقى هناك مجال لأي حوار ، الأمر الذي ينهي بالحديث بطريقة سليمة لا مجال فيهل للعنف في هذه الأجواء ، ولذلك ، فلا موقع للنسخ من قريب أو بعيد))^(٣)

٥ . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المجادلة : ١٢)

فعلى الرغم من موقف السيد فضل الله في رد الكثير من دعوى المفسرين للنسخ في بعض الآيات ، إلا أننا نجده قد أكد على وقوع النسخ بين قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ ، قد نسخت بقوله تعالى : ﴿ الْأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾^(٤) ، وقد بين حقيقة النسخ في هذه الآية ، وهكذا جاءت هذه الآية التي

١ (ينظر : التمهيد في علوم القرآن : ٢ / ٣٤١)

٢ (مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥ / ١٤٦)

٣ (من وحي القرآن : ٩ / ٧١)

٤ (ينظر : من وحي القرآن : ١٨ / ٢٢٩)

تناقش رد فعلهم عليه لترفع ذلك عنهم ، على أساس أن التشريع المؤقت في إثارة الاهتمام بمسألة مناجات المسلمين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقدير لمسؤولية وقته ، فجاءت الآية الثانية لترفع ذلك عنهم ، ولتؤكد الالتزام بالخط العام في التقرب إلى الله ، وهو الصلاة التي هي معراج المؤمن ، والزكاة التي تمثل العطاء الروحي ^(١)

المطلب السادس : قاعدة الترجيح بالسنة والأثر المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) :

تُعد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، وقد أوصى الله تعالى باتباع سنة نبيه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر : ٣)

وقد أوكل الله تعالى إلى نبيه الكريم بيان آياته ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤) ، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله تعالى ، وهذا من مهام رسالته ، ولا قول لأحد بعد قول الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(٢)

وقد نجد الكثير من الأقوال في تفسير الآية ، وإذا ثبت الحديث في تفسير وبيان الآية ، فيجب حمل الآية عليه. ^(٣)

والسيد فضل الله له منهج مميز في قبول وترجيح بالحديث ، لأنه يرى لا بد من عرض الأحاديث على القرآن الكريم ، فهو الكتاب الذي : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢) ، وإن يكون الحديث منطبقاً مع المفاهيم القرآنية العامة ، فهو

١ (ينظر : المصدر نفسه : ١٨ / ٢٢٨)

٢ (ينظر قواعد الترجيح ، علي حسين الحربي : ١٩١)

٣ (ينظر : المصدر نفسه : ١٩١)

يوجه النقد إلى مضمون الرواية قبل سندها ويردها حتى وإن كانت سليمة من جهة السند ويفندها من الناحية العقلية ^(١)

إذا كان مضمون الرواية يتناسب مع مضمون الآيات ، فتكون الرواية ثقة في صدورها ، قال: ((فتكون حجة على أساس المبدأ الذي قررناه في علم أصول الفقه ، وهو أن السيرة العقلانية . التي هي الأساس في حجية الأخبار . جارية على اعتبار الخبر الموثوق به لا خبر الثقة بالخصوص ، بل إن اعتباره من أجل كونه سبباً للوثوق)) ^(٢)

كما ينص السيد فضل الله على الالتزام بسعة المفهوم في معنى الآية ، وذلك على أساس الأسلوب الذي جرت عليه أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، في الإشارة إلى التطبيق بعنوان التفسير ، للتأكيد على حركة القرآن المستقبلية في القضايا الفكرية والعملية الممتدة بامتداد الحياة ، لأن ذلك هو السبيل الأفضل لوعي الإنسان المسلم للفكرة ، على أساس التطبيق الواضح من أجل أن يرتبط بالواقع بشكل مؤكد. ^(٣)

وتكلمنا عن هذا الموضوع بصورة مفصلة في الفصل الأول في المبحث الثاني والرابع

الأمثلة التطبيقية :

١ . المراد من مقام إبراهيم (عليه السلام) :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة : ١٢٥)

ذكر السيد فضل الله أختلاف المفسرين في المراد من (مقام إبراهيم) على النحو الآتي :

١ (ينظر : من وحي القرآن : ١ / ٢٠٠

٢ (المصدر نفسه : ٢ / ٢٥١

٣ (المصدر السابق : ٤ / ٢٧٦

الأول : أنه موضع الحجر قام عليه إبراهيم (عليه السلام) ^(١)

الثاني : أن مقام إبراهيم الحرم كله ^(٢)

الثالث : ((أنه عرفه ومزدلفه والجمار)) ^(٣)

الرابع : الحج كله مقام إبراهيم ^(٤)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الأول وذلك لعدة وجوه :

الأول : مستدلاً بحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قال : ((إن الروايات الواردة في فقه الحج ، والتي تناولت مكان الصلاة بعد الطواف تؤكد ذلك ، كما ورد في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (... حتى إذا أتى المسجد الحرام طاف طواف الفريضة ، ثم عدل إلى مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين ..)) ^(٥)

الثاني : كما أن المعروف عند إطلاق كلمة مقام إبراهيم تشير إلى ذلك المعلم الذي لا يزال قائماً ^(٦)

١) ينظر : التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) : ٤ / ٥٣ ، ينظر : تفسير النور ، محسن قراعتي ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م ، دار المؤرخ العربي ، بيروت . لبنان : ١ / ١٩٣ ، ينظر : تفسير الجلالين : ١ / ١٩

٢) ينظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠ هـ) ، حققه : يوسف علي بدوي ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، دار الكلم الطيب ، بيروت . لبنان : ١ / ١٩٢ .

٣) تفسير الأمام مجاهد بن جبر (ت ١٠٢ هـ) : ٢١٤ .

٤) التفسير الكبير مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي : ٤ / ٥٣ .

٥) من وحي القرآن : ١ / ٤٣٨ ، أصول الكافي ، الكليني : ٤ / ٢٥٧ ، حديث : ٢٣ ، الحج والعمرة في الكتاب والسنة ، محمد الريشهري ، تحقيق : دار الحديث ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ ، دار الحديث ، قم . إيران : ١٦٤ ، حديث : ٣٩٧ .

٦) ينظر : من وحي القرآن : ١ / ٤٣٨ .

وليس السيد فضل الله وحده من رجح هذا القول كذلك رجح هذا القول صاحب تفسير (مفاتيح الغيب) ولعدة وجوه منها : الأول : ما روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما مر بالمقام ومعه عمر فقال : يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال بلى قال : أفلا تتخذة مصلى ؟ قال : أولم ءأمر بذلك ، فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت الآية .

الثاني : أن هذا الموضع من أهم الدلائل على وحدانية الله ومعجزة إبراهيم عليه السلام ، لأن فيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام ، فكان اختصاصه به أولى من اختصاصه بغيره ، الثالث : أن المتعارف عند أهل مكة أن مقام إبراهيم هو موضع الحجر .^(١)

٢ . المراد من (إكمال الدين) :

في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في الآية على النحو الآتي :

الأول : إنه فرائض الله وحدوده وحلاله وحرامه ، التي أكملها الله للمسلمين في ذلك الوقت بتنزيل آخر حكم شرعي^(٢)

الثاني : إنه إكمال الحج وتخصيصهم بالبلد الحرام ، بعد أن كان مشتركاً بينهم وبين المشركين^(٣)

الثالث : إنه إكمال الدين بإكمال قوته وسلطته وكفايته من الأعداء^(٤)

الرابع : ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما في الحديث المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : ((آخر فريضة أنزلها الله تعالى الولاية ، ثم أنزل بعدها فريضة ،

١) ينظر ، التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، فخر الرازي : ٤ / ٥٣ . ٥٤

٢) ينظر : تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٢٥ هـ) ، صححه : عبد السلام محمد علي ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ١٠ / ٢

٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٨ / ٨٢ .

٤) ينظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠ هـ) : ١ / ٤٢٦ . ٤٢٧ ، ينظر : تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي : ٦ / ٥٤ . ٥٥ .

ثم نزل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بكراع الغميم فأقامها رسول الله بالجحفة ، فلم ينزل بعدها فريضة^(١)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الرابع ، لما استفيظ من الروايات في ذلك الموضوع ، منها ما ذكره صاحب (مجمع البيان) رواية عن إبي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى في غدِير خم علياً (عليه السلام) منصب الولاية ، وأن الناس في ذلك اليوم لم يكادوا ليتفرقوا حتى نزلت آية : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فقال النبي في تلك اللحظة : ((الله أكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي ، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي ، ، وقال من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله))^(٢) ويؤكد السيد فضل الله ما ذكره الخطيب البغدادي في (تاريخه) رواية : ((عن أبي هريرة ، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن آية : { اليوم أكملت لكم دينكم } نزلت عقيب حادثة (غدِير خم) والعهد بالولاية لعلي (عليه السلام) ، وفي هذه المناسبة قال: عمر بن الخطاب: ((بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم))^(٣) وثم يؤكد السيد فضل الله قائلاً : ((وجاء في كتاب (الغدِير) إضافة إلى الروايات الثلاثة المذكورة ، ثلاث عشرة رواية أخرى في هذا المجال ، وورد في تفسير(البرهان) ، وتفسير (نور الثقلين) ، عشر روايات مختلفة حول نزول الآية في حق علي (عليه السلام))^(٤)

١) تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي :

٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣ / ٢٢٧

٣) بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي : ٢١ / ٣٨٨ ، ينظر : من وحي القرآن : ٥ / ٤٥ ، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، عبد الحسين أحمد الأميني (ت ١٩٧٠ م) ، ط ٤ ، ١٣٩٧ هـ . ١٩٧٧ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان : ١ / ٢٣١ . ٢٣٢

٤) ينظر : الغدير في الكتاب والسنة ، الأميني : ١ / ٢١٤ . ٢١٦ ، ينظر ، البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني : ٢ / ٣٧٢ . ٣٩٨ ، ح ١ إلى ح ٢٥ ، ينظر : تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعه الحويزي (ت ١١١٢ هـ) : ١ / ٥٨٧ . ٥٨٨

٣ . المراد من (الأجل الذي قضاه الله والأجل المسمى عنده) :

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ ﴾ (الأنعام : ٢)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من (الأجل الذي قضاه الله والأجل المسمى عنده) على النحو الآتي :

الأول : إن الأجل الذي قضاه الله هو أجل الحياة وهو الموت ، أما الأجل المسمى عنده هو الأجل في الآخرة ، فهو يوم البعث الذي لا يعلمه إلا الله ، فلم يجعل علمه حتى لرسوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوُّهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات : ٤٢ . ٤٦)^(١)

الثاني : أن الأجل الذي قضاه الله هو العمر الطبيعي المحدد الممتد بالشروط الموضوعية المحيطة بالإنسان من حيث الزمان والمكان والطواريء ... فإذا تحققت له أمتد به العمر إلى النهاية الطبيعية التي يمكن أن يعيشها الجسد في الحالة الطبيعية ، وإذا لم تتحقق له أنقطع به العمر بانتفاء شروط الحياة ، أما الأجل المسمى عند الله ، هو الأجل المحدد في علمه الموجود في اللوح المحفوظ ^(٢)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله المعنى الثاني ، لما استفيظ من الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) لتأكيد هذا المعنى، منها ما رواه مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله : (ثم قضى أجلاً وأجلً مسمى عنده) قال : الأجل الذي غير مسمى موقوف يقدم منه ما شاء [ويؤخر منه ما شاء] وأما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر

١ (ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٤ / ٧٧)

٢ (ينظر : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ،

إلى مثلها من قابل قابل قال : فذلك قول الله : فَإِذَا جَاءَ أَجُلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١﴾ ، ومنه ما رواه القمي في تفسيره ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : ((الأجل المقضي هو الذي قضاه الله وحتمه والمسمى هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير)) (٢)

ولم يرجح المعنى الأول لأنه لا ينسجم مع الحقائق القرآنية ، قال : ((لو كان المعنى الأول المراد لم ينسجم مع الحقائق الإيمانية القرآنية التي تقرر أن عمر الإنسان مما اختص الله بعلمه ، فلا يعلمه الناس إلا من طريقه ، وهذا هو ما جاءت به الآية الكريمة : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (لقمان : ٣٤) فلا يبقى هناك فرق بين الساعة التي يموت فيها الإنسان ، وبين الساعة التي يبعث فيها في الآخرة)) (٣)

٤ . المراد من (معنى الزينة المنهي عن إبدائها) :

في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (النور : ٣١)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في معنى (الزينة) على النحو الآتي :

الأول : المراد بها مواضع الزينة ، لا الزينة نفسها ، لأن ذلك يحل النظر إليها كالقرط والسوار (٤) ، فيكون النهي عن اظهار الزينة من باب الكناية عن إظهار مواضعها ، لأن ستر الزينة لا ينفك عن ستر مواضعها . (٥)

١ (ينظر : من وحي القرآن : ٦ / ٢٢ ، تفسير العياشي ، محمد بن مسعود السلمي العياشي : ١ / ٣٨٤)

٢ (تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي : ١ / ١٩٤)

٣ (من وحي القرآن : ٦ / ٢٢ . ٢٣)

٤ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٧ / ١٧٦ ، ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ١١١ .

٥ (ينظر : من وحي القرآن : ١٣ / ١٧٢ .

وذكر صاحب تفسير الكشاف في تقريب ذلك ، قال : ((وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر ، لأن هذه الزينة واقعة في مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء ، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن ، فنهى عن إبداء الزينة نفسها ، ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها ، لملامستها تلك المواقع ، بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله ... فإذا قلت : ما المراد بمواقع الزينة ؟ ذلك العضو كله ، أم المقلد الذي تلبسه الزينة منه ؟ قلت : الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية . وكذلك مواقع الزينة الظاهرة)) (١)

الثاني : المراد بالزينة في معناها الظاهر ، وهو ما تزين به من حلي وملابس ونحوهما ، مما تزين به النساء عامة في رؤوسهن ووجوههن وغيرها من أعضاء أجسادهن ، مما يعبر عنه في هذا الزمان بكلمة التجميل عامة (٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله المعنى الأول وما يؤيد ذلك ما رواه الكافي حديثاً عن الإمام الصادق (عليه السلام)، بإسناده عن الفضيل بن يسار ، قال : ((سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الذراعين من المرأة ، أهما من الزينة التي قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن ﴾ ؟ فقال : نعم وما دون الخمار من الزينة ، وما دون السوارين)) ما يؤكد أن المراد بها مواضع الزينة. (٣)

١ (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري : ٤ / ٢٨٩ . ٢٩٠ ، من وحي القرآن : ١٣ / ١٧٢)

٢ (ينظر : تفسير سورة النور ، عبد الأعلى المودودي ، ط ١ ، ١٣٧٩ . ١٩٦٠ م ، دار الفكر . دمشق . سوريا : ١٨٤)

٣ (ينظر : أصول الكافي ، الكليني : ٥ / ٥٢٠ . ٥٢١ ، باب : ما يحل إليه النظر من المرأة) ، حديث : ١ ، من وحي القرآن : ١٣ / ١٧٣)

٥ . المراد في (القربى) :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْرِضْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (الشورى : ٢٣)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد ب (القربى) على النحو الآتي :

الأول : ما ذهب إليه الجمهور من أن الخطاب لقريش ، والأجر المسؤول هو مودتهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لقربتهم منهم ، وذلك لأنهم كانوا يكذبونه ويبغضونه ، لتعرضه لآلهم ، فكانت هذه الآية نداء لهم ليستشعروا المودة التي تشد الإنسان إلى قرابته ، ليمنحوه الحب ، فلا يتعقدوا في مشاعرهم نحوه . (١)

وبلاحظ السيد فضل الله أن هذا التفسير بعيد عن معنى الآية في هذه الحالة لأنه كيف يطلب منهم أجراً على رسالته التي يرفضونها ويعتبرونها نقمة عليهم لانعمة ؟ ، وإذا كانت بعد أيمانهم ، فكيف يمكن أن تكون مشاعرهم نحوه هي مشاعر البغض والعداوة ؟ (٢)

الثاني : أن المراد مودة الأقرباء في داخل قريش ، أو في حياة الناس كافة . (٣)

وبلاحظ السيد فضل الله أن هذا التفسير بعيد عن معنى الآية لأن ، ((مودة الأقرباء قد تكون موضع تشجيع للإسلام ورعايته في نطاق صلة الرحم ، لكنها لا تمثل قيمة إسلامية روحية في ذاتها بالحجم الذي يجعلها أجراً للرسالة ، أو في الأجواء التي تقترب من ذلك)) (٤)

١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) : ٣٢٧٥ ، ينظر : من وحي القرآن : ١٦ / ٣٩٨

٢) ينظر : من وحي القرآن : ١٦ / ٣٩٨

٣) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، د ط ، د ت ، الدار التونسية : ٢٥ / ٨٢ ، ينظر : تفسير السدي الكبير ، ابي محمد أسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير (ت ٢٨ هـ) ، جمع وتوثيق : محمد عطا يوسف ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م ، دار الوفاء ، المنصورة . مصر : ٤٣٢

٤) من وحي القرآن : ١٦ / ٣٩٨ . ٣٩٩

الثالث : أن المراد في المودة في القربى ، هو قرابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم أهل بيته (١)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله المعنى الثالث ، لما استفيض من الأحاديث الكثيرة في كتب أهل السنة والشيعه ، لما يصل بها إلى مستوى التواتر (٢) ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ((لما نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . قالوا : يارسول الله من قرابتك من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : علي وفاطمة والحسن والحسين)) (٣)

روى إسماعيل بن عبد الخالق ، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، أنه قال : ((إنها نزلت فينا أهل البيت ، أصحاب الكساء)) (٤)

المطلب السابع : قاعدة الترجيح بأسباب النزول :

يساعد أسباب النزول على بيان معنى الآية القرآنية ، حيث يستعين كثير من المفسرين بأسباب النزول على تفسير الآية القرآنية ، لأن كثير من الآيات القرآنية يستجلى معناها من خلال الوقوف على أسباب النزول كما أن سبب النزول يساعد على الترجيح في أصح الأقوال في تفسير الآية ، ((فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله ، فأولى الأقوال بتفسير الآية هو ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية)) (٥)

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٤٦ ، التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ١٥٨)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ١٦ / ٣٩٩)

٣ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١٣ / ١٤٩ . ١٥٠ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبي أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) تحقيق : ساعد بن سعيد الساعدي . هند بنت إبراهيم هزازي ، د ط ، دت ، دار التفسير ، الرياض : ٣٢ / ٣٤٦ ، ح : ٢٦٠٤ وغيره حديث (٢٦٠٥ . ٢٦٠٦ . ٢٦٠٧ . ٢٦٠٨ . ٢٦١٠ . ٢٦١١)

٤ (البرهان في تفسير القرآن : ٧ / ٨٥ ، حديث : ٢٠ ، وغيره : من ح ٤ . ح ٢٩)

٥ (قواعد الترجيح ، حسين علي الحري : ٢٤١)

أولاً : تعريف أسباب النزول لغة وأصطلاحاً :

وردت تعاريف كثيرة أسباب النزول في اللغة والأصطلاح نذكر الأهم منها :

السبب لغة : قال ابن منظور : ((السبب الحبل ، وكل شيء يتوصل به إلى غيره ، وأسباب السماء مراقبها)) ^(١) النزول لغة : ((النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه)) ^(٢)

فالنزول هو الهبوط من العلو إلى الأسفل ، والنزول بمعنى الحلول ^(٣)

أما تعريف أسباب النزول:

ذكر العلماء لمعنى سبب النزول تعريفات عدة نذكر منها :

عرفه (مناع القطان) بما يأتي : ((هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال)) ^(٤)

عرفه الدكتور داود العطار: ((هو ما نزلت من أجله آية أو أكثر مجيبة عنه أو حاكية له ، أو مبينة حكمه)) ^(٥)

وعرفه السيد محمد باقر الحكيم قوله : ((هي أمور وقعت في عصر الوحي وأقتضت نزول الوحي بشأنها)) ^(٦)

أما الدكتور عامر الخفاجي فعرف أسباب النزول بقوله : ((هو ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له أو حاكية له أو مبينة لحكمه)) ^(١)

١ (لسان العرب ، ابن منظور : ٤ / ١٩١٠ ، مادة سبب

٢ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٤١٧

٣ (ينظر المعجم الوسيط : ٢ / ٩١٥

٤ (مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان : ٧٤

٥ (موجز علوم القرآن ، داود العطار : ١٢٧

٦ (علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم : ٤٤

أن هذه التعريفات لم تكن قاصرة في بيان معنى (أسباب النزول) ، ولكن ما ذكره (مناع القطان) في تعريفه أسباب النزول ، ربما يكون أوسع ما ذكر من تعريفات ، لأن سبب النزول عنده هو ما كان سبباً لوقوع حادثة أو جواباً لسؤال .

ثانياً : مكانة أسباب النزول :

إن أسباب النزول تساعد على الفهم الصحيح لمعنى الآية ، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها.^(٢)

وقد غطى موضوع أسباب النزول صفحات عديدة من تفسيره (من وحي القرآن) إذ أشار فيه إلى أسباب نزول الآيات والسور ، ذاكراً روايات أسباب النزول ، جاعلاً من القرآن الكريم مقياساً لصحة الروايات وفسادها .

وللسيد فضل الله منهج مميز في سبب النزول ، حيث لم يجعل الآية منحصرة في الموقف الذي نزلت فيه أو الحادثة ، إنما جعل سبب النزول أنموذجاً حياً لكل عصر ، قال : ((ولكننا نرى الآية لا تتجمد عند النماذج التي نزلت فيهم أو انطلقت منهم ، لأن أسباب النزول تعتبر منطلقاً للفكرة من خلال النموذج الحي في عصر نزول الآية ، لتتحرك الفكرة من خلال الواقع الذي يقتحم على الناس حياتهم في نطاق المشكلة الحية البارزة))^(٣)

كما أن أسباب النزول يساعد على معرفة المورد الذي نزلت فيه الآية ، قال الطباطبائي : ((إن العلم بأسباب النزول يساعد شيئاً ما في معرفة مورد نزول الآية وما فيها من معاني))^(٤)

١ (أضواء البيان في علوم القرآن ، عامر عمران الخفاجي ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م ، مؤسسة دار الصادق ، بابل . العراق : ٤١

٢ (ينظر الأتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) : ٧٢ ، ينظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان : ٧٦

٣ (من وحي القرآن : ١ / ٥٣٢

٤ (القرآن في أسلام ، الطباطبائي : ١٢٠

وفي نفس المسألة يقول السيوطي نقلاً عن ابن تيمية : ((معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية ، فإن العلم بالمسبب يورث العلم بالمُسبَّب))^(١)

كما أقر الدكتور صبحي الصالح هذه القاعدة ، قال : ((ولئن كانت جو القصيدة والظروف التي نضمت من خلالها تعين على الفهم السديد ، وتسعف بالذوق السليم ، وتواكب الشرح الأدبي جنباً إلى جنب ، لتكون معرفة قصة الآية والأسباب التي أقتضت نزولها أعون على دقة الفهم ، وأدنى إلى استلهاهم أرجح التأويل وأصح التفسير))^(٢)

وإن الفكرة التي جاء بها السيد فضل الله هي الأنسب في معرفة سبب النزول ، لأن السيد فضل الله يرى أن في آيات القرآن الكريم حياة وروح ، لا تنقيد في المورد الذي نزلت فيه ، إنما في آيات القرآن الكريم الفضاء الواسع والفكرة التي يمكن أن تتجسد في كل زمان ومكان ، قال : ((إن سبب النزول يمثل المنطلق للفكرة لا المدى المحدد الضيق فيها))^(٣)

ثالثاً : الترجيح والقبول بأسباب النزول :

إن الناظر في تفسير (من وحي القرآن) يجد أن السيد فضل الله قد أفاد من روايات أسباب النزول ، مرجحاً إحدى الروايات فيها ، إذا كانت تتناسب مع المفاهيم القرآنية .

الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (النساء : ٥٠)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في أسباب نزول الآية على النحو الآتي :

الأول : جاء في (أسباب النزول) للواحدي : قال الكلبي : نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأطفالهم ، وقالوا يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب

١ (الأتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٧١ ، مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية : ٣٨

٢ (مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح : ١٢٩

٣ (من وحي القرآن : ٤ / ٢٥٢

؟ قال : لا ، فقالوا والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم ، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كُفر عنا بالليل ، وما من ذنبٍ نعمله بالليل إلا كُفر عنا بالنهار فهذا الذي زكوا به أنفسهم))^(١) ، حيث نقد السيد فضل الله هذه الراية لأنها لا تتناسب مع طبيعة اليهود ونصرتهم إلى الإسلام والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال : ((إننا لا نفهم كيف اليهود المعادين للإسلام وللرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يأتون إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليسألوه عن مصيرهم في الآخرة ، بلحاظ أعمالهم في النهار أو الليل ، بما يكفر عنهم الذنب الذي فعلوه في الوقت الآخر لتكون النتيجة أنه لا يبقى عليهم أي ذنب في نهاية المطاف في القت الذي لا يزالون فيه على دينهم ، مما يجعل الرواية بعيدة عن طبيعة الأمور))^(٢)

الثاني : جاء في (مجمع البيان) : ((نزلت في اليهود والنصارى ، حيث قالوا : { نحن أحبنا الله } (المائدة : ١٨) ، وقالوا : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (البقرة : ١١١) ((^(٣)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله الرواية الثانية لأنها الأقرب إلى جو الآية : قال : ((أما الرواية الثانية هي الأقرب إلى جو الآية ، باعتبار أن اليهود والنصارى كانوا في ذلك الوقت ، وربما في مراحل أخرى ، يتحدثون بهذه الطريقة التي يرون فيها أنهم وحدهم القريبون إلى الله ، وأنهم يدخلون الجنة دون غيرهم))^(٤)

• قال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام : ١٢٢)

١ (أسباب النزول ، الواحدي : ١٠٣)

٢ (من وحي القرآن : ٤ / ٢٥٢ . ٢٥٣)

٣ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٣ / ٨٧ ، تفسير الضحاك : ٢٩٢ .

٤ (من وحي القرآن : ٤ / ٢٥٢)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في أسباب نزول الآية على النحو الآتي :

الأول : جاء في أسباب النزول أن المراد بالآية ((حمزة بن عبد المطلب وأبو جهل ، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بفريث ، وحمزة لم يؤمن بعد ، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ، وببيده قوس ، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول يا أبا يعلى ، أما ترى ما جاء به ؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا ؟ قال حمزة : ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن الله لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .، فأُنزل الله تعالى هذه الآية))^(١)

الثاني : جاء في (مجمع البيان) : ((قيل : إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب ، وأبي جهل بن هشام ، وذلك أن أبا جهل آذى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره بذلك حمزة ، وهو على دين قومه ، فغضب ، قيل : نزلت في عمر بن الخطاب ، وقيل : إنها عامة في كل مؤمن وكافر ، وهذا أولى لأنه أعم فائدة))^(٢) ، تبين أن الطبرسي رجح القول الأخير

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، لأن الروايات الواردة في أسباب النزول ليس فيها ما دل على أن هنالك مشكلة بين شخصين أحدهما مؤمن والآخر كافر ، إنما واردة في التفاضل الأيمان على الكفر ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة : ١٨) ، أو التي تفضل العالمين على الجاهلين ، كما في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر : ٩) في سياق الحديث عن القاعدة الحاكمة من حيث المبدأ^(٣)

١ (أسباب النزول ، الواحدي : ١٥٠ . ١٥١)

٢ (مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٤ / ١١٥ ، أسباب النزول المسمى (لباب النقول في أسباب النزول) ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠٢ م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت . لبنان : ١١٨

٣ (ينظر : من وحي القرآن : ٦ / ٢٧٢

المطلب الثامن : قاعدة الترجيح في مبهمات القرآن :

في القرآن الكريم مبهمات لم يرد فيها تفصيل وبيان في مواضع أخرى من آيات القرآن الكريم ، وهي مما أستاذته الله بعلمه ، ولا يعلم تأويلها إلا الله تعالى .

أولاً : تعريف المبهم في اللغة والأصطلاح :

المبهم في اللغة :

وردت في المعاجم اللغوية عدة تعريفات (للمبهم) نذكر منها :

قال الجوهري : (بهم) : جمع بهْم ((استبهم عليه الكلام ، أي أستغلق وتبهم أيضاً ، وفي الحديث يحشر الناس حفاة عراة بهما أي ليس معهم شيء))^(١)

قال ابن فارس : ((الباء والهاء والميم : أن يبقى الشيء لا يعرف المأثى إليه . يقال هذا أمر مبهم ، ومنه البهمة الصخرة التي لا خرق فيها ، وبها شبه الرجل الشجاع الذي لا يقدر عليه من أي ناحية طُلب))^(٢)

كما عرف المبهم : ((هو المجهول الذي لا يعرف ، مأخوذ من البُهم ، بالضم جمع (بهيم))^(٣)

المبهم اصطلاحاً :

عرفه الدكتور محمد عبطان الشمري : ((لفظ خفي المراد منه ، بحيث لا يدرك إلا ببيان من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأصحابه الآخذين عنه ، والتابعين الآخذين عن

١ (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : ١٨٥٧

٢ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ١ / ٣١١

٣ (لسان العرب ، ابن منظور : ١ / ٢٨٠

الصحابة ، إذ لا قرينة تدل على معناه ، ولاتوجد قرائن لفظية أو حالية تبينه ، بل لابد من الرجوع إلى الأثر لمعرفة المراد من اللفظ))^(١)

وعرف أيضاً : ((كل لفظ ورد في القرآن الكريم من ذكر من لم يسمه الله فيه بأسمه العلم ، من نبي أو ولي أو غيرهما ، من آدمي أو ملك أو جني أو بلد أو كوكب أو شجر أو حيوان له اسم علم أو عدد لم يحدد أو زمن لم يبين ، أو مكان لم يعرف))^(٢)

والذي أراه أن معنى المبهمات في القرآن : هي المعاني التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى ، كما أنها لا فائدة من التكلف في بيان معناها

ثانياً : مبهمات القرآن وأثرها في الترجيح :

ورد في القرآن الكريم الكثير من المبهمات من معاني القرآن التي لم يرد فيها تفسير من نص قرآني ، إنما وردت مجملة ، فالإبهام يكون في الأشخاص والأزمنة والأمكنة ، ((ويكون الأبهام فيما وقع وانقضى في أمم سالفة ، كنوع الشجرة التي أكل منها آدم وزوجته ، ونوع عصا موسى ، ومكان الكهف ولون الكلب ونحو ذلك))^(٣)

وقد تناول المفسرون الكثير من مبهمات القرآن ولم يوقفوا على معناها ، ولم يرجحوا أحد الأقوال في بيانها ، لأنهم يرون لا فائدة في بيانها ، فهي قد وردت مجملة ولم يرد تفصيلها في القرآن الكريم ، إنما تركوا أمرها إلى الله ، وذلك ((لأنها علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضر جهله به))^(٤)

١) المبهمات في القرآن الكريم ، محمد عبطان الشمري ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م ، دار النعمان للعلوم ، دمشق . سوريا : ١٨

٢) تفسير مبهمات القرآن ، ابو عبدالله محمد بن علي البننسي (ت ٧٨٢ هـ) ، تحقيق : حنيف بن الحسن القاسمي ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، دار الغروب الإسلامي ، بيروت . لبنان : ١ / ٣٥

٣) منهج ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية : ١٤٢

٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري : ١ / ٥٢٠

وهذا المنهج قد قرره ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير بقوله بعد تناول جملة من مبهمات القرآن : ((فهذه الأمور طريق العلم بها النقل ، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كأسم صاحب موسى أنه الخضر فهذا معلوم ، ولو لم يكن كذلك ، بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب ... فهذا لايجوز تصديقه ولا تكذيبه)) ^(١)

أما السيد الطباطبائي فقد سلك مسلكاً رائعاً في حل مشكلة الغيبيات والمبهمات في القرآن الكريم قائلاً : ((إن البحث الصحيح يوجب أن نفسر هذه البيانات اللفظية . يعني الغيبيات والمبهمات في القرآن . على ما يعطيه اللفظ في العرف واللغة ثم يعتمد في أمر المصادق على ما يفسر به بعض الكلام بعضاً ثم ينظر هل الأبحاث العلمية تنافيها أو تبطلها ؟ فإن أثبتت فيها ، وان نفت ، فلا حاجة للركون إلى هذه العلوم الطبيعية)) ^(٢)

ثم ذكر السيد الطباطبائي أن من العلوم التي لا يجوز معها التفسير وهي خمسة عشر علماً منها تفسير المجملات والمبهمات في القرآن الكريم ^(٣)

ويتفق السيد فضل الله مع منهج السيد الطباطبائي في تفسير المبهمات ، لأنه عد تفسير كلام الله من القضايا التي لا يمكن التهاون بها ، قائلاً : ((لأن أمر تفسير كلام الله من القضايا الكبيرة التي لامجال للتساهل فيها بالاعتماد على رأي واحد)) ^(٤)

كما أشكل على كثير من المفسرين ، منها في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ (المرسلات : ١ . ٢) فرد عليهم قائلاً : ((وقد نجد أن بعض الكلمات . لاتنسجم مع إرادة معنى الملائكة منها ، كما أن الملقيات ذكرا لاتنسجم مع الرياح والمطر بحسب الظاهر . ولعل الأفضل هو عدم الالتزام بوحدة المعنى في الجميع ، في ما تنطبق عليه

١) مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية : ٥٦ . ٥٧

٢) نقد منهج التفسير والمفسرون المقارن ، سالم الصفار ، د ط ، د ت ، دار الهادي : ٤١٢ ، الميزان في تفسير القرآن : ١ / ٨٩

٣) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٣ / ٧٧

٤) من وحي القرآن : ١ / ٢٩٢

الكلمات ، بل يمكن أن يختلف المراد من إحداها على الأخرى . كما ليس من الضروري التدقيق في ذلك ، لأن مثل هذه الأمور مما لم يرد فيها نص موثوق به عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عن العترة الطاهرة من أهل بيته (عليهم السلام) ، ولم يرد أسناد هذه المعاني من الصحابة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلنجل ما أراد الله أجماله في ما يمكن أن يتحد أو يتعدد ((^(١)

وفي حديثه عن تناول بعض المفسرين لبعض الأخبار المروية في القصص القرآني ، التي عدها من الأسرائيليات فرد عليهم قائلاً : ((إن بعض القصص المروية لا تثبت أمام النقد في وثاققتها السندية ... ولهذا فأننا لا نجد فائدة من التعرض لذلك ، كمنهج قرآني في عدم التوقف أمام الجزئيات التي لا دور لها في الاتجاه الفني في القصص القرآني ، ما يبعد التفسير عن الخضوع للخرافات أو للإسرائيليات القصصية))^(٢)

وبهذا تكون المبهمات هي التي سكت عنها القرآن الكريم ، فقد سكت عنها مفسرنا الجليل ، وعلق عليها بمقدار ما علق عليها القرآن الكريم ، لأن الله أوردتها مجملة ولم يفصلها ، ولم تكن هناك فائدة في بيانها وتفصيلها

ثانياً : الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . المراد من نوع الكلمات التي تلقاها آدم من ربه :

في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة : ٣٧)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في نوع الكلمات التي تلقاها آدم من ربه

١ . جاء في الدر المنثور : ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " لما ذنب آدم الذنب الذي أذنبه ، رفع رأسه إلى السماء فقال : أسألك بحق محمدٍ إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه : ومن محمد ؟ فقال : لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك ، فإذا فيه مكتوب : لا إله إلا

١ (المصدر نفسه : ١٩ / ٣٣٦

٢ (من وحي القرآن : ١٤ / ١٢٩ . ١٣٠

الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليه : يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك ولولا هو ما خلقتك ((^(١))

٢ . وروى الكليني في الكافي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ قال : ((سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين))^(٢)

ولم يرجح السيد فضل الله واحداً من هذه الآراء ، لأنه عدّها من المبهمات التي وردت مجملة ولم يرد فيها تفصيل قائلاً : ((ومهما يكن من أمر فإن الله قد أبهم أمر هذه الكلمات ونكرها ، للايحاء بأن القضية هي قضية لطف الله بآدم ، في توجيهه نحو التوبة وتقريبه إليه ، للتدليل على كرامته عنده ، بخلاف إبليس الذي سلب الله عنه رحمته وأبعده عن مواقع القرب عنده ، فلنجل ما أجمله الله ، ولنقف في التفصيل على ما تثبت لنا حججه))^(٣)

٢ . المراد من السبع المثاني :

في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ (الحجر : ٨٧)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد بالسبع المثاني على النحو الآتي :

الأول : أن المراد بها السبع الطوال في أول القرآن : سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس أو الأنفال مع التوبة بدلاً من يونس ، ولكن المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من أهل البيت (عليه السلام) أن المراد بها سورة الفاتحة المشتملة على سبع آيات ، أما كلمة المثاني فقد ذكر المفسرون بأنها مشتقة من التثنية

١ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ١ / ٣١٣)

٢ (أصول الكافي ، للكليني : ٨ / ٣٠٥ ، ح ٤٧٢)

٣ (من وحي القرآن : ١ / ٢٢٨ . ٢٢٩)

أو الثني ، بمعنى التكرير أو الإعادة ، لتكرر المعاني في آيات القرآن أو لتثنية قراءة الحمد في الصلاة ، أو لأنها تجمع بين الربوبية والعبودية))^(١)

الثاني : ذكر صاحب الميزان ((أن المثنائي جمع مثنية ، أسم مفعول من الثني ، بمعنى اللوي والعطف والإعادة ، قال تعالى : ﴿ يَثْنُون صَدُورَهُمْ ﴾ (هود : ٥) . وسميت الآيات القرآنية مثنائي ، لأن بعضها يوضح حال البعض ويلوي وينعطف عليه ، كما يشعر به قوله : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثْنِي ﴾ (الزمر : ٢٣) ، حيث جمع بين كون الكتاب متشابهاً يشبه بعض آياته بعضاً ، وبين كون آياته مثنائي ، وفي كلام النبي في صفة القرآن : يصدق بعضه بعضاً^(٢) ، وعن علي (عليه السلام) : فيه : ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض^(٣) ، أو هي جمع مثنى بمعنى التكرير والإعادة ، كناية عن بيان بعض الآيات ببعض^(٤)

ولم يرجح السيد فضل الله واحداً من هذه الأقوال لأنه يرى أن الكلمة وردت مجملة ولم يرد فيها تفصيل ، قائلاً : ((وقد لا يستطيع الإنسان الجزم بوجه معين من هذه الوجوه المحتملة ، ما يجعل من الكلمة كلمة مجملة ، ولا سيما إذا أردنا تطبيقها على سورة الفاتحة ، أو على السور السبع الطوال ، فلنترك أمرها إلى الله))^(٥)

٣ . المراد بالكتاب الذي يملك هذا الشخص علمه :

في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل : ٤٠)

١ (ينظر : تفسير العياشي : ٢ / ٢٦٩ ، التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٦ / ٣٥٣ ، جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري : ١٤ / ١٠٨)

٢ (ينظر : مسند أحمد ، الأمام أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الحديث ، القاهرة : ٢ / ٢٨١ . ٢٨٤)

٣ (ينظر : نهج البلاغة ، صبحي الصالح : ٥٩ ، خ ١٣٣)

٤ (الميزان في تفسير القرآن : ١٢ / ١٩١)

٥ (من وحي القرآن : ١٠ / ١٩١)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد بالكتاب الذي يملك هذا الشخص علمه على النحو الآتي :

ذكر صاحب مجمع البيان في المراد بالكتاب : ((وأما الكتاب المعروف بالآية بالآلف واللام فقليل : إنه اللوح المحفوظ ، وقيل : أراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه وليس المراد به كتاباً بعينه والجنس قد يعرف بالآلف واللام ، وقيل : إن المراد به كتاب سليمان (عليه السلام) إلى بلقيس))^(١)

ولم يرجح السيد فضل الله أحد هذه الأقوال ، لأنه عدها من الغيبيات التي لا يمكن معرفتها ، كما أنها عديمة الفائدة ، قائلاً : ((وقد لا يكون هناك كبير فائدة في الاستغراق في هذه الاحتمالات ، لأننا لم نصل منها إلى نتيجة حاسمة بعد إن كانت غيباً لا نملك معرفته في طبيعته ومصادره الموثوقة ، فلنقتصر منها على ما أجمله القرآن في أمره ، ولنستوح من ذلك ، أن هذا العلم الذي يملكه هذا الشخص ، ليس من نوع العلم المألوف لدى الناس الذي يكتسبونه بالفكر والتعلم بل هو من نوع العلوم الروحانية التي تطل على الغيب من موقع متقدم ، وتتيح لصاحبه أن يتصرف في الأمور الكونية بما يشبه المعجزة ولكن كيف تعلم هذا الرجل ذلك ، وماهي خصوصيته ؟ وما هي مكانته ؟ هذه علامات استفهام لا نجد جواباً عليها ، ولا نرى كبير فائدة في إثارتها والبحث عنها ، في ما يجب علينا معرفته من شؤون العقيدة والحياة))^(٢)

المطلب التاسع : قاعدة الترجيح بلغة العرب :

أولاً : تعريف اللغة في اللغة والأصطلاح :

تعريف اللغة لغة :

وردت الكثير في المعاجم اللغوية لتعريف (لغو) نذكر أهمها :

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٧ / ٢٨٠)

٢ (من وحي القرآن : ١٤ / ٣٧)

قال ابن فارس : لغو ((اللام والغين والحرف المعتل أصلاً صحيحان ، أحدها يدل على الشيء ولا يبتعد به ، والآخر هو اللهج بالشيء ، وقولهم : لغى الأمر ، إذا لهج به ، ويقال أن اشتقاق اللغة منه ، أي يلهج صاحبها بها))^(١)

كما نقل عن ابن منظور قوله : ((اللغو ، واللغا : السقط وما لا يعتد به من الكلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع))^(٢)

والذي أراه أن أقرب تعريف لموضوعنا هو تعريف ابن فارس ، لأنه فسر اللغة بمعنى اللهج، أي ما يلفظ من الكلام

بينما تعريف ابن منظور لمعنى اللغة ، فهو بعيد عن موضوعنا ، لأنه فسر معنى اللغة ، بالكلام عديم الفائدة ، وهذا لا يمكن الأخذ به .

تعريف اللغة في الاصطلاح :

ذكر العلماء تعريفات كثيرة لمفهوم (اللغة) في الاصطلاح نذكر الأهم منها :

قال ابن جني (ت ٣٩٢) : ((هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))^(٣)

قال الجرجاني : ((هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))^(٤)

أما المراد من علم العربية : ((فالمراد به معرفة مقاصد العرب من كلامهم ، وأدب لغتهم ، فإن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط

١ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٢٥٥ . ٢٥٦)

٢ (لسان العرب ، ابن منظور : ٦ / ٤٤٤ ، مادة ، لغا

٣ (الخصائص ، ابو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، د ط ، د ت ، دار

الكتب المصرية : ١ / ٣٣

٤ (التعريفات ، الجرجاني : ١٩٢

وسوء الفهم ، والمعني بقواعد اللغة العربية ، مجموع علوم لسان العربي ، وهي فن اللغة والتصريف ، والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك))^(١)

وقيل أيضاً المراد باللغة العربية التي تعد من أهم شروط المفسر : ((معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم ، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة ، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزر القرآن بين ظهرائهم ، أم حصلت بالتلقي والتعليم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافوها بقية العرب ، ومارسوا اللغة على طريقهم ، والمولودين الذين مارسوا علوم اللسان ودونها))^(٢)

وبهذا تكون قواعد اللغة العربية طريقاً لاستظهار معاني القرآن الكريم ، كما إن المفسر يقع بالغلط وسوء الفهم إذا لم يكن عارفاً بقواعد اللغة العربية ، كما أن الوجه الأول للإعجاز هو الإعجاز البياني ، وبهذا كانت اللغة العربية وسيلة لإظهار هذا الإعجاز البياني .

ثانياً : اللغة وأثرها في الترجيح :

يستعين الكثير من المفسرين ، بقواعد اللغة العربية للترجيح بين الأقوال التفسيرية ، ومعرفة أصح الأقوال ، ((لأن الاستعمال العربي للفظة أو الأسلوب يكون دليلاً في ترجيح أحد الأقوال على غيرها))^(٣)

وتحتل اللغة المكانة السامية والمنزلة العالية في فهم القرآن الكريم وتفسيره ، وبيان معنى المفردة القرآنية وهذا ما لاحظناه في تفسير الصحابة ، حيث أعتمد الصحابة على اللغة في تفسيرهم للقرآن الكريم ، منها تفسير ابن عباس لمعنى فاطر ، في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخَذُ وُلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ ﴾ (الأنعام : ١٤) ، قال ابن عباس : ((ماكنت أدري معنى فاطر

١ (أصول التفسير وقواعده ، عبد الرحمن العك : ٤٣)

٢ (قواعد التفسير ، خالد السبت : ٢١٠)

٣ (فصول في أصول التفسير ، : ١١٥)

حتى أحتكم إلي اعرابيان في بئر ، فقال : أحدها أنا فطرتها ، أي أبتدأت حفرها)) ، ^(١) أي خالقها ، وبهذا يتبين أن اللغة أثراً واضحاً في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وأيضاً روي عن ابن عباس أنه قال : ((ماكنت أدري ماقوله : ﴿ ربنا أفتح بنا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾) (الأعراف : ٨٩) ، حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول أنا أفاتحك يعني أقاضيك))^(٢)

كما أن لعربية القرآن عند السيد فضل الله أثراً في بيان الألفاظ وتحديدتها ، وهذا ما نراه عن طريق تفسيره للآيات الدالة على ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت : ٣)

قائلاً في بيان الآية : ((فهو قرآن عربي في لغته وطريقته وأسلوبه في عرض المفاهيم العقيدية والشرعية والكونية .. فإن الرسالة لا بد من أن تكون باللغة التي تفهمها الأمة لتستطيع أستيعابها وقبولها)) ^(٣)

وفي ضوء هذا رد السيد فضل الله بعض المفسرين في تفسيرهم للحروف المقطعة التي أبتدأت بها أكثر من سور القرآن الكريم بأنها من الرموز و الأسرار التي تعبر عن تاريخ معين تنتهي فيه الدنيا ، أو تتمثل فيه بعض الحوادث ، أو تكون من قبيل الرموز الخفية بين الله ورسوله. ^(٤)

وقد رد السيد فضل الله هذا الوجه من التفسير ، لأنه يرى ان القرآن الكريم لم يتجه هذا الاتجاه المتكلف في التعبير عن الحوادث والأشياء ، ليكون من قبيل الأسرار والألغاز التي لا يفهمها الناس ، فلو كان كذلك فإنه لا يحقق أي هدف للمعرفة والهدى في حياة الناس ، كما أن

١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٩ / ١٧٥

٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد محمد أبو موسى ، ط ٢ ، ١٤٠٨ . ١٩٨٨ م ، دار التضامن ، القاهرة . مصر : ٧

٣) من وحي القرآن : ١٦ / ٣١٤

٤) ينظر ، التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ١ / ٤٨ ، جامع البيان عن تفسير آي القرآن ، الطبري : ١ / ١٣١

القرآن الكريم ليس رسالة خاصة من الله إلى الرسول ليشمل على الرموز الخفية التي يفهما المرسل إليه من دون الناس ، بل هو كتاب هدى للناس كافة. ^(١)

كما يرى السيد فضل الله أن المعنى اللغوي للكلمة يعطي مجالاً أوسع لمعنى الكلمة ، وهذا ما نراه في تفسيره لكلمة الإنفاق في قوله تعالى : ﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾ (البقرة : ٣) ، حيث فسر الإمام الصادق (عليه السلام) (الإنفاق) في كل طاقة يملكها الإنسان مما يحتاج إليها الآخرون من العلم وغيره وليس المال فقط ، قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((وما علمناهم من القرآن يتلون)) ^(٢)

وفي هذا السياق ، قال السيد فضل الله : ((ومن الطبيعي أن الإمام الصادق (عليه السلام) لا يريد أن يحصر مدلول الآية في إنفاق العلم ، لأن مجالها اللغوي أوسع من ذلك ... ونستطيع أن نستوحي منها الإنفاق في مجالات أخرى ، كإنفاق الجاه والجهد والخبرة وغيرها)) ^(٣)

كما يجدد السيد فضل الله موقفه من المعنى اللغوي للكلمة ، فهو يرى أن اللفظ اللغوي لا يقصر من معنى الكلمة ، بل من الممكن أن نستوحي منها أكثر من معنى ، قائلاً : ((اللفظ ليس مدلولاً لغوياً يتجمد المعنى عنده ، بل هو إحياء عميق ممتد في رحاب الحياة ، يتسع ويشمل كل ما يتصل به من أجواء ومواقف وأشياء)) ^(٤)

كما يذكر السيد فضل الله للمفردات القرآنية في تفسيره ، ويتعرض أحياناً إلى الأقوال التفسيرية في بيان المعنى اللغوي للمفردة القرآنية مرجحاً أحد هذه الأقوال ، مستدلاً بما ورد من المعاجم اللغوية أو أشعار العرب ، وهذا ما نتعرض إليه في الأمثلة التطبيقية للقاعدة

١ (ينظر من وحي القرآن : ١ / ٩٤

٢ (بحار الأنوار ، المجلسي : ٢ / ١٧ ، ح ٣٨

٣ (من وحي القرآن : ١ / ١١٠

٤ (المصدر نفسه : ١ / ١١٠

ثالثاً : الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . اختلاف المفسرين في معنى (الباء) في كلمة (بإحسان) :

في قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضْوَانَهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ **القوة: ١٠٠**

، ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين بمعنى الباء في كلمة (بإحسان) على النحو الآتي :

الأول : ذهب بعضهم : ((أن الباء بمعنى " في " ، بأن يكون المتبوعون محسنين ، ثم يتبعهم
التابعون في إحسانهم ، ويقتدون بهم في فيه)) ^(١)

الثاني : ذهب بعضهم أن الباء للمصاحبة ، بمعنى : مع ، بأن يكون المراد مقارنة بالاتباع
لنوع ما من الإحسان مصاحباً له ، وذلك بأن يكون الأتباع بالحق ، لكون الحق معهم ، لا
لعلاقتهم العاطفية بهم كما الحال في تقليد الأبناء للأباء . ^(٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الأول ، قائلاً : ((ولعل الأول هو الأنسب ، بأن المراد هو
المتابعة بالمضمون الحق ، ليكون هناك تطابق في الأتباع ، ليكونوا كأنهم هم في كل ما ساروا
عليه مما اتبعوهم فيه)) ^(٣)

٢ . المراد من معنى (فاطر) :

في قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **الأزعام: ٤١**

١ (من وحي القرآن : ٨ / ٣٨٧)

٢ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٩ / ٣٨٦)

٣ (من وحي القرآن : ٨ / ٣٨٨)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في معنى (فاطر) على النحو الآتي :

الأول : ذكر الطبري : ((ويعني بقوله : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ : مبدعهما ومبتدئهما وخالقهما))^(١)

الثاني : ذهب صاحب تفسير الأمل أن فاطر بمعنى " أنشئ " قائلاً : ((لقد أظهرت دراسات العلماء أن العالم الكبير (الكون) والعالم الصغير (المنضومة الشمسية) كانت كلها كتلة واحدة تشققت على أثر الانفجارات الكبيرة المتتالية ، وتكونت المجرات والمنظومات والكرات))^(٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الأول ، قائلاً : ((ولكن المعنى الأول قد يكون الأقرب))^(٣) ، وما يؤكد قوله هذا تفسيره لمعنى الآية قائلاً : ((الذي أبدعها بكل ما فيها من مخلوقات حية وجامدة ؟ فهو الغني عن كل شيء فيها ، إذ لا شيء في الوجود إلا خلقه))^(٤)

٣ الفرق بين كلمة (ليطفئوا) في سورة الصف ، و (أن يطفئوا) في (سورة التوبة: آية ٣٢) : في قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٥)

الصف: ٨ ، ذكر السيد خلاف المفسرين في كلمة (ليطفئوا) الواردة في سورة الصف آية (٨) ، و (أن يطفئوا) الواردة في سورة التوبة آية (٣٢) على النحو الآتي :

الأول : ذكر الراغب الأصفهاني : ((أن الفرق بين الموضعين ، أن في قوله (يريدون أن يطفئوا نور الله) يقصدون إطفاء نور الله ، وفي قوله (ليطفئوا) يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله))^(٥)

١ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩ / ١٧٦)

٢ (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٤ / ١٤٠)

٣ (من وحي القرآن : ٦ / ٣٥)

٤ (المصدر نفسه : ٦ / ٤١)

٥ (المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٣٠٥)

أذن : فالأول للغاية ، والثاني السبب الموصل للغاية ، وهذا ما ذكره السيد فضل الله قائلاً : ((ففي الأول المراد الإطفاء نفسه ، بينما المراد في التعبير الثاني السبب الموصل إلى الإطفاء ، وهو النفخ بالأفواه ، والإطفاء غرض وغاية)) (١)

الثاني : جاء في تفسير الكشاف : تعليقاً على قوله (ليطفئوا) ، حيث جعل للام في (ليطفئوا) للتأكيد ، قائلاً : ((أصله : يريدون أن يطفئوا ، كما جاء في سورة براءة ، وكأن هذه للام زيدت مع الفعل الإرادة تأكيداً له ، لما فيه من معنى الإرادة في قولك : جئتكم لإكرامكم ، كما زيدت اللام في أبا لك ، وإطفاء نور الله بأفواههم : تهكم بهم في أراذلهم أبطال الأسلام بقولهم في القرآن : هذا سحر ، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه)) (٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، قائلاً : ((والظاهر أن مانقله الزمخشري هو الأقرب ، لأن المضمون في الآيتين واحد ، مع ملاحظة أن إرادة الإطفاء بمعنى الغاية . كما هو احتمال (المفردات) . يُراد به تحقيق السبب للوصول إلى المسبب)) (٣)

٤ . المراد من لفظة (الرزق) : في قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ

السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ عَفْر: ٣١

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من لفظة الرزق على النحو الآتي :
الأول : المراد ب (الرزق) المطر ، ونور الشمس ، والهواء ، قال صاحب تفسير الأمل : ((قطرات المطر تعطي الحياة ونور الشمس يحيي الكائنات ، والهواء سر الوجود والحياة ، حياة جميع الكائنات ، حيوانات نباتات أناس ، كلها تنزل من السماء)) (٤)

١ (من وحي القرآن : ١٨ / ٣٤٣)

٢ (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، الزمخشري : ٦ / ١٠٥)

٣ (من وحي القرآن : ١٨ / ٣٤٣)

٤ (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٥ / ١٤٣)

الثاني : ذكر سيد قطب المراد من (الرزق) : ((الرسالات المنزلة من السماء)) ^(١) ، لأنها تمثل الغذاء العقلي والروحي للإنسان .

الثالث : أما البعض فيفسر الرزق ، بمعنى نزول الرزق من السماء إلى الأرض ، أي : بروز الأشياء من عالم الغيب إلى عالم الشهود ، فيفسر السماء بعالم الغيب ، والأرض بعالم الشهو ^(٢)

الرابع : ذكر صاحب المفردات المراد ب (الرزق) هو : ((العطاء الجاري تارتاً دنيوياً كان أم أخروياً ، وللنصيب تارة ، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة)) ^(٣)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الرابع ، لأنه فسر الرزق بما يتبادر من معناها اللغوي ، قائلاً : ((لأن المراد من الرزق ، حسب معناها اللغوي . العطاء ... كما يقول الراغب)) ^(٤)

أما القول الآخري ، فهو يرى أنها خلاف الظاهر . ^(٥)

المطلب العاشر : قاعدة الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير :

صورة هذه القاعدة وهي ، إذا تنازع العلماء في مرجعية ضمير ما ، وكان أحد الأقوال له وجه صحيح في العربية وفي السياق ، فهو أولى بحمل الآية عليه ^(٦)

وقد اعتمد السيد فضل الله على هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال المفسرين ، حيث رجح أحد الأقوال في مرجعية الضمير كما أن إعادة الضمير إلى مذكور أو إلى مقدر ، فإعادته إلى المذكور أولى وأحسن من إعادته إلى مقدر ^(٧)

١ (في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٥ / ٣٠٧٢)

٢ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٢٤١)

٣ (المفردات في غريب القرآن : ١٩٤)

٤ (من وحي القرآن : ١٦ / ٢٤١)

٥ (ينظر : المصدر نفسه : ١٦ / ٢٤١)

٦ (ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين علي الحربي : ٥٨٥)

٧ (ينظر : المصدر نفسه : ٥٩٣)

وهذا ما سنورده في الأمثلة التطبيقية لهذه القاعدة .

أولاً : تعريف الضمير لغةً وأصطلاحاً :

لقد وردت تعاريفات كثيرة في المعاجم العربية لتعريف الضمير نذكر منها :

قال الأصفهاني : ((الضمير مأخوذ من الضمور وهو دقة في الشيء ، وذلك لأن حروفه قليلة بالنسبة إلى الظاهر ، أو هو مأخوذ من الضمير ، لأنه كناية عما فيه من الاسم الظاهر ، وهذا الأصل يدل على غيبة وتستر))^(١)

قال ابن فارس : ((الضاد والميم والراء أصلان صحيحان ، أحدها يدل على دقة في الشيء ، والآخر يدل على غيبة وتستر))^(٢)

إذن : فالضمير يدل على الدقة ، والدلالة على أسم غائب.

أما الضمير اصطلاحاً : ((فهو اللفظ المحتاج في تفسيره إلى اللفظ منفصل عنه إن كان غائباً ، أو قرينة تكلم أو خطاب))^(٣)

أما شرح التعريف ، فقولهم : ((" إلى اللفظ " احتراز من ألفاظ الإشارة لأنه لا بد أن يكون معها مفسر ، وقولهم : " منفصل عنه " احتراز من الموصولات لأنه لا بد أن تتصل صلاتهم بها ، وقولهم : " قرينة تكلم أو خطاب " ليدخل فيه ضمير المتكلم والمخاطب ، لأنه لا يحتاج إلى معرفة اللفظ الظاهر ، بل قرينة التكلم والخطاب كافية في ذلك))^(٤)

١ المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني : ١ / ٥١٢ ، مادة ضمير

٢ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣ / ٣٧١ ، مادة ضمير

٣ شرح المقدمة المحسبة ، طاهر بن أحمد بابشاذ ، تحقيق : خالد عبد الكريم ، د ط ، ١٩٧٧ م ، المطبعة العصرية ، الكويت : ١ / ١٦٤

٤ شرح التسهيل لأبن مالك ، محمد بن عبدالله ابن مالك ، تحقيق : عبد الرحمن السيد . محمد المختون ، ط ١ ،

١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١ / ١٢٠

وأما تعريف مرجع الضمير : ((فهو الاسم الذي يعود عليه ، ويبين المراد به ، ويسمى أيضاً مفسراً للضمير))^(١)

ومن خلال ماتقدم من تعريفات يتبين : أن لمرجعية الضمير أثراً واضحاً في بيان المراد من معنى الآية ، حيث تعتمد مرجعية الضمير على جو الآية وما يحيط بها من قرائن .

ثانياً : الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة :

١ . مرجع الضمير في (عليه) :

في قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَصْـُورُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **القوة: ٤.**

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في مرجعية الضمير في (عليه) على النحو الآتي :

الأول : ذكر بعضهم : أن مرجع الضمير من عليه ، في قوله تعالى : { فَأَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ مِنْ عَلَيْهِ } ، عائد إلى أبي بكر ، لأن النبي بحاجة إلى سَكِينَةٍ ، فهو على سَكِينَةٍ من ربه ، فإنزال السكينة في هذا لظرف يكشف عن نزوله على صاحبه^(٢)

الثاني : إن الضمير عائد إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا ما ذكره الطبري ، قائلاً : ((فَأَنْزَلَ اللَّهُ طَمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ عَلَى الرَّسُولِ))^(٣)

١ (معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، ط ٣ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الفكر ، عمان . الأردن : ١ / ٥٥)
٢ (ينظر : عيون أخبار الرضا ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ت ٣٨١ هـ الصدوق ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ ، منشورات الشريف الرضي ، قم . إيران : ٢ / ٢٠٧ ، ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٣ / ٢٤٥)

٣ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١١ / ٤٦٧)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، لأنه قد وردت آيات أخرى مماثلة لهذه الواقعة ،
قائلاً : ((والوجه في ذلك أن الله تحدث عن إنزال السكينة على رسوله في وقائع مماثلة ، كما
جاء في قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ
تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٦) **القوة: ٦٢**

، في واقعة حنين ، وقوله تعالى في سورة الفتح قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ
الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٦٦) **الفتح: ٦٢**

، ولعل المناسبة في إنزال السكينة عليه . وهو المقصود بالتأييد الإلهي ، لأن التحدي موجهٌ إليه
من قبل المشركين . إن الموقف يدفع ، بحسب طبيعته ، إلى القلق والاهتزاز ، ما يجعل الحديث
عن السكينة مناسباً إليه .

وهذا مع ملاحظة إن الضمائر في الآية راجعةٌ إليه ، ولا سيما قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّدِهِمْ بِجُنُودٍ لَمْ
تَرَوْهَا ﴾ ، ما يوحي بأن سياق الحديث عنه لا عن شخص آخر)) (١)

٢ . مرجع الضمير في قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ
فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (١١) **هـ: ١١**

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في مرجع الضمير في قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ على النحو
الآتي :

الأول : إنه راجع إلى قوم موسى ، وكلمة ﴿ منه ﴾ ، فقالوا أنه راجع إلى كتاب التوراة (٢)

١ من وحي القرآن : ٨ / ٢٧٤

٢ مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٥ / ٣٤١

الثاني : إن كلمة ﴿ وإنهم ﴾ يعود إلى مشركي مكة ، و ﴿ منه ﴾ يعود إلى القرآن ^(١)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، قائلاً : ((وذلك من خلال أن الآيات جاءت لتسلية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولعله الأقرب)) ^(٢)

٣ . مرجع الضمير في كلمة ﴿ فأنساه ﴾ و ﴿ ربه ﴾ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَكَبِتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ يوسف: ٢٤

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في مرجع الضميرين في كلمة ﴿ فأنساه ﴾ و ﴿ ربه ﴾ على النحو الآتي :

الأول : أن الضميرين في كلمة ﴿ فأنساه ﴾ و ﴿ ربه ﴾ عائدان إلى يوسف ، فقد نسي . من خلال تأثير الشيطان عليه . ذكر ربه ، فلم يلجأ إلى الله في طلب النجاة من السجن ، وأقبل على الناجي من صاحبي السجن ، فكانت النتيجة أنه لبث في السجن عدة سنين عقاباً على ذلك ^(٣) ، وقد جاءت بعض الروايات في هذا المعنى ^(٤)

١ ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري : ١٢ / ٥٩٢ ، ينظر : تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٢٥ هـ) ، ضبطه : عبد السلام محمد علي شاهين : ٢ / ٥٠٥

٢ من وحي القرآن : ٩ / ٣٠٣

٣ ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : أحمد فريد ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٢ / ١٥٠ . ١٥١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٥ / ٤٠٤

٤ ينظر : تفسير العياشي ، محمد العياشي : ٢ / ١٧٦ . ١٧٨ ، حديث : ٢٣ . ٢٦ . ٢٧ . ٢٩ ، تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي : ١ / ٣٤٤ . ٣٤٥

الثاني : والظاهر من خلال السياق أن الضميرين راجعان إلى الساقى ، بقرينة قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف : ٤٥) (١)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، بقرينة قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف : ٤٥) ، ما يدل أنه نسي ما طلبه منه يوسف أن يتذكره عند عزيز ، بالأضافة أن يوسف كان يتحدث عند صاحبي السجن باعتبار الله هو الخالق ، فكيف ينسى ربه وقد تحدث الله عنه أنه من المخلصين الذين لا سبيل للشيطان عليه ، كما أن الذي قام به النبي يوسف (عليه السلام) لا ينافي التوكل على الله والأخلاص له ، فهو أخذ بالوسيلة العادية في الخروج من السجن ، باعتبار أن الله هو مسبب الأسباب ، وهذا لا مساس له بالإيمان ، مما لا يجعل في الموضوع أية مشكلة من قريبٍ أو من بعيد (٢)

٤ . مرجع الضمير في فقرة : ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ :

في قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَاعِنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿ يوسف: ١١٠ . ١١١ .

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في فقرة : ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ على النحو الآتي :

الأول : يرجع الضمير في فقرة : ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ إلى الأمم التي كان الرسل يعيشون معها ، بأن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم من نصر الله إياهم ، وإهلاك أعدائهم (٣)

١ ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٨١

٢ ينظر : من وحي القرآن : ٩ / ٤٠٨ . ٤٠٩

٣ ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري :

الثاني : إن الضمير يرجع إلى الرسل ، أي إن الرسل يؤسوا من إيمان قومهم وعن تصديقهم الرسل ، كما أستياسهم من إيمانهم لكثرة ما رأو من عنادهم بالآيات وتفريطهم بردها ، كما في قصة نوح (عليه السلام)، في قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآكَانَ وَافْعَلْ مَن تُشَاءُ﴾ ﴿٣٦﴾ هـ: ٦٣ (١)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، قائلاً : ((لأن سياق الآية يدل على وحدة الضمائر ورجوعها إلى الرسل الذين تتحدث الآية عن الحالة النفسية لهم ، في مواجهتهم للحدود والإنكار الموجه إليهم من قبل أممهم ، ولم يكن الحديث عن المجرمين في ظنهم بأن الرسل قد كذبوهم ، ولا سيما أنه لم يذكر هؤلاء في السياق)) (٢)

المطلب الحادي عشر : قاعدة الترجيح البلاغة :

نزل القرآن الكريم باللغة العربية ، فهي الأساس في تفسير القرآن الكريم ، وقد اهتم علماء التفسير بالجانب البلاغي كثيراً في فهم وتفسير معاني القرآن الكريم ، كالأستعارة والمجاز ، حيث يوجد الكثير من معاني القرآن الكريم لا يمكن حملها على الحقيقة ، منها الآيات التي تحمل صفات الله ، بل يجب تفسيرها وحملها على الجانب البلاغي.

أولاً : تعريف البلاغة لغة وأصطلاحاً :

وردت تعريفات كثيرة في المعاجم العربية لتعريف البلاغة نذكر الأهم منها :

١ ينظر : تفسير القرآن العظيم المسمى (تأويلات أهل السنة) ، أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي (ت ٣٣٣ هـ) ، تحقيق : فاطمة يوسف الخمي ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت لبنان : ١ / ٦١٠

٢ من وحي القرآن : ٩ / ٤٩٧

قال ابن فارس : ((" بلغ " الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء ، تقول بلغت المكان ، إذا وصلت إليه ... وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان لأنه يبلغ ما يريد ، ولي في هذا بلاغٌ أي كفاية ، وقولهم بلغ الفارس ، يُراد به إن يمد يده بعنان فرسه ، ليزيد في عدوه)) (١)

قال الفيروزآبادي : ((" بلغ " : بلغ المكان بلوغاً : وصل إليه أو شارف عليه ، .. والبليغ الفصيح يبلغ بعبارة كنه ضميره ... ، وبلاغاً إذا أجتهد ولم يقصر)) (٢)
نرى أن المعنى اللغوي للبلاغة يتمحور حول الوصول أو الانتهاء إلى الشيء .

البلاغة اصطلاحاً

قال الجرجاني : ((البلاغة في الكلام : هي مطابقته لمقتضى الحال ، المراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته أي فصاحة الكلام)) (٣)

وعرفة أيضاً : ((هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فلا بد فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيمة القوية المبتكرة منسقة حسنة الترتيب ، مع توخي الدقة في أنتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقي إليهم)) (٤)

ثانياً : البلاغة وأثرها في الترجيح :

كثيراً ما يركز المفسرون على الجانب البلاغي في اللغة العربية من أجل الاستفادة في بيان المعنى للمفردة القرآنية ليشمل الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة

١ (معجم مقاييس اللغة : ١ / ٣٠١ . ٣٠٢)

٢ (القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي : ١٥٧ . ١٥٨)

٣ (معجم التعريفات ، الجرجاني : ٤٣)

٤ (علوم البلاغة ، محمد أحمد قاسم . محيي الدين ديب ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس .

لبنان : ٨

وهذا ما نراه عند السيد فضل الله حيث يركز على الجانب البلاغي ، في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، وخاصة في بيانه لآيات الصفات ، حيث وجه النقد إلى الكثير من المفسرين ، لعدم مراعاتهم الجانب البلاغي في توجيه الآيات ، لأنهم فسروا الآيات تفسيراً حرفياً من خلال المعنى اللغوي ، من دون مراعاتهم للجانب البلاغي الذي تتسع له اللغة العربية وما تحويه من الحقيقة والمجاز والكناية ، وهذا ما درج عليه القرآن الكريم في توضيح الصورة للناس بطريقة الحوار ، لأنها من وسائل الإيضاح كما في قوله تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾** **هـ: ١١** ، فهذه الآية لا تحتاج إلى التكلف في بيان معناها ، بل إنها واردة في سبيل تقريب الفكرة بطريقة الحوار ^(١)

كما يراعي السيد فضل الله الجانب البلاغي في بيان المعاني القرآنية ، ولهذا أنتقد نظرية تجسيد الأعمال عند أغلب المفسرين ، لأنها تؤدي إلى التفسير الحرفي للكلمة دون مراعات الجانب البلاغي ، منها في تفسير **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّمَّا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** **النساء: ١٠** ، حيث أستدل السيد الطباطبائي في تفسير الآية على نظرية تجسيد الأعمال ، حيث يرى حمل هذا الكلام على المعنى الحقيقي دون المعنى المجازي ^(٢)

فرد عليه السيد فضل الله قائلاً : **((فإن هذا الرأي خاضعٌ للأستغراق في حرفية الكلام القرآني بعيداً عن جانب الاستعارة والكناية ونحوهما مما يفهمه العرب بشكل طبيعي جداً ، بالطريقة التي يفهمون بها التعابير الفنية على أساس القواعد البلاغية بنحو التبادر الذي يسبق إليه الذهن الأول مرة))** ^(٣)

١ (ينظر : من وحي القرآن : ١ / ٤٠٦)

٢ (ينظر ، الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٠٣ . ٢٠٤)

٣ (من وحي القرآن : ٤ / ٨٦)

ومرة أخرى يقف السيد فضل الله وقفة نقدية مع السيد الطباطبائي ، في إصرار العلامة

الطباطبائي على نظرية تجسيم الأعمال ، في حديثه عن الوزن والموازن ، في قَالَ تَعَالَى: ﴿

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ **الأء راف: ٨**

، حيث فسر الميزان بالميزان المادي الذي توضع به الأشياء ، وتكون كيفية الوزن بوضع الحسنات في كفة الميزان ، والسيئات في كفة أخرى ، ثم توزن وتقاس (١)

فرد عليه السيد فضل الله قائلاً : ((إن المسألة ليست مسألة الاستحالة لنبحث عن توجيهه للتجسيم في صورة ميزان توزن به أمتعة الأعمال وسلعها ، بل المسألة في ظهور النص القرآني في ذلك المعنى ، باعتبار أن النكتة البلاغية المبنية على الاستعارة ظاهرة في ذلك ، إن الفهم الحرفي يبتعد عن البلاغة اللفظية في آيات القرآن)) (٢)

وغيرها من الوقفات النقدية التي يوجهها السيد فضل الله إلى المفسرين ، نتيجته لفهمهم الحرفي للكلمة مبتعدين عن أساليب الفصاحة والبلاغة ، كالأستعارة والكناية والمجاز في فهم النص القرآني

ومن خلال ما تقدم يتبين أن للبلاغة عند السيد فضل الله أثراً كبيراً في فهم وتوجيه النص القرآني ، لما يحويه القرآن الكريم من أسلوبٍ فني رائع في آياته في تقريب الصورة إلى الذهن

ثالثاً . الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . المراد من (العمل الحاضر) :

في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٩)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من (العمل الحاضر) :

١ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٨ / ١٦)

٢ (من وحي القرآن : ٧ / ٢٧ . ٢٨)

الأول : ما ذكره العلامة الطباطبائي ، فيرى أن العمل الحاضر بصورته الحقيقية ، قائلاً : ((الحاضر نفس الأعمال بصورته المناسبة لها لا كتابتها ، كما هو الظاهر في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذَرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التحريم : ٧) ، ويؤيد قوله بعده : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ، فإن أنتقاء الظلم بناءً على تجسيم الأعمال أوضح ، لأن ما يجزون به إنما هو عملهم يُرد به ويلحق بهم ، لا صنع في ذلك لأحد)) (١)

الثاني : المراد بالعمل الحاضر ، أي العمل المكتوب ، فقد وردت لفظة حاضر على سبيل الكناية . (٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، قائلاً : ((إن التعبير وارد على نحو الكناية ، على أساس أن حضور العمل كان بلحاظ حضور صورته عنده من خلال استحضاره في ذاكرته)) (٣) لم يرجح السيد فضل الله القول الأول ، لأنه يرى أن هذا المعنى وارد حسب الاستفادة من الفهم الحرفي للكلمة القرآنية بلحاظ نسبة الحضور إلى نفس العمل ، وهذا بعيد عن الظهور العرفي للكلمة (٤)

٢ . المراد من إضافة الروح إلى الله :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (السجدة : ٩) ، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من (إضافة الروح إلى الله) على النحو الآتي :

١ (الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٣٢١)

٢ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٦ / ٢٧٠ ، من وحي القرآن : ١١ / ٣٦٣ ، تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ٥ / ١٣٥)

٣ (من وحي القرآن : ١١ / ٣٦٣)

٤ (ينظر : المصدر نفسه : ١١ / ٣٦٣)

الأول : المراد من إضافة الروح إلى الله إضافة ملك على وجه التشريف (١)

الثاني : جاء في الكشف : دل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلقٌ عجيبٌ لا يعلم كنهه إلا هو كقوله : ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ﴾ الإسراء: ٥٨ ، كأنه قال : ((ونفخ فيه من الشيء الذي أختص به هو وبمعرفته)) (٢)
الثالث : ذكر الماوردي المراد من روحه أي : ((من قدرته)) (٣)

القول الراجح :

وأما القول الراجح عند السيد فضل الله هو القول الثالث ، حيث جعل إضافة الروح إلى الله للدلالة عن القدرة الإلهية ، قائلاً : ((ومن المحتمل . والله العالم . أن تكون الروح كنايةً عن القدرة الألهمية التي تبدع الأشياء وتمنحها أسرارها الخفية ، وفي مقدمتها الحياة ، باعتبار أن الروح في قدراتها المطلقة هي سر القدرة والإبداع في الخلق . وهذا ما نلاحظه في التعبيرات المألوفة في الاستعارة ، في كلمات أو الفنان في شعره أو فنه : أنني أودعت فيه روحي ، أو أنه يمثل قطعة من الروح)) (٤)

٣ . المراد من (خشوع الجبال) :

في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من (خشوع الجبال) على النحو الآتي :

-
- ١ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٨ / ٧٨ ، التبيان في تفسير القرآن : ٨ / ٢٩٧)
 - ٢ (الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري : ٥ / ٢٩)
 - ٣ (النكت والعيون تفسير الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٤ / ٣٥٦)
 - ٤ (من وحي القرآن : ١٥ / ٧٤)

الأول : حيث حمل صاحب التفسير الأمثل الآية على ظاهرها ، فحمل الخشوع على الحقيقة ، قائلاً : ((إن كل الموجودات في هذا العالم . ومن جملتها الجبال . لها نوع من الإدراك والشعور الخاص بها ، وإذا نزلت هذه الآية عليها فإنها تتلاشى ، ودليل هذا ما ورد في الآية التالية ، في وصف جماعة من اليهود ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ٧٤)))^(١)

الثاني : ومن المفسرين من حمل الآية على الكناية ، فيها إشارة ((إلى بيان شرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته بأنهم حملوا مالم تحمله الجبال بقوتها ، هم يحملونه بذوق الخطاب ، وكشف النقاب ، والسرور بالمآب ، فإنهم حملوا بهذا الوجه عظام كلمات ، لو حملتها الجبال الشامخات لذابة في رياحها))^(٢)

القول الرابع :

أما السيد فضل الله ، فقد حمل معنى الآية على الكناية ، قائلاً : ((أن الآية تتحدث عن الموضوع على أساس ضرب المثل التخيلي الذي ينزل الجامد منزلة ذي الحس مما لا يملكه في ذاته ، وليس من قبيل الوصف الذي يجسد المعنى))^(٣)

ولم يرجح السيد فضل الله القول الأول ، فهو يرى أنه لا دليل عليه في الواقع الخارجي ، لأن مسألة الإدراك تتمظهر ببعض الملامح الحية للمدرك ولو بنسبة معينة ، وهذا مما لا دليل عليه في الجمادات ، وإن كان من الممكن أستحالة هذه الفرضية ، كما أنه لا يمكن

١ (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ١٨ / ٤٣)

٢ (تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن ، أبي محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٣ / ٤١٥)

٣ (من وحي القرآن : ١٨ / ٢٩٠)

الاعتماد على ظاهر الآية للاستدلال على ذلك ، لأن الظهور قد يتحقق بالمجاز كما يتحقق بالحقيقة (١)

٤ . المراد من كيفية خطاب الله تعالى لجهنم :

في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (ق : ٣٠)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في كيفية الخطاب لجهنم على النحو الآتي :

الأول: إن الخطاب وارد على سبيل الحقيقة ، وهذا ما ذكره صاحب تفسير الميزان ، حيث اعتبر الموجودات كلها تمتلك العلم والشعور ، مؤكداً ذلك أن القرآن الكريم قد تحدث عن تكلم الأيدي والأرجل ، قائلاً : ((إن الخطاب والجواب كان بلسان الحال ويرده أنه لو كان بلسان الحال لم يختص به تعالى بل كان لكل من يشاهدها على تلك الحال أن يسألها عن أمتلائها فتجيبه بقولها : هل من مزيد ؟ فليس لتخصيص به تعالى نكتة ظاهرة)) (٢)

أن هذا القول بعيد ، فلا يمكن حمل الآية على الحقيقة لأن الله تعالى عالماً بمساحة جهنم ، ومدى اتساعها للمجرمين والكافرين والمشركين والعصاة ، حيث رد السيد فضل الله على هذا القول قائلاً : ((ونلاحظ على هذا الكلام : أنه ليس وارداً على نحو الحقيقة التي يتبناها على كل حال ، لأنه لا معنى لسؤال جهنم عن أمتلائها وهو العالم بمقدار مساحتها ، كما لا معنى لتطلبها للمزيد)) (٣)

الثاني : أن الخطاب وارد على سبيل الكناية ، وهذا ما ذكره صاحب تفسير الكاشف ، قائلاً : ((هذا كناية عن شدة لهبها ، وأليم عذابها ، وأنها لا تضيق بالمجرمين بالغاً ما بلغ عددهم ،

١) ينظر : من وحي القرآن : ١٨ / ٢٩٠

٢) الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٣٥٧

٣) من وحي القرآن : ١٧ / ٣٤٤

وقد وصف سبحانه جهنم في العديد من آياته بأوصاف رهيبة مخيفة تقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم))^(١)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله قول من قال إن الخطاب وارد على سبيل الكناية ، قائلاً : ((أما النكتة البارزة في الحديث عن ذلك من قبل الله في خطابه الكنائي ، فهي : أن أمر جهنم راجع إلى الله وحده في عقابه للكافرين ، فالكلمة واردة في سبيل التهديد والإيحاء للكافرين بأن كثرتهم مهما بلغت ، فإن النار تتسع لهم ، وتلك نكتة ظاهرة في أسلوب التعبير في خصوصية الله في الخطاب))^(٢)

وليس السيد فضل الله وحده ذهب إلى هذا الرأي ، فقد ذكرت الدكتورة وهبة الزحيلي أيضاً إن النار تطلب الزيادة تغيضاً على الكفار ، وتضييقاً للمكان عليهم^(٣)

٥ . المراد من نور السموات والأرض

في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٣٥)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من (نور السموات والأرض) على النحو الآتي :

الأول : المراد به ، أنه كناية عن الوجود الذي تستمد الأشياء الأخرى منه وجودها ، وهذا ما جاء به تفسير (الميزان) ، ثم إن الوجود والنور الذي تتصف به الأشياء ، فهو المستعار

١ (التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ١٣٦ / ٧)

٢ (من وحي القرآن : ١٧ / ٣٤٤)

٣ (ينظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي : ١٣ / ٦٣٨)

المأخوذ منه تعالى ، فالوجود والنور قائم بذاته يوجد ويستتير به الأشياء ، فالله سبحانه وتعالى نورٌ يظهر به السموات والأرض (١)

الثاني : أن المراد من النور مفهومه الحقيقي ، كما يقولون ((والعياذ بالله بأن الله تعالى شعاع يسير (١٨٦٠٠٠ ميل) في كل ثانية وينعكس على الشبكية في العين ويؤثر في مركز البصارة في الدماغ ، فهذه الكيفية المخصوصة للنور)) (٢)

كما تستعمل كلمة (النور) للعلم أيضاً ، فله سبحانه وتعالى نور الكون ، أي إنه لا يمكن أن تعرف الحقائق معرفة مباشرة في هذا الكون إلا به سبحانه وتعالى. (٣)

الثالث : ذكر صاحب تفسير الكشف أن المراد من ((نور السموات والأرض) الحق ، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (البقرة : ٢٥٧) أي : من الباطل إلى الحق . وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد المعنيين : أما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض ، وأما إن يراد به أهل السموات والأرض ، وأنهم يستضيئون به)) (٤)

الرابع : أن المراد بنور الله عظمتة في قدرته وعلمه وحكمته وتتجلى هذه العظمة في خلق الكون ، فإن عظمة الله تتجلى في عظمة الكون (٥)

القول الراجح :

وقد أعتمد السيد فضل الله على الجانب البلاغي في معنى الآية ، قائلاً : ((ورأينا في معنى الآية ، قد نحتاج إلى استشعار الجانب الفني في التعبير من الناحية البلاغية ، لأن ذلك يوحي إلينا بالفكرة التي تتحرك في الكلمة ... وفي ضوء ذلك يمكن أن يكون المعنى على سبيل

١ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ / ١٢٢)

٢ (تفسير سورة النور ، المودودي : ١٩٦)

٣ (ينظر : المصدر نفسه : ١٩٧)

٤ تفسير الكشف ، الزمخشري : ٣ / ٦٧)

٥ ينظر : التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية : ٥ / ٢٤٤)

الكناية إن الله هو الحقيقة الوحيدة التي تمتد الكون بالهداية ، وتسهل له حركته في الاتجاه السليم ، وتنظم له أموره وتحفظ توازنه ، وبهذا يكون الله هو محرك الكون إلى مواقع هدايته ، تماماً كما هو النور الذي يضيء للأشياء مواقع السلامة في الحياة))^(١)

وقد أكد السيد فضل الله تفسيره هذا برواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) ، وقد جاء في (الكافي) بإسناده عن العباس بن هلال ، قال : ((سألت الرضا (ع) عن قول الله عزوجل : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ فقال : هادٍ لأهل السماء وهادٍ لأهل الأرض))^(٢)

المطلب الثاني عشر : قاعدة الترجيح ما يتفق مع اتساع المعنى وشموله :

إن هذه القاعدة من القواعد الأصولية المعتبرة ، حيث اعتمدها المفسرون في معرفة مدى اتساع المعنى لهذه الأقوال ، فتكون هذه الأقوال جميعها محتملة لمعنى الآية.

أولاً : اتساع المعنى وأثره في الترجيح

من القواعد التي اعتمدها السيد فضل الله في ترجيحه بين الأقوال المفسرين ، هي أن الآية إذا كانت عامة ، ويشمل لفظها معاني مختلفة ، فيرجح كل الأقوال الواردة في معنى الآية.

كما نرى ابن جرير الطبري قد اعتمد هذه القاعدة وأصلها في تفسيره ، وهذا مانلاحظه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ (فاطر : ٣٤) ، حيث ذكر الأقوال في تفسير الحزن منها ، قيل : إنها الخوف من دخول النار ، وقيل : الموت ، وقيل التعب الذي كانوا فيه في الدنيا ، وقيل : الحزن الذي كان ينال الظالم في موقف القيامة .

١ من وحي القرآن : ١٣ / ١٩٤ . ١٩٥

٢ أصول الكافي ، الشيخ الكليني : ١ / ١١٥ ، حديث ٤

أما ابن جرير الطبري فقد رجع الأقوال كلها ، حيث يرى أن الآية تشمل ذلك كله ، إذ لم يخص الله نوعاً من الحزن دون نوع ، بل أخبر عنهم أنهم عملوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك ، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك. (١)

وكذلك السيد فضل الله فقد اعتمد هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال المفسرين وإن لم ينص عليها ، حيث يرى أن اللفظة القرآنية لا يمكن حصرها على معنى واحد بل من الممكن أن تتسع لأكثر من معنى ، وهذا ما نورد في الأمثلة التطبيقية لهذه القاعدة .

إذن: ومن خلال ما تقدم يتبين أن اللفظ القرآني قد يرد محتملاً أوسع المعاني ، وتجتمع الأقوال والشروح المتعددة الواردة في معنى الآية، ثم التوفيق والجمع بينهما قدر الإمكان في منهج تتكامل فيه الدراسة الأصولية على أسس سليمة. (٢)

ثانياً : الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . المراد من مفهوم العفو في الإنفاق :

في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٩)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من (مفهوم العفو في الإنفاق) على النحو الآتي :

الأول : إنه ما فضل عن الأهل والعيال ، أو الفضل عن الغنى (٣)

الثاني : إنه الوسط من غير إسراف ولا إقتار (٤)

١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٩ / ٣٧٩

٢) ينظر : دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد المالكي ، د ط ، ١٤١٧ هـ .

٣) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢ / ٦٨

٤) ينظر : تفسير العياشي : ١ / ١٢٥

الثالث : إنه ما فضل من قوت السنة ^(١)

القول الراجح :

حيث يرى السيد فضل الله أن هذه الأقوال كلها محتملة لمعنى واحد ، قائلاً : ((وقد تلقتي هذه المعاني حول معنى واحد ، وهو أن لا يترك تأثيره على حاجاته الأساسية مما يتصل بمسؤولياته عن نفسه وعياله على النحو المتعارف ، فلا يكلف الإنسان الإنفاق من ضرورياته المعاشية بل يكفيه ، في إطاعة هذا التشريع ، أن ينفق مما يزيد عن حاجاته الأساسية ، وبذلك كان الإسلام منسجماً مع الطبيعة البشرية التي قد لا تستجيب للإيثار دائماً ، وإن كانت قد تسير معه في بعض مراحل الحياة)) ^(٢)

٢ . المراد من (خير أمة) :

في قوله تعالى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران : ١١٠) ، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في (المراد من خير أمة) على النحو الآتي : الأول : قيل : إنها نزلت في ابن مسعود ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حنيفة ^(٣)

الثاني : قيل ((أراد بهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة ، يعني كانوا هم الدعاة الذي أمر الله المسلمين بطاعتهم)) ^(٤) ، الثالث : قيل : كما أخرجه ابن أبي حاتم في (تفسيره) عن أبي جعفر (ع) : { كنتم خير أمة أخرجت للناس } ، قال : ((أهل بيت النبي)) ^(٥)

١ (ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢ / ٢١٤)

٢ (من وحي القرآن : ٢ / ٢٦٢)

٣ (ينظر : أسباب النزول ، للواحي : ٧٨)

٤ (تفسير الضحاك : ٢٥٦)

٥ (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابه التابعين ، عبد الرحمن بن محمد ابن ادريس الرازي ابن ابي حاتم : ١ / ٧٣٣)

الرابع : قيل : كما أخرجه العياشي في (تفسيره) ، عن الإمام الصادق (ع) قال : ((يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام) في فهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها وإليها ، وهم الأمة الوسطى ، وهم خير أمة أُخرجت للناس)) ^(١)

القول الراجح :

فقد رجح السيد فضل الله الأقوال كلها ، لأنه يرى أن هذه الأقوال كلها تحمل مصداقاً واحد ، قائلاً : ((والظاهر إن المراد بالكلمة : الجماعة المسلمة المميّزة بالتزامها الرسالة في إيمانها وفي حركية الدعوة إلى الله ، ومن الطبيعي أن يكون مصداقها منطبقاً على الصحابة المجاهدين وعلى الأئمة الطيبين من أهل البيت (عليه السلام)، كما هي منطبقة على المسلمين السائرين على خط الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيكون التفسير وارداً في هذه المصاديق تفسيراً بالمصداق أو المصداق النموذجي الأعلى ، لا تفسيراً بالخصوصية المعينة المنحصرة في هذه الفئة أو تلك ، لأن الصفات المتأخرة المذكورة في الآية :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ

الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾ آل عمران: ١١

تشمل المسلمين كلهم)) ^(٢)

٣ . المراد من (السوء في القول) :

في قوله تعالى : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء : ١٤٨)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في تفسير السوء من القول على النحو الآتي :

الأول : لا يحب الله الشتم في الانتصار .

(١) تفسير العياشي : ١ / ٢١٩

(٢) من وحي القرآن : ٣ / ٣٣٦ . ٣٣٧

الثاني : إن المراد بها : لا يحب أن يذم أحدٌ أحدًا أو يشكوه أو يذكره بالسوء (١)

الثالث : لا يحب الله الجهر بالدعاء على أحد إلا أن يظلم إنساناً فيدعو على من ظلمه ، فيكره ذلك. (٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله جميع الأقوال ، فهو يرى أن هذه الأقوال جميعها تنطبق على معنى الآية ، قائلًا : ((والظاهر أن الآية شاملة للجميع ، لصدق الجهر بالسوء على كل هذه الموارد)) (٣)

كما أنه لم يذكر في معنى الآية أي موردٍ من هذه الموارد ، إنما جعل معنى الآية يحتمل كل الكلمات التي بالذم والانتقاص والسوء من الناس (٤)

٤ . هوية (الذين يعملون السيئات) :

في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في (هؤلاء الذين يعملون السيئات) على النحو الآتي :

الأول : إنهم المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين عن دينهم (٥) ، كما أختار صاحب الميزان هذا القول. (٦)

١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣ / ١٨٨

٢) ينظر : النكت والعيون تفسير الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي : ١ / ٥٤٠

٣) من وحي القرآن : ٤ / ٤٣٥

٤) ينظر : من وحي القرآن : ٤ / ٤٣٤

٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨ / ٣٦٠ ، تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبدالله محمود شحاته ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت . لبنان : ٣ / ٣٧٢ ، الكشف والبيان عن

تفسير القرآن ، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) : ٢١ / ١٤

٦) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٦ / ١٠١

الثاني : قيل : إنهم المؤمنون العصاة في ما يقتربونه من عصيان أمر الله ونهيه في تفاصيل الحياة (١)

الثالث : قيل : إن المراد بعمل السيئات أعم من الشرك وعمل المعاصي (٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله جميع هذه الأقوال ، لأنه يرى إن معنى الآية عام يحمل كل هذه الأقوال، قائلاً : ((ما يجعل الآية عامة لكل من يمارس السيئة على مستوى العقيدة وعلى مستوى العمل)) (٣)

وهذا ما أكدته في معنى الآية أيضاً ، حيث يرى إن الذين يعملون السيئات ، هم المشركون ، وكل الضالين الذين يتحركون في طريق الضلال (٤)

٥ . المراد من (الحسنى والزيادة) :

في قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس : ٢٦)

ذكر السيد فضل الله اختلاف المفسرين في المراد من معنى (الحسنى والزيادة) على النحو الآتي :

-
- ١ (ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي : ٢٠ / ١٣٦)
 - ٢ (ينظر : تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ابي لليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) ، تحقيق : علي محمد عوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، زكريا عبد المجيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان : ٢ / ٥٣١ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) : ٤ / ٣٠٦ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) ، د ط ، د ت ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : ٤ / ١٨٨)
 - ٣ (من وحي القرآن : ١٤ / ٢٠٣)
 - ٤ (ينظر : المصدر نفسه : ١٤ / ٢٠٣)

الأول : ذكر الشيخ الصدوق في (الأمالي) في المراد من معنى الحسنى والزيادة ، فيما روي عن أمير المؤمنين ، في كتابه إلى محمد بن ابي بكر حين ولاء على مصر ، وأمره أن يقرأه على أهل مصر ، وفيما كتب : ((قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةَ ﴾ والحسنى هي الجنة والزيادة هي الدنيا))^(١)

الثاني : قيل : الزيادة في الحسنات ومضاعفتها ، جاء في الدر المنثور ، ((أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، عن الحسن (ع) في الآية قال : الزيادة الحسنى بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف))^(٢)

الثالث : قيل : الزيادة في الدنيا من دون حساب ، أخرج ابن جرير الطبري ، عن ابن زيد (رض) في الآية ، قال ((الزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة))^(٣)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله كل الأقوال ، لأنه يرى شمول الآية لكل المعاني ، قائلاً : ((وهذا الكلام يوحي بشمول الآية لكل المعاني ، لأنها لا ينافي بعضها بعضاً))^(٤)

وهذا يتناسب مع ما ذكره في معنى الآية ، فجعل الحسنة ثواب لكل عمل ، وقد تزيد أضعافاً مضاعفة ، مثل الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، وقد يشهد لهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفَوا وَسَتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ النساء: ٣٧١^(٥) ، وبهذا جعل الحسنة والزيادة تشمل كل عمل صالح .

١ (الأمالي ، الطوسي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، مؤسسة البعثة . دار الثقافة ، قم .
أيران : ٢٦

٢ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٧ / ٦٥٩

٣ (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي : ٧ / ٦٥٩

٤ (من وحي القرآن : ٩ / ٥٢

٥ (ينظر : من وحي القرآن : ٩ / ٥١ . ٥٢

المطلب الثالث عشر : قاعدة الترجيح بالقرينة :

تعد قاعدة الترجيح بالقرينة من القواعد المعتمدة في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله ، وكانت القرينة تؤيد أحد هذه الأقوال التفسيرية ، فالقول الذي تؤيده القرينة أولى الأقوال بتفسير الآية ^(١)

أولاً : تعريف القرينة لغة واصطلاحاً :

القرينة لغة : وردت تعريفات كثيرة في المعاجم العربية لتعريف القرينة نذكر منها :

قال الفريدي ((قرنت الشيء أقرنه أي شدته إلى الشيء ، القرين صاحبك الذي يقارنك وقرينة الرجل امرأته)) ^(٢)

قال ابن فارس : ((القاف والراء والنون أصلان صحيحان ، يدل على جمع الشيء إلى الشيء)) ^(٣) قال الراغب الأصفهاني : ((جمع قرينة ، وهي جمع الشيء إلى الشيء)) ^(٤) ومن خلال المعنى اللغوي يتبين أن القرينة هي المصاحبة والجمع بين الشيئين ، وضم الكلام إلى بعضه بعض .

القرينة اصطلاحاً :

هي ((كل ما ارتبط بالكلام وكان له أثر فاعل في أستيعاب الكلام وفهم مراد المتكلم ، سواء كان متصلاً بالكلام أم منقطعاً عنه ، وسواء كان من سنخ الألفاظ أم من غير سنخ الألفاظ)) ^(٥)

١ (ينظر : قواعد الترجيح ، حسين علي الحري : ٢٩٩

٢ (كتاب العين ، الفريدي : ٥ / ١٤٣ ، مادة (قرن)

٣ (معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٧٦

٤ (مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٦٦٧

٥ (أساسيات علم التفسير ، أعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق ، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٧ م ، دار المعارف الإسلامية الثقافية : ١٢٧

وَعُرِفَتْ أَيْضاً : ((بأنها ما يوضح المراد لا بالوضع ، بل تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود ، أو سابقه))^(١)

ومن الباحثين من عرفها بأنها : ((ما يصاحب النص ويلزمه عند وروده ، ويؤثر في معناه من قول أو معنى))^(٢)

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن للقرينة لها أثراً فاعلاً في فهم مراد الله تعالى من قرآنه الكريم من خلال ضم الآية إلى بعضه بعض ، أو من خلال ضم الآية إلى الآيات المحيطة بها

ثانياً : القرائن التفسيرية وأثرها في الترجيح :

إن كل ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ ومعانٍ صالحة لكل زمان ومكان ، كما ورد في الأحاديث المأثورة عن أهل البيت (عليه السلام) إن ألفاظ القرآن تجري مجرى الشمس والقمر^(٣)

كما يرى السيد فضل الله أن الأسلوب الذي جرى عليه القرآن الكريم من الممكن أن يجعل من الآية تنطلق إلى عوالم أخرى^(٤) ، فهناك ألفاظ في القرآن الكريم تحتل أكثر من معنى ، فيقوم المفسر باستخراج القرائن التي ترجح أحد المعاني منها في قوله تعالى عن شاهد النبي يوسف (عليه السلام): ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّن كَذِبِكُنَّ إِنَّ كَذِبَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (يوسف : ٢٦ . ٢٧ . ٢٨)

١ (قواعد الترجيح ، حسين علي الحربي : ٢٩٩)

٢ (القرائن وأثرها في التفسير ، محمد زيلعي هندي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، دار كنوز أشبيليا ، الرياض . السعودية : ٣٢)

٣ (ينظر : بحار الأنوار : ٢٣ / ٧٤٦)

٤ (ينظر : من وحي القرآن : ١ / ١٦)

ففي هذه الآيات الكريمة أقر الله فيها براءة النبي يوسف (عليه السلام) ، حيث حكم على براءته من خلال قرائن الحال وهي (قد القميص) فجعل قده من قُبَل قرينة على أنه مقبلاً عليها فيكون هو المراد لها وتكون هي صادقة في دعواها ، وإن كان القد من دبر فهذه قرينة تدل على أنه كان مولياً مدبراً عنها فتكون هي المرادة له ، ويكون هو صادقاً في دعواه ، فاستحق يوسف البراءة من سيده من خلال هذا الحكم المبني على القرائن .^(١)

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ (الزلزلة : ٣) ، يطرح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي سؤالاً تعقيباً للسؤال الوارد في الآية ، قائلاً : ((وهل هذا السؤال التعجبي يرتبط بالنفخة الأولى أو الثانية ؟ أيرتبط بنهاية الأرض أم بالبعث ؟

الظاهر أنها النفخة الأولى حيث تحدث الزلزلة الكبرى وينتهي فيها العالم

ويحتمل أيضاً أن تكون نفخة البعث والنشور ، واخراج الناس من الأجداث والآيات التالية ترتبط بالنفخة الثانية ، ولما كان القرآن يتحدث في مواضع مختلفة عن أحداث النفختين معاً ، وبهذا يكون التفسير الأول أنسب لما ورد من ذكر الزلزال المرعب في نهاية العالم ، وفي هذه الحالة يكون المقصود من أنقال الأرض معادنها وكنوزها والمواد الذائبة فيها))^(٢)

ومن خلال هذا يتبين أن للقرينة أثراً واضحاً في إبراز المعنى الحقيقي للآية من خلال دراسة الأحوال المحيطة بالآية .

ثالثاً : الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . دور الرياح :

١ (ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٣ / ١٠٣ ، ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين علي الحربي : ٢٩٩ . ٣٠٠)

٢ (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٠ / ٢٢٨)

في قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِجَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ

﴿٢٢﴾ الحجر: ٢٢

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في بيان دور الرياح في الآية الكريمة على النحو الآتي :

الأول : أنها تلقح الأشجار بعضها بعض من الذكر إلى الأنثى ، ورد في تفسير القمي قوله :
وأرسلنا الرياح لواقع ، قال : ((التي تلقح الأشجار)) ^(١)

الثاني : لواقع : أي الحوامل التي تحمل السحب المحملة بالمطر، قال الشيخ الطوسي في
معنى الآية : ((فاللواقع التي تلقح السحاب ، حتى يحمل الماء أي تلقي إليه ما يحمل به
الماء، يقال : لقحت الناقة إذا حملت ، وألقحها الفحل إذالقي إليها الماء فحملته ، كذلك الرياح
هي كالفحل للسحاب)) ^(٢)

القول الراجح :

رجح السيد فضل الله القول الثاني ، من خلال القرائن المتصلة بالآية ، قائلاً : ((وهو
تفسير محتمل ، بل قد يكون قريباً ، وذلك من خلال قرينة إنزال المطر بعد كلمة ﴿ لواقع ﴾
مباشرة، ومن خلال وجود الفاء بينهما وبين لواقع وإنزال المطر)) ^(٣) ، وهذا ما رجحه صاحب
تفسير الأمثل أيضاً ^(٤)

وما يقوي هذا القول أيضاً إن كلمة لواقع حسب معناها اللغوي : هي تلقح السحاب عندما تكون
محملة بالماء ^(٥)

١ (تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي : ١ / ٣٧٥ ، ينظر : تفسير نور الثقلين ، الحويزي : ٣ / ٧
٢ (التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٦ / ٣٢٨ ، ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البضاوي) : ٣ /
٢٠٩

٣ (من وحي القرآن : ١٠ / ١٧٣

٤ (ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٨ / ٣٧

٥ (ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٥ / ٢٦١

٢ . هوية الإمام يوم القيامة :

في قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ الإسراء: ١٧

، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في تفسير كلمة (الإمام) في الآية إلى وجوه عديدة :
الأول : إن المراد به النبي ، باعتبار أن كل نبي هو الإمام لأُمته ولاتباعه
الثاني : الكتاب المنزل من الله ، كالتوراة والإنجيل والقرآن والزبور ، باعتبار أن المؤمنين به يتبعونه في أوامره ونواهيه وجميع تعاليمه.
الثالث : الشخص الذي يؤتم به من الأئمة والعلماء ^(١) ، أو الشخص الذي يقتدونه ويتبعونه في الخير والشر ^(٢)

الرابع : ((إن معناه بكتابهم الذي فيه أعمالهم)) ^(٣)

القول الرابع :

رجح السيد فضل الله القول الأخير ، وذلك من خلال قرينة ما ورد من تفصيل للكتاب في الآية الكريمة ، قائلاً : ((ولعل المنصرف إلى الذهن في فهم الآية . لأول وهلة . هو المعنى الأخير ، بقرينة ما بعده من تفصيل الكلمة من حيث طبيعة الكتاب ومضمونه)) ^(٤)

٣ . المراد من نفي الحجة :

في قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمُ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ الشورى: ٥١

١ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٦ / ٢٠٩)

٢ (ينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبي بكر جابر الجزائري ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة . السعودية : ٣ / ٢١٥)

٣ (التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي : ٢١ / ١٨)

٤ (من وحي القرآن : ١١ / ١٨٤)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من (نفي الحجة) على النحو الآتي :

الأول : وهو ما أستوحاه السيد فضل الله من معنى الآية ، حيث يرى لا حجة لأحد على أحد على أنتمائه ، قائلاً : ((إنكم لستم مسؤولين أمامنا عن تقديم الحجة على ما قمتم به أو انتميتم إليه من فكر ، ولسنا مسؤولين أمامكم لنقدم الحجة على موقفنا وانتمائنا ، لأننا جميعاً ، مسؤولون أمام الله ، فهو الذي يجب أن نقدم الحجة إليه)) ^(١) الثاني : المراد من (نفي الحجة) كناية عن نفي الخصومة ، أي لا خصومة بيننا ، لأننا ربنا واحد ، ونحن جميعاً عباده ، ولكل نفس ما عملت ، فلا حجة في البين ^(٢)

الثالث : وذكر بعضهم أن المراد بها ، لا حاجة للاحتجاج والخصومة ، عند ظهور الحق مع أحد الطرفين : أي لا احتجاج ولا خصومة ، لأن الحق قد ظهر ، فلم يبق للاحتجاج حاجة ، ولا للمخافة محمل سوى المكابرة والعناد ^(٣)

القول الراجح :

رجح السيد القول الأول ، وذلك من خلال ما استوحاه من قرائن متصلة بالآية ، قائلاً : ((لكننا ذكرنا أن الأقرب ما استوحيناه من الآية ، بقرينة الفقرة التالية : ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ يوم القيامة ليحاسبنا على كل شيء ، وهناك الموقف التي تنطلق فيه الحجة لتؤكد نفسها أمام الله ، لأن ذلك هو موقع الحجة في حركة المسؤولية عندما يقدم كل واحد منا حجته على صاحبه ، أو حجته على عمله ، أمام ربه ، ليكون الله هو الحكم بيننا ، أو الحاكم علينا)) ^(٤)

١ (من وحي القرآن : ١٦ / ٣٨٩

٢ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ٣٤

٣ (ينظر : تفسير مجاهد : ٥٨٩ ، ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٢٠ / ٤٨٧

٤ (من وحي القرآن : ١٦ / ٣٩٠

المطلب الرابع عشر: ترجيحاته الاجتهادية :

اعتمد السيد فضل الله في الترجيح بين الأقوال التفسيرية على ما يمتلكه من ملكة عقليه ، واجتهاد في رأيه من غير أن يخل بالشروط والآداب التي يجب أن يتحلى بها المفسر ، في أثناء اعتماده على الاستدلال العقلي في التفسير .

حيث نرى إن أغلب المفسرين بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم ينتفعون من العقل في التعامل مع الميراث الإسلامي على وفق ضوابط مقبولة ومعقولة لدى العقلاء وهذا ما نراه عند السيد فضل الله فقد كان مجتهداً في التفسير ، وهذا ما نجد أبحاثه المستقبلية في التفسير ، فقد كان دقيق النظر عميق البحث ، إضافة إلى مناقشاته العديدة التي ناقش فيها الشيخ الطبرسي والسيد الطباطبائي ، منها في تفسير **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾** **الإسراء: ١٤**

، حيث ذكر الشيخ الطبرسي سؤالاً وجواباً في معنى (النفور من إنزال القرآن) ، قائلاً : ((إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند إنزال القرآن ، فما المعنى في أنزاله ؟ وما وجهه الحكمة فيه ؟ قيل : الحكمة فيه إلزام الحجة ، وقطع المعذرة في أظهار الدلائل ، وإنه يُصلح عند إنزاله ، ولو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الإيمان لفسدوا فساداً أعظم من هذا النفور ، وإنما ازدادوا نفوراً عندما شاهدوا الآيات والدلائل لاعتقادهم أنها شبهةٌ وحيلٌ ، وقلة تفكرهم فيها)) ^(١)

وقد رد عليه السيد فضل الله ذاكراً : إنه لا واقع لهذا السؤال ، لأن القرآن لم ينزل على هؤلاء ، بل أنزل على الرسول ليبلغه للناس كافة ليتعرفوا على مسؤولياتهم وليحصلوا على ثقافة من خلال استماعهم للقرآن ، كما أنه لا يخلو من فائدة حتى في حالة الرفض العملي له ، لأن مسألة النفور لم يكن نفوراً فكرياً من خلال ضعف الحجة بل من خلال حالة العناد والتعصب التي يعيشونها ، فإن قيام الحجة سبباً في إثارة العقدة في نفوسهم ، واحساسهم بالهزيمة. ^(٢)

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٦ / ٢٥٤)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٢٣)

كما ناقش السيد الطباطبائي في تفسير **﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** (١٥٥)

آل هـ: ٥٥١، حيث أكد السيد الطباطبائي أن العفو المذكور في قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ**

عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يختلف عن **﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى**

الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢) **آل هـ: ٢٥١**، والاختلاف بين الآيتين هو الاختلاف في اللحن ، ففي

الآية الثانية كلام مشعر بالفضل والرفقة ، وقد سماهم مؤمنين ، أما العفو في الآية الأولى ،

حيث ذكر العفو وسكت عنه ، ثم ختم الكلام بذكر حلمه ، وهو أن لا يعجل بالعقوبة .

إذن : فالعفو المذكور في الموردین مختلف بحسب المصداق ، وإن صدق على جميع مفهوم

العفو ، ولا دليل على كون العفو والمغفرة وما يشبههما في جميع الموارد سنخاً واحداً .^(١)

حيث رد عليه السيد فضل الله أن اختلاف العفو في الموردین ، لا يعني اختلاف العفو في

المصداق ، بل إن الاختلاف في صفة العفو ، وحركته الواقعية في صفة الله التي تلقي به ،

فالله يعفو على المؤمنين في كل موارد العفو ، كما يكون الفضل مظهراً للحلم ، فهما عنوانان

ينطبقان على مصداق واحد ، فهذا هو الأسلوب القرآني في الحديث عن صفات الله ، حيث

تلقي كل صفة بصفات الله الأخرى مع إتحاد المورد والمصداق ^(٢)

الأمثلة التطبيقية على القاعدة :

١ . الحكم على نجاسة الكافر من عدمها :

في **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٨) **الأنعام: ٨٢**

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في نجاسة الكافر على النحو الآتي :

١ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٤ / ٥١)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ٣ / ٤٣٣)

وقيل : لا تصافحوا المشركين ، فمن صافحهم فليتوضأ . وقال آخرون : إنما سماهم آخرون نجساً لخبث اعتقادهم وأفعالهم وأقوالهم ، ولهذا أجازوا للذمي دخول المساجد ، وإنما يمنعون من دخول مكة أيام الحج ^(١)

القول الرابع :

٢ . معنى تقدير الأوقات :

، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في معنى تقدير الأقوات على النحو الآتي :

(١) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥ / ٣٨

(٢) ينظر : تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي : ١٠ / ٨٩

(٣) من وحى القرآن : ٨ / ٢٢٤

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٣٦٣

عشرة أيام ، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً ، أي تنمة خمسة عشر يوماً ، باعتبار أن المسافة من بغداد إلى الكوفة خمسة أيام

الثاني : أو يكون المراد بها تقدير أقوات الأرض وأرزاقها في الفصول الأربعة من السنة ^(١)

وقد علق السيد فضل الله على هذا الرأي ، فذكر أنه تفسير طريف ، لكنه غير ظاهر من سياق الآية ، التي توحي أن كلمة (يوم) ذات معنى واحد في الجميع ، كما أنه لا يحل مشكلة الجمع بين خلق السموات والأرض في أربعة أيام ^(٢)

القول الرابع :

حيث استقرب السيد فضل الله رأيه في معنى (تقدير الأقوات) ، قائلاً في معنى الآية : ((وذلك بما أودعه فيها من عناصر الغذاء التي يحتاج إليها من يعيش فيها من إنسان وحيوان ونبات ونحوه ، بحيث يفي أستغلال تلك العناصر بحاجة كل هذه المخلوقات ، فلا ينقصها ما تحتاجه منه)) ^(٣)

٣ . المراد من نور على نور :

في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (النور : ٣٥)

ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من قوله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ على النحو الآتي :

١ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ٣٦٤)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ١٦ / ٣٢٣)

٣ (المصدر نفسه : ١٦ / ٣٢١)

الأول : ذكر الطبرسي المراد بها إشارة إلى أن الأنبياء من نسل واحد ، قائلاً : ((نبي من نسل نبي))^(١)

الثاني : ذكر الرازي المراد من ترادف هذه الأنوار واجتماعها في صفات المؤمن ، قائلاً : ((المؤمن بين أربع خلال : إن أعطي شكر ، إن أبتلي صبر ، وإن قال صدق ، وإن حكم عدل ، فهو في سار الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين الأموات يتقلب في خمس من النور : كلامه نور وعمله نور ، ومدخله نور ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة))^(٢)

الثالث : ذكر الشيرازي إن المراد من النور هو نور الهداية ، قائلاً : ((ويمكن أن يكون النور الأول الذي ذكرته الآية إشارة إلى نور الهداية الإلهية عن طريق الوحي ، والنور الثاني نور الهداية عن طريق العقل أو أن النور الأول هو نور الهداية التشريعية ، والنور الثاني هو نور الهداية التكوينية فهو نور على نور))^(٣)

القول الرابع :

وقد أستقرب السيد فضل الله رأيه ، في المراد من (النور) ، ولم يرجح أحد الأقوال المذكورة ، فذكر أن نور الله هو وحي الله الذي يكشف لنا غوامض الكون وظلمات الحياة ، قائلاً : ((وهذا هو نور الله الذي يريد للناس أن يكتشفوه ، ليكشف لهم كل غوامض الكون وظلمات الحياة وغياهب المشاكل ، في ما يتمثل به في وحيه المتحرك مع مفاهيم دينه ، ودقائق شريعته ، وتفاصيل منهجه ، فهو الذي يستطيع أن يمنحهم الهدى الذي لا ضلال معه ، والحق الذي لا باطل فيه ، والوضوح الذي لا غموض يعتريه ، وهو الذي يريد لهم أن يفتحوا عقولهم عليه ، وقلوبهم له))^(٤)

١ (مجمع البيان في تفسير القرآن : ٧ / ٢٥١)

٢ (التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الرازي : ٢٣ / ٢٣٨)

٣ (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : ١١ / ٧٧)

٤ (من وحي القرآن : ١٣ / ١٩٦)

٤. المراد من الحجاب المستور :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (الأسراء : ٤٥) ، ذكر السيد فضل الله خلاف المفسرين في المراد من الحجاب المستور على النحو الآتي :

الأول : ذكر الشيخ الطبرسي وجهين في معنى الحجاب المستور هما : الأول : المراد به الحجاب الغيبي ، وهو أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عندما يقرأ القرآن كان المشركون يمرون به ولا يرونه

والثاني : إن الله باعد بينهم في القرآن ، فهو للرسول وللمؤمنين شفاءً وهدى ، وللمشركين في آذانهم وقراً وفي أعينهم عمى ، فهذا هو الحجاب ^(١)

وقد رفض السيد فضل الله هذين الوجهين لأنه يرى أنهما لا ينسجمان مع جو الآية ، لأن الله لم يجعل الحجاب المستور بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشركين من أجل حمايته خوفاً من الاعتداء عليه ، كما إنه لا فائدة في المباحدة الإلهية بين القرآن وبين المشركين ، ليكون عمى لهم ، بينما هو شفاءً للمؤمنين ^(٢)

الثاني : المراد به الحجاب المعنوي ، وهو الحجاب المستور عن الحواس على خلاف الحجابات المتداولة بين الناس ، المعمولة لستر الشيء عن الشيء ، فهو الحجاب المعنوي بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الحامل للقرآن ، وبين المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يفقهو مافي القرآن من معارف وحقائق ، حتى يؤمنوا به ^(٣)

وقد رد عليه السيد فضل الله ، لأن هذا المعنى يقرب من معنى الساتر لا المستور ، ويرجح أنه وارد على نحو النسبة ، أو الفاعل كما لا يكون هناك فائدة في بيان خفاء الحجاب عن الأعين ،

١ (ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٦ / ١٣٢)

٢ (ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٣٢)

٣ (ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ١١٣)

ألا إذا كان ذلك للأحياء بالعنصر الداخلي المعنوي للحجاب ، في مقابل الحجاب الخارجي المادي. ^(١)

القول الراجح :

ويرى السيد فضل الله إن المراد بالحجاب هو الحجاب النفسي ، الذي جعله الله حائلاً في رفضهم للإيمان ، قائلاً : ((ولعل الأظهر في معناه . هو الحجاب النفسي ، الذي جعله الله من خلال حالتهم الداخلية في رفض الإيمان ومواجهة القرآن بطريقة اللامبالاة ، ما يجعلهم لا يدركون مضامينه في العقيدة والشرعة ، ولا يلتزمون مفاهيمه بالكون والحياة ، كأية حالة داخلية رافضة في تأثيرها السلبي على وعي الإنسان للمسألة المرفوضة أما خصوصية عدم إيمانهم بالآخرة ، فقد تكون ناشئة من كون هذا البعد عن خط الإيمان بالآخرة يمنع الإنسان من مواجهة الأمور مواجهة فكرية وعملية مسؤولة في ما ينبغي أن يؤمن به أو يعمل به ، لأنه لا يجد أية ضرورة ضاغطة في هذا الاتجاه ، فتبقى المسألة خاضعة للمزاج الذاتي)) ^(٢)

١ (ينظر : من وحي القرآن : ١١ / ١٣٣)

٢ (المصدر نفسه : ١١ / ١٣٢)

الخاتمة وأهم النتائج :

في البدء والختام الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، ونحمده على دوام توفيقه وتيسيره ، وجزيل عطاياه ونعمه ...
فبعد أن من الله تعالى علي بإتمام رسالتي ، كان لا بد أن أذكر في الختام بعض النتائج التي توصلت إليها كما يأتي :

١ . يُعد السيد محمد حسين فضل الله ، موسوعةً علميةً وفكريةً ، فقد تنوعت موضوعاته في تفسيره (من وحي القرآن) في الأدب والاجتماع والعقائد والفقه واللغة ، كما ترك وقفات نقدية واضحةً في تفسيره .

٢ . تميز أسلوبه في التفسير بالعلمية والموضوعية الدقيقة ، فكان يتفق مع الرأي السليم من وجهة نظره . بغض النظر عن انتمائه الفكري والمذهبي .

٣ . أعتمد السيد فضل الله في منهجه التفسيري على مرجعية القرآن الكريم والأثر المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أو أحد الصحابة ، أو أهل البيت (ع) ، أو التابعين ، بشرط أن يكون الأثر المروي مطابقاً للقرآن الكريم .

٤ . يعتبر منهج السيد فضل الله في الترجيح من المناهج المهمة في دراسة الترجمات التفسيرية ، وقواعدها ، فعند قراءة تفسير (من وحي القرآن) نجد أن السيد فضل الله في كثير من الأحيان ، يعرض الأقوال الواردة في تفسير الآية ، ثم يقوم بترجيح أحد الأقوال بصورة صريحة ، ثم يقوم بمناقشتها على قواعد ترجيحية مهمة : الترجيح بالنص القرآني ، الترجيح بدلالة ظاهر القرآن ، أو العدول عن ظاهر القرآن ، الترجيح بدلالة السياق ، أو قاعدة العدول عن السياق ، الترجيح بالقراءة القرآنية ، قاعدة الترجيح بالنسخ ، قاعدة الترجيح بالسنة والأثر المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) ، قاعدة الترجيح بأسباب النزول ، قاعدة الترجيح في مبهمات القرآن ، الترجيح بلغة العرب ، الترجيح بمرجع الضمير ، الترجيح بالبلاغة ، الترجيح بما يتسق مع أوسع المعنى وشموله ، الترجيح بالقرينة ، ترجيحاته الاجتهادية .

٥ . لم يكن السيد فضل الله متعصباً في عرضه للآراء التفسيرية ، فيرد عليهم من غير جرح أو قدح أو تشنيع ، حتى مع من يخالف مذهبهُ أو عقيدتهُ ، فينقل أقوالهم بكل أمانةٍ وعلمية .

٦ . أعتمد السيد فضل الله في ترجيحاته على الدليل ، وإن كان مخالفاً لجمهور المفسرين

٧ . رفض السيد فضل الله نظرية تجسيد الأعمال ، لأنها تؤدي إلى التفسير الحرفي للكلمة ، بعيداً عن أساليب البلاغة من الجاز والأستعارة

٨ . نرى السيد فضل الله في بعض الأحيان يعدل عن ظاهر الآية وسياقها في الترجيح بين الأقوال ، لأنه يرى أنه لا يمكن حمل جميع آيات القرآن على ظاهرها ، وسياقها ، لكن بشرط أن تكون هناك حجة تقوم على ذلك ، أو تقرب الفكرة إلى الفهم العام .

٩ . لم يتعرض السيد فضل الله كثيراً إلى القراءات القرآنية في تفسيره ، لكنه أشار إلى بعض القراءات في تفسيره ، كما رجح بعض القراءات القرآنية ، الموافقة للعربية ولرسم المصحف .

١٠ . تعرض السيد فضل الله كثيراً إلى روايات أسباب النزول في تفسيره مرجحاً بين هذه الروايات ، ولكن بشرط أن تكون موافقة للمفاهيم القرآنية ، كما نراه في المقابل رفض الكثير من روايات أسباب النزول ، لأنها لا تتناسب مع المفاهيم القرآنية العامة .

١١ . أشار السيد فضل الله في تفسيره إلى بعض مبهمات القرآن ، ولم يتعرض إلى بيانها وتفسيرها ، كما أنه لم يرجح بين الأقوال الواردة لتفسير هذه المبهمات ، لأنه يرى أنه لا فائدة في بيانها وتفصيلها ، والتعمق فيها قد يعرضنا في الخضوع للخرافات، أو القصص الإسرائيلية .

١٢ . تعرض السيد فضل الله إلى المفردات القرآنية في تفسيره ، كما يتعرض أحياناً إلى بعض الأقوال في بيان المعنى اللغوي للمفردة القرآنية ، لأنه يرى أن المعنى اللغوي للمفردة القرآنية يعطي مجالاً أوسع للمعنى .

فهرست المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١. أبحاث في علوم القرآن ، غانم قدوري الحمد ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٦ م ، دار عمان ، الأردن
٢. إتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل حسن عباس ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، دار الفرقان ، الأردن
٣. الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، تحقيق : أحمد بن علي ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م ، دار الحديث ، القاهرة . مصر
٤. أحكام القرآن ، عماد الدين بن محمد الطبري الكيالهراسي ت ٥٠٤ هـ ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت
٥. إحياء علوم الدين ، لأبي حامد بن محمد الغزالي ت ٤٥٠ . ٥٠٥ هـ ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م ، دار أبن حزم ، بيروت . لبنان
٦. آراء حول القرآن الكريم ، علي علامة أصفهاني ، د ط ، د ت ، دار الهادي ، أصفهان . إيران
٧. أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ ، ط ٢ ، د ت ، دار الكتب ، بيروت . لبنان
٨. أساسيات علم التفسير ، إعداد مركز المعارف للتحقيق والتأليف ، ط ١ ، ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٧ م ، دار المعارف الإسلامية الثقافية
٩. أسباب الخطأ في التفسير ، طاهر محمود محمد يعقوب ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، دار أبن الجوزي ، الدمام . السعودية
١٠. أسباب النزول ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت ٤٦٨ هـ ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان
١١. أسباب النزول المسمى (لباب النقول في أسباب النزول) ، جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠٢ م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت
١٢. الأسرار الفاطمية ، محمد فاضل المسعودي ، تحقيق : عادل علوي ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م ، أمير ، قم
١٣. أسئلة وردود من القلب مع العلامة محمد حسين فضل الله ، حاوره وضاح يوسف الحلو ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ . ٢٠٠٤ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان

١٤. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، د ط ، د ت ، مطابع دار الفكر ، سوريا
١٥. أصول التفسير والتأويل ، كمال الحيدري ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م ، ستاره ، قم . إيران
١٦. أصول التفسير وقواعده ، عبد الرحمن العك ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م ، دار النفائس ، بيروت . لبنان
١٧. أصول الحديث ، محمد عجاج الخطيب ، ط ١ ، ١٣٨٦ هـ . ١٩٦٧ م ، دار الفكر الحديث ، بيروت . لبنان
١٨. الأصول العامة للفقهاء المقارن ، محمد تقي الحكيم ، تحقيق : المجمع العالمي لأهل البيت (ع) قم ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، أمير ، قم . إيران
١٩. الأصول من الكافي ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ت ٣٢٨ هـ ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط ٥ ، ١٣٦٣ هـ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران
٢٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن مختار الشنقيطي ت ١٣٢٥ هـ . ١٣٩٣ هـ ، د ط ، د ت ، دار عالم الفوائد ، جده
٢١. أضواء البيان في علوم القرآن ، عامر عمران الخفاجي ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م ، مؤسسة الصادق ، بابل
٢٢. أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية ، ط ٦ ، د ت ، دار المعارف ، القاهرة . مصر
٢٣. أعيان الشيعة ، حسن الأمين ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان
٢٤. أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، تحقيق : حسن الأمين ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت
٢٥. الأمالي ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، مؤسسة البعثة . دار الثقافة ، قم المقدسة
٢٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / ناصر مكارم الشيرازي ، ط ٢ ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م ، الأميرة للطباعة والنشر ، بيروت
٢٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي ت ٦٩١ هـ ، د ط ، د ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٢٨. الآيات الناسخة والمنسوخة ، علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى ، تحقيق : علي جواد الحساني ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، مؤسسة البلاغ ، بيروت
٢٩. أيسر التفسير لكلام علي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة
٣٠. بحار الأنوار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، تحقيق : إبراهيم الماينجي . محمد باقر البهبودي ، ط ٢ المصححة ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، مؤسسة الوفاء ، بيروت . لبنان
٣١. البحث الدلالي في تفسير من وحي القرآن ، جابر محيسن عليوي ، ط ١ ، ٢٠١٢ م ، تموزه ، دمشق
٣٢. البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين بن عبدالله الشافعي ت ٧٤٥ . ١٩٩٢ م ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م ، دار الصفوة ، الغردقة
٣٣. بدائع التفسير الجامع لما فسر ابن قيم الجوزية ، يسرى السيد محمد . صالح أحمد الشامي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ ، دار ابن الجوزي ، الدمام
٣٤. البرهان في تفسير القرآن ، هاشم البحراني ، تحقيق : لجنة من العلماء ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت
٣٥. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م ، دار التراث ، القاهرة . مصر
٣٦. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد محمد أبو موسى ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م ، دار التضامن ، القاهرة
٣٧. البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الخوئي ، ط ٨ ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م ، أنوار الهدى ، قم . إيران
٣٨. تاج العروس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : حسين نصار ، د ط ، ١٣٦٩ هـ . ١٩٦٩ م ، التراث العربي ، الكويت
٣٩. تاريخ الحديث ، رضا مؤدب ، تعريب : عبد الكريم حيدري ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ ، أميران ، قم . إيران
٤٠. التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ ، تحقيق : أحمد حبيب القصير . أحمد شوقي ، د ط ، ١٩٥٧ م ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف . العراق
٤١. التبيان في علوم القرآن ، محمد علي الصابوني ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ ، دار أحسان ، قم . إيران

٤٢. التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط ، عثمان أحمد عبد الرحيم ، د ط ، د ت ، المطبعة العصرية ، الكويت

٤٣. التحرير والتتوير ، محمد طاهر بن عاشور ، د ط ، ١٩٨٤ م ، الدر التونسية للنشر ، تونس

٤٤. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ، تحقيق : محمد علي بيضوي ، ط ٣ ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان

٤٥. تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ت ٥٩٧ هـ ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت

٤٦. تذكرة الحفاظ ، أبو عبدالله شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، د ط ، ١٣٧٤ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٤٧. التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن الجزري الكلبي ت ٧٤١ هـ ، صححه : محمد سالم ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت

٤٨. التعريف بالقرآن والحديث ، محمد الزفراق ، ط ١ ، د ت ، المكتبة العلمية ، بيروت . لبنان

٤٩. تفسير بن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة في تفسير القرآن الكريم ، تحقيق : راشد عبد المنعم ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت

٥٠. التفسير الأثري الجامع ، محمد هادي معرفه ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، ستارة ، قم . إيران

٥١. تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ ، تحقيق : عادل أحمد . علي محمد عوض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان

٥٢. تفسير البغوي معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ ، تحقيق : محمد عبدالله النمر . عثمان جمعه . سليمان مسلم ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩ م ، دار طيبة ، الرياض

٥٣. تفسير التابعين عرض دراسة ومقارنة ، محمد بن عبدالله بن علي الخضري ، ط ١ ، ١٤٣٧ هـ ، دار اللباب للدراسات ، القاهرة

٥٤. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ت ٧٢٥ هـ ، صححه : عبدالسلام محمد علي ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت

٥٥. تفسير السدي الكبير ، أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير ت ٢٨ هـ ، جمع وتوثيق : محمد عطا يوسف ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م ، دار الوفاء ، المنصورة . مصر
٥٦. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ت ٣٧٥ هـ ، تحقيق : علي محمد عوض . عادل أحمد عبد الموجود . زكريا عبدالمجيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت
٥٧. تفسير الصافي ، محسن الفيض الكاشاني ت ١٠٩١ هـ ، تحقيق ، حسين الأعلمي ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة . إيران
٥٨. التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، حكمت بن بشير بن ياسين ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م ، دار المآثر ، المدينة المنورة . السعودية
٥٩. تفسير الضحاك ت ١٠٥ هـ ، تحقيق : محمد شكري أحمد ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٩ م ، دار السلام ، القاهرة
٦٠. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٢٢٤ . ٣١٠ هـ ، عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، ١٣٢٢ هـ . ٢٠٠١ م ، مركز هجر ، القاهرة
٦١. تفسير العياشي ، أبو النصر محمد بن مسعود السلمي السمرقندي ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت
٦٢. تفسير القرآن ، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ت ٤٢٦ . ٤٨٩ هـ ، تحقيق : أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، دار الوطن ، الرياض
٦٣. تفسير القرآن العظيم (مسنداً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين) ، عبد الرحمن بن محمد بن أدريس الرازي بن أبي حاتم . ٣٢٧ هـ ، تحقيق : أسعد أحمد الطيب ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٧ م ، مكتبة نزار مصطفى ، الرياض
٦٤. تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٠٠ . ٧٧٤ هـ ، تحقيق : سامي محمد السلامة ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ . ١٩٩٩ م ، دار طيبة ، الرياض . السعودية
٦٥. تفسير القرآن العظيم المسمى (تأويلات أهل السنة) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي ت ٣٣٣ هـ ، تحقيق : فاطمة يوسف ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت

٦٦. تفسير القرآن الكريم ، عبدالله شبر ت ١٢٤٢ هـ ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، دار البلاغة للنشر ، بيروت
٦٧. تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ ، مؤسسة الإمام المهدي ، قم المقدسة
٦٨. تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م ، مطبعة ستار ، قم المقدسة
٦٩. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي الرازي الشافعي ت ٥٥٤ . ٦٠٤ هـ ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م ، دار الكتب الفكر ، بيروت . لبنان
٧٠. تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ط ١ ، ١٣٦٥ هـ . ١٩٤٦ م ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر
٧١. التفسير المنير في العقيدة والمنهج ، وهبة الزحيلي ، ط ١٠ ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م ، دار الفكر ، دمشق
٧٢. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧١٠ هـ ، تحقيق : يوسف علي البدوي ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، دار الكلم الطيب ، بيروت
٧٣. تفسير سورة النور ، محسن قراعتي ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م ، دار المؤرخ العربي ، بيروت
٧٤. تفسير مبهمات القرآن ، أبو عبدالله محمد بن علي البلنسي ت ٧٨٢ هـ ، تحقيق : حنيف بن الحسن القاسمي ، ط ١ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م ، دار الغروب الإسلامي ، بيروت
٧٥. تفسير مجاهد بن جبير ت ١٠٢ هـ ، تحقيق : محمد عبدالسلام أبو النيل ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ . ١٩٨٩ م ، دار الفكر الإسلامي الحديث ، مصر
٧٦. تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : أحمد فريد ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت
٧٧. تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، تحقيق : هاشم الرسولي ، ط ٤ ، ١٤١٢ هـ ، مؤسسة إسماعيليان ، قم
٧٨. التفسير والمفسرون ، فاطمة محمد مارديني ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م ، بيت الحكمة ، دمشق . سوريا

٧٩. التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، د ط ، دت ، مكتبة وهبة ، القاهرة . مصر
٨٠. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفه ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ ، الجامعة
الرضوية للعلوم الإسلامية ، مشهد . إيران
٨١. تفسير من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، دار
الملاك ، بيروت . لبنان
٨٢. تلخيص التمهيد ، محمد هادي معرفه ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ . ٢٠١٢ م ، ستاره ، قم
٨٣. التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م ، دار
التعارف للمطبوعات ، بيروت . لبنان
٨٤. تهذيب الأصول ، عبد الأعلى السبزواري ، ط ٢ ، ١٩٩٩ م ، دار المنار ، بيروت .
لبنان
٨٥. تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق : محم عوض مرعب ، د ط
، ٢٠١١ م ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت
٨٦. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهرى الهروي ت ٣٧٠ هـ ، تحقيق : محمد عوض
مرعب ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠٠١ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان
٨٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦
هـ ، تحقيق : عبدالرحمن بن معلا ، د ط ، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ، الرياض
٨٨. التيسير في قواعد علوم التفسير ، محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي ت ٨٧٩ هـ ،
تحقيق : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، مكتبة القدسي ،
القاهرة
٨٩. الجامع لأحكام القرآن ، لأبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، ط ٢ ، ١٣٥٣ هـ . ١٩٣٥
هـ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة . مصر
٩٠. جمع الجوامع ، محمد بن الحسن الطبرسي ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم
٩١. جمهرة اللغة ، أبو دريد محمد بن الحسن ، ط ١ ، ١٩٨٧ م ، دار العلم للملايين ،
بيروت
٩٢. جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن دريد الأزدي ت ٣٢١ هـ ، تحقيق : رمزي منير
العلبي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ١٩٨٧ م ، دار العلم ، بيروت . لبنان

٩٣. الحج والعمرة في الكتاب والسنة ، محمد الريشهري ، تحقيق : دار الحديث ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ ، دار الحديث ، قم المقدسة
٩٤. الحجة في القراءات السبع الحسين بن احمد بن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، ط ٥ ، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م ، مؤسسة الرسالة الكويت
٩٥. الحقائق الناضرة ، المحقق البحراني ت ١١٨٦ هـ ، د ط ، د ت ، مؤسسة النشر الإسلامية ، قم المقدسة . إيران
٩٦. حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار (عليهم السلام) ، السيد هاشم البحراني ، تحقيق : غلام رضا ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم . إيران
٩٧. حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع ، محمد حسين فضل الله ، إعداد نجيب نور الدين ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م ، دار الملك ، بيروت . لبنان
٩٨. الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جني ت ٣٩٢ هـ ، تحقيق : محمد علي النجار ، د ط ، د ت ، دار الكتب المصرية ، القاهرة
٩٩. خلاصة مقدمة أصول التفسير ، صالح بن عبدالله بن حمد العصيمي ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م ، الرياض . السعودية
١٠٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف الحلبي ت ٧٥٦ هـ ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق
١٠١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ت ٨٤٩ . ٩١١ هـ ، تحقيق : عبدالله عبدالمحسن التركي ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، مركز هجر ، القاهرة
١٠٢. دراسات في التفسير وأصوله ، محيي الدين بالتاجي ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، دار الثقافة ، الدوحة . قطر
١٠٣. دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد المالكي ، د ط ، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية
١٠٤. دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، علي أكبر السيفي المازندراني ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامية ، قم . إيران
١٠٥. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ، محمد علي رضائي ، تعريب : قاسم البيضاوي ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، مكتبة التخطيط ، قم . إيران
١٠٦. دروس في علوم القرآن ، حبيب الله الطاهري ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، أسوة ، قم المقدسة . إيران

١٠٧. دروس موجزة في علوم القرآن ، حسين الصافي ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م ، دار السيدة رقية (ع) ، قم المقدسة
١٠٨. الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، حامد كاظم عباس ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد
١٠٩. رسالة التوحيد ، محمد عبده ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م ، دار الشروق ، القاهرة . مصر
١١٠. روائع البيان في تفسير القرآن ، محمد علي الصابوني ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ ، ١٩١٨ هـ ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت
١١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ت ١٢٧٠ هـ ، د ط ، د ت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
١١٢. زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٠٨ . ٥٩٧ هـ ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت
١١٣. زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي ت ٥٩٧ هـ ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت
١١٤. زعماء الشيعة في النجف الأشرف دراسة تاريخية ، عمار الحاج مزعل الدجيلي ، ط ١ ، د ت ، دار الأندلس ، النجف الأشرف . العراق
١١٥. سنن ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د ط ، د ت ، دار الريان ، القاهرة . مصر
١١٦. سنن أبي داود ، لأبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت ٢٧٥ هـ ، إعداد : عزت الدعاس . عادل السيد ، ط ١ ، ١٣٨٨ هـ ، دار الحديث ، بيروت . لبنان
١١٧. سنن الدرامي ، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدرامي التميمي السمرقندي ت ٢٥٥ هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ . ٢٠٠٠ م ، دار المفتي ، السعودية
١١٨. السنن الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨ هـ ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م ، دار المعرفة ، بيروت
١١٩. السياق القرآني وأثره في التفسير المدرسة العقلية الحديثة ، سعد بن محمد بن سعد الشهراني ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ ، الرياض

١٢٠. السيد الحبيب ، محمد رضا فضل الله ، د ط ، ٢٠١١ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان
١٢١. السيد محمد باقر الصدر دراسة منهجية وصراطه ، محمد الحسيني ، ط ١ ، ١٩٨٩ م ، دار الفرات ، بيروت . لبنان
١٢٢. السيد محمد حسين فضل الله داعية أم ذمية ، عماد شمعون ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، بيسان ، بيروت . لبنان
١٢٣. شرح أصول الكافي ، محمد صالح المازندراني ت ١٠٨١ هـ ، تعليق : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان
١٢٤. شرح التسهيل لأبن مالك ، محمد بن عبدالله بن مالك ، تحقيق : عبدالرحمن السيد . محمد المختون ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م ، هجر للطباعة
١٢٥. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه ، عبدالله بن مسعود المحبوبي ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت
١٢٦. شرح المقدمة المحسبة ، طاهر بن أحمد بابشاذ ، د ط ، ١٩٧٧ م ، المطبعة العصرية ، الكويت
١٢٧. شعراء الغري علي الخاقاني ، ط ١ ، ١٩٥٦ م ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف . العراق
١٢٨. الصحاح ، إسماعيل بن حماده الجوهري ت ٣٩٣ هـ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان
١٢٩. الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية ، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، ت ٣٩٣ هـ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان
١٣٠. صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ت ٢٠٦ . ٢٦١ هـ ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م ، دار الحديث ، القاهرة
١٣١. الطباطبائي ومنهجه في التفسير ، علي الأوسي ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ، سبهر ، طهران . إيران
١٣٢. طبقات الحفاظ ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان
١٣٣. طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، د ط ، د ت ، دار البصيرة ، القاهرة

١٣٤. عرائس البيان في حقائق القرآن ، أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي
ت ٦٠٦ هـ ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الكتب العلمية
، بيروت

١٣٥. العلامة فضل الله وتحدي المنوع ، علي حسن سرور ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م ،
الشركة العامة للخدمات الإنمائية ،

١٣٦. العلامة محمد حسين فضل مشروع نهضة الأمة ، ط ١ ، ٢٠١٠ م ، دار المحجة
البيضاء ، بيروت . لبنان

١٣٧. علل الشرائع ، الشيخ الصدوق ت ٣٨١ هـ ، تحقيق : السيد صادق بحر العلوم ، ط ١
، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م ، دار المرتضى ، بيروت . لبنان

١٣٨. علم أصول الفقه في ثوبه الجديد ، محمد جواد مغنية ت ١٩٩٧ م ، ط ١ ، ١٩٧٥ م ،
دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان

١٣٩. علماء ثغور الإسلام في لبنان ، عباس علي الموسوي ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ م ، دار
المرتضى ، بيروت . لبنان

١٤٠. علوم القرآن عند الشاطبي ، محمد سالم ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ ، دار البصائر ، القاهرة .
مصر

١٤١. علوم البلاغة ، محمد أحمد قاسم . محي الدين ديب ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، المؤسسة
الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان

١٤٢. عيون أخبار الرضا ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ت
٣٨١ هـ ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ ، منشورات الشريف الرضي ، أمير ، قم المقدسة

١٤٣. فتح القدير محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ ، تحقيق : عبدالرحمن
عميره ، د ط ، د ت ، دار الوفاء

١٤٤. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، محمد الصادقي ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، مطبعة
أمير ، قم . إيران

١٤٥. الفروع من الكافي ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ت ٣٢٨ هـ ، ط ٣
، ١٩٨٨ م ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران

١٤٦. فصول في أصول التفسير ، مساعد بن سليمان الطيار ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م
، دار ابن الجوزي ، الدمام

١٤٧. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٢٢ ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الشروق ، القاهرة

١٤٨. قاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ ، تحقيق : مجدي السيد ، د ط ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الحديث ، القاهرة . مصر
١٤٩. قاموس مصطلحات الحديث النبوي ، محمد صديق المنشاوي ، د ط ، د ت ، دار الفضيلة ، القاهرة . مصر
١٥٠. القراءت القرآنية تأريخ وتعريف ، عبد الهادي الفضلي ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ، دار القلم ، بيروت
١٥١. القرائن وأثرها في التفسير ، محمد زيلعي هندي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، دار كنوز أشبيليا ، الرياض
١٥٢. قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير ، عبير عبدالله النعيم ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م ، دار التدمرية ، الرياض
١٥٣. قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين بن علي الحربي ، راجعه : مناع بن خليل ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م ، دار القاسم ، السعودية . الرياض
١٥٤. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكّر الميبيدي ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م ، نكار ، طهران
١٥٥. القواعد مائة قاعدة فقهية : محمد كاظم المصطفوي ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم
١٥٦. كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ ، تحقيق : عبد الحميد هندائي ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان
١٥٧. كتاب القواعد ، أبو بكر عبد المؤمن ، تحقيق : عبدالرحمن عبدالله الشعلان . جبريل بن محمد بن الحسن ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، مكتبة الرشد ، الرياض
١٥٨. كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي التهانوي ، تحقيق : علي دحدوح ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، مكتبة لبنان ، بيروت . لبنان
١٥٩. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٤٦٧ . ٥٣٨ هـ ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود . علي محمد عوض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م ، مكتبة العبيكان ، الرياض . السعودية
١٦٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبو أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ت ٤٢٧ هـ ، تحقيق : ساعد بن سعيد الساعدي . هند بنت إبراهيم الهزازي ، د ط ، د ت ، دار التفسير ، الرياض

١٦١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبو أسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ت ٤٢٧ هـ ، تحقيق : عبدالله بن جمعه أبو طعيمه ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٥ م ، دار التفسير ، جدة ،
١٦٢. كنز الدقائق وبحر الغرائب ، محمد بن محمد رضا المشهداني ، تحقيق : حسين دركهازي ، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي ، إيران
١٦٣. اللباب في تفسير الكتاب ، كمال الحيدري ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، دار فراق ، ستاره ، قم . إيران
١٦٤. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور ت ٧١١ هـ ، دار صادر ، بيروت . لبنان
١٦٥. الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، عبد الحسين أحمد الأميني ت ١٩٧٠ م ، ط ٤ ، ١٣٩٧ هـ . ١٩٧٧ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت
١٦٦. ماضي النجف وحاضره ، جعفر باقر محبوبة ، ط ١ ، ١٩٥٥ م ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف . العراق
١٦٧. مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ، ط ١٠ ، ١٩٧٧ م ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان
١٦٨. المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق ، محمد حسين الصغير ، ط ٢ ، ١٤٣٩ هـ ، دار الحكمة ، بيروت . لبنان
١٦٩. المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق ، محمد حسين علي الصغير ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م ، دار المؤرخ العربي ، بيروت . لبنان
١٧٠. المبهفات في القرآن ، محمد عبطان الشمري ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م ، دار النعمان للعلوم ، دمشق
١٧١. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت ٩١١ هـ ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان
١٧٢. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م ، دار العلوم ، بيروت
١٧٣. مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة . السعودية

١٧٤. محاضرات في أصول الفقه ، تقارير بحث السيد الخوئي ت ١٤١١ هـ ، أسحاق الفياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامية ، قم . إيران
١٧٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي ت ٥٤٦ هـ ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت
١٧٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، محمد عبد الحق ابن عطيه ت ٥١٤ ، تحقيق : المجلس العلمي ، د ط ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ ن ، دار ابن الحزم ، الرياض
١٧٧. المحصول في علم الأصول ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي ت ٦٠٦ هـ ، تحقيق : طه جابر ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان
١٧٨. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن أسماعيل المرسى أبو الحسن ت ٤٥٨ هـ ، تحقيق : عبد الحميد هندراوي ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت
١٧٩. محمد حسين فضل الله شمسٌ لن تغيب ، مهدي خليل جعفر مصطفى الحمصي ، ط ١ ، ٢٠١٠ م ، دار المحجة البيضاء ، بيروت . لبنان
١٨٠. محمد حسين فضل الله شاعراً ، إسماعيل خليل ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان
١٨١. مختار الصحاح ، محمد بن أبو بكر الرازي ت ٦٦٦ هـ ، د ط ، ١٩٨٦ م ، مكتبة لبنان ، بيروت . لبنان
١٨٢. مختار الصحاح ، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرازي ، ترتيب : محمود خاطر ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، دار المعارف ، القاهرة . مصر
١٨٣. مدخل التفسير ، محمد فاضل للكراني ، تحقيق : مركز فقه الأئمة الأطهار ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ ، اعتماد ، قم المقدسة . إيران
١٨٤. مدخل إلى القرآن ، محمد عابد الجابري ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت
١٨٥. مذاهب الإسلاميين ، حسن الحكيم ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٦ م ، عرصات الهندية ، بغداد . العراق
١٨٦. مستدركات أعيان الشيعة ، حسن الأمين ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ . ١٩٩٨ م ، دار التعارف ، بيروت . لبنان

١٨٧. مسند أحمد بن محمد بن حنبل ت ١٦٤ . ٢٤١ هـ ، شرحه : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الحديث ، القاهرة
١٨٨. مسيرة قائد شيعي جمال شكري ، د ط ، ٢٠٠٨ م ، دار الساقى ، بيروت . لبنان
١٨٩. مطارحات في قضايا قرآنية ، محمد الحسيني ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان
١٩٠. مع علماء النجف الأشرف ، محمد الغروي ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م ، مؤسسة المعارف ، بيروت . لبنان
١٩١. معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق ،
١٩٢. معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ ، تحقق : محمد علي الصابوني ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٨ م ، مركز أحياء التراث الإسلامي ، جده
١٩٣. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧ هـ ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، عالم الكتب ، بيروت
١٩٤. معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي الأخفش ت ٢٠١٥ هـ ، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين الورد ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان
١٩٥. معاني القرآن ، فاضل صالح السامرائي ، ط ٣ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الفكر ، الأردن
١٩٦. معجم التعريفات ، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ت ٨١٧ هـ . ١٤١٣ م ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، د ط ، د ت ، دار الفضيلة ، القاهرة . مصر
١٩٧. المعجم الفلسفي ، مراد وهبه الزحيلي وجماعته ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ . ١٩٧١ م ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة . مصر
١٩٨. المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة
١٩٩. معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر
٢٠٠. معجم رجال الحديث ، أبو القاسم الخوئي ت ١٤١١ هـ ، ط ٥ ، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م ، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية ، النجف الأشرف
٢٠١. معجم لغة الفقهاء ، محمد راوس ت ٢٠١٤ . حامد صادق ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٨٨ م ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان

٢٠٢. معجم متن اللغة ، أحمد رضا العاملي ، د ط ، ١٣٧٨ هـ . ١٩٥٩ م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . لبنان
٢٠٣. معجم مقاييس اللغة ، لأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، المجمع العلمي العربي
- ٢١٢ . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط ٤ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م ، مكتبة دار الشروق ، القاهرة
٢٠٤. مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت . لبنان
٢٠٥. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان
٢٠٦. المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، د ط ، د ت ، دار المعرفة ، بيروت
٢٠٧. المفيد من معجم رجال الحديث ، محمد الجواهري ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ ، مكتبة المحلاتي ، قم المقدسة
٢٠٨. مقال في المنهج ، رينيه ديكارت ، ترجمة : محمود محمد الخضري ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م ،
٢٠٩. مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ، رينيه ديكارت ، ترجمة : جميل صليبا ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م ، بيروت ، لبنان
٢١٠. مقام الإمام علي (ع) ، نجم الدين الشريف العسكري ت ١٣٩٠ هـ ، ط ٤ ، د ت ، مطبعة الأداب ، النجف الأشرف . العراق
٢١١. مقدمات في علم التفسير ، صدر الدين القبنجي ، ط ٢ ، د ت ، مؤسسة إحياء التراث الشيعي ، النجف الأشرف . العراق
٢١٢. مقدمة في أصول التفسير ، أحمد بن عبد الحكيم ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، تحقيق : عدنان زرزور ، ط ١ ، ١٩٧١ م ، دار القرآن الكريم ، الكويت
٢١٣. من وحي القرآن محمد حسين فضل الله ، ط ٣ ، ١٤٣٩ هـ . ٢٠١٨ م ، دار الملاك ، بيروت

٢١٤. المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، محمد علي أسدي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، المجمع العلمي ، طهران . إيران
٢١٥. المناهج التفسيرية عند الشيعة والسنة ، محمد علي أسدي ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م ، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، طهران . إيران
٢١٦. المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، جعفر السبحاني ، ط ٤ ، ١٤٣٢ هـ ، مؤسسة الإمام الصادق ، قم . إيران
٢١٧. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان
٢١٨. منتهى الدراية في توضيح الكفاية ، محمد جعفر الجزائري المروج ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، مؤسسة أهل البيت (ع) ، قم . إيران
٢١٩. المنهج الأثري في تفسير القرآن ، هدى جاسم أبو طبره ، د ط ، ١٣٨٢ هـ ، بوستان قم . إيران
٢٢٠. منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ، حسين بن علي الحربي ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٥ م ، مركز تفسير الدراسات القرآنية ، الرياض . السعودية
٢٢١. منهج البحث الأدبي ، علي جواد الطاهر ، ط ٣ ، ١٩٧٤ م ، مكتبة اللغة العربية ، بغداد . العراق
٢٢٢. المنهجية في البحوث والدراسات الأدبية ، محمد بدوي ، د ط ، ١٩٨٨ م ، دار المعارف ، سوسة . تونس
٢٢٣. موسوعة الإمام علي (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، تحقيق : محمد كاظم الطباطبائي . محمود الطباطبائي ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ ، دار الحديث ، قم
٢٢٤. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، تصحيح : حسين الأعلمي ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان
٢٢٥. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت
٢٢٦. الندوة ، محمد حسين فضل الله ، إعداد : عادل القاضي ، ط ٨ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م ، دار الملاك ، بيروت . لبنان
٢٢٧. النسخ في القرآن ، مصطفى زيد ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة

٢٢٨. النشر في القراءات العشر ، ابي الخير محمد بن محمد الدمشقي ت ٨٣٣ هـ ، قدم له : علي محمد الصباغ ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان
٢٢٩. نقد منهج التفسير والمفسرون ، سالم الصفار ، د ط ، د ت ، دار الهادي
٢٣٠. النكت على ابن صلاح ، الحافظ بن حجر العسقلاني ت ٧٧٣ . ٨٥٣ هـ ، تحقيق ودراسة لنيل درجة الدكتوراه : ربيع بن هادي عمير ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، جامعة الملك بن عبد العزيز ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
٢٣١. النكت والعيون تفسير الماتريدي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت ٤٥٠ هـ ، د ط ، د ت ، دار الكتب العلمية ، بيروت
٢٣٢. نهج البلاغة من كلام الإمام علي (ع) ، صبحي الصالح ، ط ٤ ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠١٠ م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة . مصر
٢٣٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن الحسين بن أبي الجامع العاملي ت ١١٣٥ هـ ، تحقيق : الشيخ مالك المحمودي ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، دار القرآن الكريم ، قم
٢٣٤. وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ت ١١٠٤ هـ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) الإحياء التراث ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ ، مهر ، قم . إيران
٢٣٥. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت ٤٦٨ هـ ، تحقيق : عادل أحمد . علي محمد عوض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان
- الرسائل والأطاريح :**
- تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة ، مؤيد عبيد (رسالة ماجستير) ، جامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ٢٠٠٦ م
- قواعد تفسير القرآن الكريم ، هادي حسين عمران ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، كلية الفقه ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م
- المرأة المعاصرة في فكر السيد محمد حسين فضل الله ، هبة علي عباس ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، كلية العلوم الإسلامية ، ٢٠٢٢ م
- الترجيحات التفسيرية عند علماء الحلة من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري ، ميثاق عباس هادي الخفاجي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية الفقه . علوم القرآن ، ١٤٤٣ هـ . ٢٠٢١ م

السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من طريق تفسير ابن كثير ، عبد الرحمن المطيري ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، ٢٠٠٨ م
الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٢ م

المجلات :

المؤسسة المرجعية إنجازات وآمال ، ط ٤ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م ، المركز الثقافي الإسلامي ، جنوب لبنان .

Abstract

God revealed the Noble Qur'an with clear Arabic language, and the masters of eloquence and eloquence were unable to come up with a surah like it, but people were not unable to understand it. Rather, God made it a guidance and clarification for everything, and called for contemplation and contemplation of its verses. I have written many sciences and studies on the Qur'an. The most honorable of these sciences of all, and the highest in status and status among the sciences, is the science of interpreting the Book of God the Mighty and Almighty, so I wrote many studies in it.

For this reason, the works in the fields of interpretation of the Qur'an were among the most prominent fields that authors and scholars have dealt with throughout the ages, and many researchers have sought to discover knowledge and sciences from the Holy Qur'an.

Scholars, ancient and modern, have sought to establish rules and principles for interpreting the Holy Qur'an, in order to avoid errors and deviations. Their main concern was to understand God's speech to His servants and know what He intended from His Holy Book, so they acquired the best knowledge.

After God Almighty granted me the grace to complete my dissertation, I had to mention in conclusion some of the results I reached, as follows:

- Mr. Muhammad Hussein Fadlallah is considered a scientific and intellectual encyclopedia. His topics in his interpretation (from the inspiration of the Qur'an) varied in literature, sociology, beliefs, jurisprudence, and language. He also left clear critical pauses in his interpretation.
- His style of interpretation was distinguished by its scientific and precise objectivity, and he agreed with sound opinion from his point of view - regardless of his intellectual and sectarian affiliation.
- In his interpretive approach, Mr. Fadlallah relied on the authority of the Holy Qur'an and the narrated narration on the authority of the Messenger (PBUH), or one of the Companions, or Ahl al-Bayt (PBUH), or the followers, provided that the narrated narration is identical to the Holy Quran.

- Mr. Fadlallah's approach to weighting is considered one of the important approaches in studying interpretive weightings and their rules. When reading an interpretation (from the inspiration of the Qur'an), we find that Mr. Fadlallah often presents the sayings contained in the interpretation of the verse, and then weights one of the sayings in a way. Explicitly, then he discusses them on important rules of preference: weighting according to the Qur'anic text, weighting based on the apparent meaning of the Qur'an, or departing from the apparent meaning of the Qur'an, weighting according to the meaning of the context, or the rule of ignoring the context, weighting based on Qur'anic reading, the rule weighting based on abrogation, the rule weighting based on the Sunnah and the narrations narrated on the authority of the people of Islam. The House (peace be upon them), the rule of weighting based on the causes of revelation, the rule of weighting in ambiguous matters of the Qur'an, weighting in the Arabic language, weighting based on the pronoun reference, weighting based on rhetoric, weighting according to the breadth and comprehensiveness of the meaning, weighting based on context, and its ijtihad weightings.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon - College of Islamic Sciences
Department of Qur'anic Sciences



The preferential approach to interpretation based on the
Qur'an by Mr. Muhammad Hussein Fadlallah

submitted by the student

Abdullah Muhammad Hassan

To the Council of the College of Islamic Sciences at the University of
Babylon, which is part of the requirements for obtaining a Master's
degree in Qur'anic Sciences.

Supervision by

Prof. Dr. Amer Omran Al-Khafaji

1445 AH

2023 AD